

جامعة النجاح الوطنية

عمادة كلية الدراسات العليا

مراحل خلق الإنسان في آيات

القرآن الكريم

إعداد الطالبة

منى رفعت ادعيس عبد الرازق

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية

الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية

نابلس/ فلسطين

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

جامعة النجاح الوطنية
عمادة كلية الدراسات العليا

مراحل خلق الإنسان في آيات

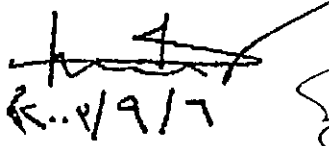
القرآن الكريم


إعداد الطالبة

منى رفعت ادعيس عبد الرازق

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٥م وأجيزت
وكانت لجنة المناقشة مكونة من التالية أسماءهم:

التوقيع


٢٠٠٣/٩/٦



د. محسن سميح الخالدي / رئيساً
د. أحمد فائز عزام / عضواً
د. حسين عبد الحميد النقيب / عضواً

الإهداء

إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبيي وشفيعي محمد ﷺ.

إلى العلماء العاملين الصادقين.

إلى القلب الحنون (أمي) التي نذرت حياتها في سبيل تربيته على الإسلام، وغرست في حب

هذا الدين والعمل لأجله.

إلى والدي العظيم الذي بذل كل ما يملك في سبيل تنشئة صالحه.

إلى أخي الحنون ، قدوتي في بلوغ المعالي.

إلى أخواتي الغاليات عوني وسندي.

إلى زوجي ورفيقي في دروب العلم وطريق الدعوة إلى الله.

إلى ابنتي فلذة كبدي وقرّة عيني (هبة)، التي أسأل الله تعالى أن يجعلها من الصالحات العاملات

لهذا الدين.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلق فسوّى ، وقدر فهدى، أحسن كل شيء خلقه، وأنزل كتابه هدىً للناس، ما فرط فيه من شيء، تنزيلاً من عزيز حكيم، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّد ولد آدم المبعوث رحمة للعالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين وبعد:

إنني، في هذا المقام لا يسعني إلا أن أزجي خالص شكري وتقديري للأستاذ الفاضل الدكتور محسن سميح الخالدي الذي أكرمني بعلمه ونصائحه الجلية. فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء وأن يرفع درجته في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب. كما أتوجه بجزيل الشكر للأستاذين الفاضلين:

فضيلة الأستاذ: أحمد عزام.

وفضيلة الأستاذ: حسين النقيب.

اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة، سائلاً المولى عز وجل أن ينفعنا بعلمهما.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأساتذتي في كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة القدس، وفي كلية الشريعة / جامعة النجاح لما لهم من فضل التدريس والتوجيه.

وأقدم كامل شكري وتقديري كذلك لأهل بيتي الذين كانوا خير عون لي في إخراج هذه

الرسالة، ولكل من ساهم في هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح حقيقة.

وفي الختام أشكر جامعة النجاح الوطنية بنابلس / فلسطين التي أتاحت لي هذه الفرصة

لإتمام دراستي العليا.

جزى الله الجميع خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	فهرس الموضوعات
د	ملخص الرسالة باللغة العربية
ذ	المقدمة
١	الفصل التمهيدي
٢	المبحث الأول: نبذة عن التفسير العلمي للقرآن الكريم
١٢	المبحث الثاني: صورة الإنسان في القرآن الكريم
١٥	المبحث الثالث: الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان
١٦	المطلب الأول: خلق آدم عليه السلام
٢٥	المطلب الثاني: خلق حواء
٣١	المطلب الثالث: خلق عيسى عليه السلام

الصفحة	الموضوع
٤١	الفصل الأول: مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم
٤٢	مدخل
٥٢	المبحث الأول: طور الطين
٥٤	المبحث الثاني: طور النطفة
٥٤	المطلب الأول: تعريف النطفة
٥٧	المطلب الثاني: المراحل التي تمر بها النطفة
٥٧	المرحلة الأولى من مراحل طور النطفة: مرحلة الماء الدافق
٩٣	المرحلة الثانية من مراحل طور النطفة: مرحلة السلالة
١١١	المرحلة الثالثة من مراحل طور النطفة: مرحلة النطفة الأمشاج
١٤٠	المرحلة الرابعة من مراحل طور النطفة: مرحلة الحرث
١٥٤	المبحث الثالث: طور التخليق
١٥٤	المطلب الأول: مرحلة العلقة
١٧٠	المطلب الثاني: مرحلة المضغة
١٨٣	المطلب الثالث: مرحلة العظام
١٩٣	المطلب الرابع: مرحلة اللحم
١٩٦	المبحث الرابع: مرحلة النشأة أو الخلق الآخر

الصفحة	الموضوع
٢٠١	الفصل الثاني: الاستنساخ
٢٠٢	تمهيد
٢٠٤	المبحث الأول: تعريف الاستنساخ
٢٠٩	المبحث الثاني: أنواع الاستنساخ
٢١٣	المبحث الثالث: دوافع الاستنساخ
٢١٥	المبحث الرابع: حكم الشريعة الإسلامية في الاستنساخ البشري
٢٣٠	الخاتمة
٢٣٥	فهرس الآيات القرآنية.
٢٤٩	فهرس الأحاديث.
٢٥١	فهرس الأعلام.
٢٥٢	فهرس الأشكال
٢٥٤	فهرس المصادر والمراجع
B	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة باللغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿ ما لكم لا ترجعون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً ﴾. (١) في هذه الرسالة التي سميتها: "مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم"، والتي قسمتها إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين، وخاتمة، تحدثتُ عن التفسير العلمي للقرآن الكريم، وعن صورة الإنسان في القرآن الكريم، وعن الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان، والمتمثلة في خلق آدم، وحواء، وعيسى (عليهم السلام).

ثمّ قمتُ بدراسة مراحل خلق الإنسان كما جاءت في القرآن الكريم بدءاً من مرحلة الطين، ومروراً بمرحلة النطفة، إلى طور التخليق، حتى مرحلة النشأة أو الخلق الآخر. وقد اعتمدتُ في شرح هذه الآيات على ما جاء في بطون كتب التفسير وكذلك على ما جاء في أحاديث المصطفى ﷺ، فهي الشارحة والموضحة، وقد بينتُ آخر ما توصل إليه الطب الحديث في كل مرحلة من هذه المراحل، والتي جاءت موافقة ومنسجمة لكتاب الله تعالى.

وفي الفصل الثاني من هذه الرسالة تحدثتُ عن الاستساخ، تعريفه، وأنواعه، ودوافعه، وحكمه في الشريعة الإسلامية.

وقد جعلتُ فهرساً للآيات القرآنية الكريمة الواردة في الرسالة وآخر للأحاديث النبوية، وترجمتُ لبعض الأعلام ممن تقتضي الحاجة أن أترجم لهم، وختمتُ ذلك بفهرسٍ للمصادر والمراجع.

أسأل الله العليّ القدير أن ينفع بهذا الكتاب كل من يقرأه، سائلاً المولى عز وجل أن يزدنا إيماناً وهدىً وعلماً وتقىً.

(١) سورة نوح، آية ١٣-١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

إن القرآن الكريم هو رسالة الله عز وجل لكل الناس على مر العصور، وإن لكل عصر خصائصه ومنطقه ومصطلحاته المتعارف عليها، كما أن لكل عصر لغته ومفاهيمه الخاصة به، فعصر الرسالة المحمدية كان سلطان الحجة فيه اللغة نطقاً وفصاحةً، فكان الإعجاز القرآني واضحاً لهم من الناحية اللغوية. أما بالنسبة لعصرنا الحالي - عصر الرؤية الدقيقة للمكونات المدركة من الكون وثورة المعلومات - فسلطان الحجة هو الحقائق العلمية ولها يخضع كثير من الناس.

إن جانب التفسير العلمي لآيات القرآن هو جزء رئيس من قضية التفكير والتدبر التي أمرنا الله تعالى به حيث قال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾^(١). فالمسلم مأمور بأن يتدبر آيات الله الكريمة وأن يُعمل عقله وفكره ووجدانه في فقه معانيها وفهم مدلولاتها، كما أنه مأمور بتدبر مخلوقات الله وتأمل دقائق ومتقن صنعه، فإذا كان القرآن كتاب الله المقروء،

(١) سورة محمد، آية ٢٤.

فإن الكون وما فيه، كتاب الله المنظور. وأي شيء أولى أن يتدبره الإنسان من نفسه، ما أودعه الله فيه من أسرار وعجائب، بدءاً بمرحلة التكوين في الأرحام، ومروراً بمراحل الخلق، من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم إلى العظام، فاللحم والتصوير ونفخ الروح فيه.

ومن هنا فقد اخترت أن أكتب هذا البحث في مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن، وقد قام المفسرون بتفسير الآيات الخاصة بهذا الموضوع من خلال تفسيرهم لكتاب الله عز وجل، ووفق المعطيات العلمية المتواضعة التي كانت في زمانهم، فجاء حديثهم عن هذا الموضوع مشتتاً ومفرقاً في تفاسيرهم، كما أنها لم تكن مترابطة من الناحية التفسيرية للقرآن، وقد قام بعض العلماء المعاصرين ببحث هذا الموضوع من الوجهة العلمية. وقد قمت في بحثي هذا بجمع جزئيات هذا الموضوع من كتب التفسير والكتب العلمية التي تحدثت عنه مع كثير من التعليقات والتحليلات والاستنباطات التي لم أعر عليها في الكتب التي وقعت بين يدي، فتم بعد كل هذا- فيما أرجو- إخراج مؤلف قرآني مستقل يتناول الموضوع من جميع جوانبه، وقد قسمت هذا الموضوع إلى فصلين مقدمة لها بفصل تمهيدي على النحو التالي:

الفصل التمهيدي، ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نبذة عن التفسير العلمي للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: صورة الإنسان في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان.

الفصل الأول: مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: طور الطين.

المبحث الثاني: طور النطفة.

المبحث الثالث: طور التخليق.

المبحث الرابع: طور النشأة أو الخلق الآخر.

الفصل الثاني: الإستتساخ، ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الاستتساخ.

المبحث الثاني: أنواع الاستتساخ.

المبحث الثالث: دوافع الاستتساخ.

المبحث الرابع: حكم الشريعة الإسلامية في الاستتساخ البشري.

هذا وقد وقع اختياري على هذا البحث للأسباب التالية:

أولاً: لم أجد من بحث هذا الموضوع بحثاً خاصاً مستقلاً وشاملاً تناوله من جميع جوانبه، وكل ما وجدته مسائل فرعية متناثرة في كتب المفسرين الأولين والمعاصرين، وبعض الكتب الخاصة، علماً بأن هذا الموضوع قد أخذ حيزاً لا بأس به من كتاب الله عز وجل.

ثانياً: الكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فالآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان ومراحل تطوره هي معجزة علمية، شهد بذلك علماء الأجنة المسلمين منهم وغير المسلمين، وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدلّ على أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى.

ثالثاً: الدعوة إلى دين الله تعالى في زمن غدا فيه الخطاب العلمي من أكثر الصيغ فاعلية وإقناعاً وقدرة على اختراق جدران الإلحاد والضلال.

رابعاً: لقد جاء اختياري لهذا الموضوع - قبل كل شيء - خدمةً لكتاب الله عز وجل وطلباً لرضوانه.

لهذا كله رأيت أن يكون موضوع بحثي: (مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم)، بناءً على معطيات العصر، ومتطلبات الواقع، مستمدةً ذلك من فهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يلهمني الصواب والسداد والإخلاص في القول والعمل، ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾^(١)

(١) سورة البقرة، آية ١٢٧.

الفصل التمهيدي

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نبذة عن التفسير العلمي للقرآن الكريم

المبحث الثاني: صورة الإنسان في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان.

إضراراً بليغاً، ويسبب فتنة شرسة. " (١) ولا شك أن هذا التيار الذي أنكر الإشارات العلمية قد أخطأ الرأي والتقدير لأسباب كثيرة منها:

- أولاً: " لأنه يتجاهل جانباً بالغ الأهمية من الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن، عدا عن الآيات العديدة التي تدعو إلى التدبر في ملك الله سبحانه وتعالى وملكوته، " (٢) منها:
١. قوله تعالى: ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٣)
 ٢. وقوله سبحانه: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار ﴾ (٤).
 ٣. وقوله جل جلاله: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٥) وقد عاب القرآن الكريم الغافلين الذين لم يُعملوا عقولهم في تدبر آيات الله الكونية حيث قال: ﴿ وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (٦).

ثانياً: "منح الله تعالى الناس أدوات المعرفة ووسائلها، وكلفهم أن يستخدموها، وجعل ما يتوصل إليه علماءهم بيقين عن طريق وسائلهم الإنسانية، صالحاً للاحتجاج به والاعتماد عليه. " (٧) فمِمَّا امتنَّ الله به على الناس بوسائل المعرفة قوله عز وجل: ﴿ والله أخرجكم من

(١) الجميلي، د. السيد، الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال ودار الوسام، بيروت، (١٩٩٦)، ص: ١١. (وسأشير إليه فيما بعد بـ الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن).

(٢) المصدر السابق، ص: ١٢.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٥.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٩٠-١٩١.

(٥) سورة الذاريات، آية ٢١.

(٦) سورة يوسف، آية ١٠٥.

(٧) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، دمشق، (ط ٢، ١٤٠٠-١٩٨٩)، ص: ٢٣٠. (وسأشير إليه فيما بعد بـ الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل).

بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴿ (١) فهذه الآية الكريمة تدل على أن "ما يكتسبه الناس بأسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم هو علم معترف به إذا استوفى شروطه، وأوصل إلى اليقين الحسي أو اليقين العقلي." (٢)

ثالثاً: نلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفسر إلا القليل من آيات القرآن الكريم، ولو أنه فسر القرآن جميعه وأخرج كل الكنوز وأبان كل التفاصيل لحدث أحد أمرين هما:

١. إما أن يكون القرآن طلائع لا يفهم. وسبب ذلك أنه لما استطاع العرب ولا الناس في ذلك الحين أن يعقلوه، لأن أدوات العلم لم تكن متوفرة بالشكل المطلوب.

٢. وإما أن يتجمد القرآن. وكلا الأمرين لم يحدث رحمة من الله بعباده، (٣) وفرصة للعقل البشري ليستكشف، حتى إذا ما تبين للإنسان حقيقة علمية وجب عليه الاستفادة منها بعد معرفتها.

رابعاً: خطاب القرآن الكريم ليس مقصوراً على المسلمين، ولا على العرب الأميين، كما أنه ليس مقصوراً على أبناء القرن العشرين، ولكنه عام مطلق لكل عصر ولكل مكان. فليس من المعقول، وليس من المقصود، أن يظل تفكير الإنسان ثابتاً على نسق واحد في جميع العصور. (٤)

(١) سورة النحل، آية ٧٨.

(٢) الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص: ٢٣١.

(٣) أرناؤوط، محمد السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص: ٥٣، بتصرف. (وسأشير إليه فيما بعد بـ أرناؤوط، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم).

(٤) الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، ص: ٩، بتصرف، نقلاً عن كتاب الفلاسفة القرآنية للدكتور عباس العقاد.

خامساً: من المعلوم "أن كل مفسر للقرآن يتأثر بثقافته التي أتقنها وتخصص فيها، كما رأينا ذلك في تفاسير علمائنا القدامى"^(١):

١. فمنهم من جنح إلى التفسير بالمأثور، كما فعل الإمام محمد بن جرير الطبري في كتابه "جامع البيان"، والإمام السيوطي في تفسيره: " الدر المنثور في التفسير بالمأثور ".

٢. وبعض العلماء جنح إلى التفسير بالرأي، مثل الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير المسمى " مفاتيح الغيب "، والألوسي في كتابه: " روح المعاني ".

٣. ومال الإمام الزمخشري في " الكشاف " إلى التفسير البلاغي.

٤. وقد اختار أبو حيان التفسير النحوي في كتابه: " البحر المحيط ".

٥. واختار الإمام القرطبي الجانب الفقهي في تفسيره الشهير " الجامع لأحكام القرآن ".^(٢)

وكان أمراً محتوماً أن يظهر أخيراً التفسير العلمي، بعد أن توفرت معطيات هذا اللون من التفسير بما تكشف من العلوم، لا سيما إذا عرفنا ما قرره علماء النفس من أن قوة الانتباه إلى الشيء لها علاقة بما يختبر في نفس الإنسان ويهتم به. فالصورة أو اللوحة الفنية قد يراها أكثر من واحد، فمنهم من لا يلتفت إليها أصلاً، ومنهم من ينظر إليها نظرة خاطفة، ومنهم من يتأملها تأملاً مفصلاً عميقاً. فانتباه الرسام إليها ليس كانتباه الشاعر، وانتباه الشاعر ليس كانتباه الرجل العادي. هذا قانون عام من قوانين النفس أو الحياة، لا يمكن مقاومته ولا المراء فيه.^(٣)

إذا عرفنا ذلك، فلا ينبغي أن ننكر على العالم من علماء الكون والطبيعة أن ينتبه - إذا قرأ الآية من القرآن التي فيها معانٍ تتصل بثقافته وتخصصه- إلى ما لم ينتبه إليها غيره من العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية، أو من فحول علماء البلاغة والكلام والفقهاء.

(١) القرضاوي، كيف تتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨٠.

(٢) الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، ص: ١٠-١١، بتصرف قليل.

(٣) القرضاوي، كيف تتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨٠، بتصرف قليل.

فالمختص في علم الأرض (الجيولوجيا) سينتبه إلى ما في قوله تعالى: ﴿والجبال
أوتاداً﴾^(١) من معانٍ لم يلتفت غيره إليها. والمختص في علم البحار سينتبه إلى معانٍ في
قوله سبحانه: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾^(٢) مما لم يلتفت إليه سواه.
وكذلك المختص في علم الأجنة يجد في قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(٣) ما لا
يجده عالم آخر.^(٤)

الفريق الثاني: وهم الذين يغفلون في استخدام هذه العلوم غلواً كبيراً، ويتكفون في
إظهار القرآن بمظهر المشتغل على كل هذه العلوم ويجتهدون بإبراز ما سموه (الإعجاز العلمي)
بكثير من التمثل.^(٥) ولا شك أن هذا التيار قد وقع أيضاً في خطأ كبير إذ أنه لم يضبط هذا
اللون من التفسير بالضوابط التي وضعها العلماء لمثل هذا التفسير، والتي سأبينها لاحقاً بإذنه
تعالى.

الفريق الثالث: "وهناك موقف بين هؤلاء وأولئك، هو الموقف العدل الوسط، الذي لا
يبالغ في النفي ولا يغلو في الإثبات"^(٦)، وهذا هو الرأي الذي اختاره، وقد اختاره علماء أفاضل
من قبلنا، أمثال الدكتور الفاضل فضل حسن عباس، والدكتور يوسف القرضاوي، وعبد الرحمن
حبنكة الميداني، وغيرهم، بشرط أن نستند في تفسيرنا العلمي على الشروط التي وضعها

(١) سورة النبا، آية ٧.

(٢) سورة الرحمن، آية ١٩-٢٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٤.

(٤) القرضاوي، كيف تتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨١، بتصرف.

(٥) المصدر السابق، ص: ٣٧٩، بتصرف.

(٦) المصدر السابق، ص: ٣٧٩.

العلماء. ويمكن إجمال الشروط التي يجب مراعاتها عند استخدام العلوم الكونية في التفسير وخدمة القرآن فيما يلي:

الشرط الأول: التعويل على الحقائق لا الفرضيات

فيجب على من تصدى لمثل هذا النوع من التفسير أن يستخدم من نتائج العلوم ما استقر عند أهله، وغدا حقيقة علمية يرجع إليها، ويعول عليها. وينبغي ألا نعول على الفرضيات والنظريات^(١) التي لم تثبت دعائمها حتى لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه الفرضيات.^(٢) قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٣) ومن هنا، كان لا بد من بيان المنهج الذي ينبغي اتباعه في هذا المجال، ويمكن تلخيص هذا المنهج في النقاط التالية:^(٤)

١. إذا ثبتت حقيقة علمية بأدوات ووسائل البحث العلمي الإنساني ثبوتاً قطعياً، وقد تعرض لها القرآن ببيان ما، فإنه يمكن فهم النص أو النصوص القرآنية بمقتضاها. ولن يجد الباحث أية صعوبة في فهم النصوص بما يتطابق مع هذه الحقيقة العلمية التي ثبتت قطعاً، بل سيجد النصوص دالة عليها بقوة، وربما تكون دلالتها دلالة مباشرة لا تحتاج تأويلات ولا تخريجات تعسفية، وإنما تحتاج بصيرة استبطائية، قائمة على جمع مختلف النصوص، وفهمها مجتمعة جملة واحدة.

٢. إذا قَدَّمَ علماء البحث العلمي بأدواتهم ووسائلهم الإنسانية، نظرية من النظريات ذات رجحان ظني، وذات نفع في مجال التطبيقات العملية، ولم يقل العلماء حولها الكلمة الأخيرة القطعية

(١) الفرضية: فكرة يؤخذ بها في البرهنة على قضية أو حل مسألة. (أحمد، محمد، والصالحي، عطية، وأنيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، المعجم الوسيط، القاهرة، (ط٢)، ١٣٩٢-١٩٧٢)، (٢/٦٨٣) (وسأشير إليه فيما بعد بـ المعجم الوسيط). والنظرية: قضية تُثبت ببرهان. (المعجم الوسيط، (٢/٩٣٢)).

(٢) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨٢، بتصرف قليل.

(٣) سورة يونس، آية ٣٢.

(٤) الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص: ٢٣٧-٢٣٨، بتصرف قليل.

بالأدلة والبراهين القطعية، وقد تعرض لها القرآن ببيان ما، فالمنهج كما يلي: إذا كان النص القرآني يحتمل التفسير ضمن ضوابط فهم النصوص العربية، بما يتفق مع هذه النظرية، فلا مانع من جعل تفسيره بما يتفق معها أحد الاحتمالات التي يمكن أن يفهم النص بمقتضاها، ولكن دون جزم ولا قطع، وتظل الاحتمالات الأخرى التي يحتملها النص مفتوحة ومطروحة، حتى يأتي اليقين العلمي الذي تقرر أدوات ووسائل البحث العلمي الإنسانية.

٣. إذا قدم علماء البحث العلمي أو بعضهم فرضية من الفرضيات حول موضوع من الموضوعات التي تعرض لها القرآن ببيان ما، فليس على متدبر النص القرآني أن ينظر إلى هذه الفرضية بأكثر مما ينظر إلى أي احتمال آخر يمكن أن يفهم النص بمقتضاه. قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. (١) ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٢)

٤. إذا كان النص القرآني لا يمكن حمله بمقتضى قواعد فهم النصوص العربية على معنى يناسب النظرية أو الفرضية، فليس من حق متدبر كلام الله أن يطوّعه بهواه، ليقبل الدلالة على ذلك، أو يكرهه إكراهاً بتأويلات متعسفة، بحيث تصبح النصوص القرآنية العوبة بأيدي ناصري النظريات أو الفرضيات التي يقول بها علماء البحث العلمي الإنساني. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. (٣)

(١) سورة النجم، آية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة، آية ١١١ .

(٣) سورة آل عمران، آية ٧ .

الشرط الثاني: تجنب التكلف في فهم النص

وهذا يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: "موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي".^(١) فلا يجوز أن نتمحل أو أن نتعسف في حمل النص على المعنى الذي نريد استتباطه.^(٢) يقول سبحانه: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾.^(٣) فيجب أن نفهم الآيات القرآنية وفقاً للسان العرب والمنطق السليم.

الثاني: موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافراً عن السياق.

الثالث: لا ينبغي أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من حقيقة اللفظ.

الشرط الثالث: عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول تعالى: ﴿وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.^(٤)

الشرط الرابع: التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.^(٥)

فالمعجزة خارقة للقوانين المعتادة. "فهي لا تعتمد على قوانين الطبيعة ولا على خواص المادة، بل هي منحة من الله لرسوله، يثبت بها قلمه، ويقيم له الحجة على صدقه، لينشر رسالته التي أرسله بها".^(٦)

(١) عباس، د. فضل حسن، وعباس، سناء فضل، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، (١٩٩١)، ص: ٢٦٨.

(وسأشير إليه فيما بعد بعباس، فضل، وعباس، سناء، إعجاز القرآن الكريم).

(٢) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨٢، بتصريف قليل.

(٣) سورة يوسف، آية ٢.

(٤) سورة النحل، آية ٤٤.

(٥) عباس، فضل، وعباس، سناء، إعجاز القرآن الكريم، ص: ٢٦٨، بتصريف قليل.

(٦) اللوح، د. عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة- فلسطين، (١٤١٩-١٩٩٩)، ص: ٤٩. (وسأشير إليه فيما بعد بـ اللوح، د. عبد السلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم).

ويرى الدكتور يوسف القرضاوي أن هناك مجالات لاستخدام العلوم الكونية في تفسير

القرآن الكريم لا ينبغي أن يكون فيها خلاف بين المثبتين والنافين في هذه القضية، منها:

أولاً: تصحيح مدلول النص القرآني وتوسيع فهمه ومداه للإنسان المعاصر، وذلك بما تقدمه العلوم الكونية من معلومات تزيدنا معرفة بمفهوم الآية، وتوضحه بالشواهد والأمثلة، التي توافرت في ضوء العلم الحديث. ومثال ذلك: ما كشفه العلم من أسرار قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بناته﴾. (١) فلقد بين لنا العلم الحديث سر نكر البنان خاصة دون غيره من الأعضاء، وهو ما يتميز به جلد البنان من خواص، بحيث لا يتشابه بنان لشخصين وإن كانا شقيقين أو توأمين. وعلى أساس هذا التمايز قام ما عرف باسم (البصمة) وأسست عليه إدارات (تحقيق الشخصيات).

ثانياً: تصحيح معلومات بعض المفسرين القدامى الخاطئة التي اعتمدوا عليها، وأخرجوا منها بعض آيات القرآن الكريم عن ظاهرها البين، محاولين تأويلها، وإخراجها من معناها المتبادر منها، لتوافق ما هو مألوف عندهم، ومتفق مع معارفهم. من ذلك: قوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾. (٢) فقد قال بعض المفسرين: هذه الكَلْيَةُ أغلبية، وليست عامة ولا مطلقة، كما هو ظاهر لفظ الآية الكريمة ﴿من كل شيء﴾. وقال بعضهم: ﴿من كل شيء﴾ أي كل جنس من الحيوان نوعان: نكر وأنثى. فخصوها بأجناس الحيوان. وإنما قالوا ذلك لأن الذي يعلمونه هو أن الأزواج ظاهر في الإنسان والحيوان وبعض أنواع النبات كالنخيل، ولكن لم يُعرف في جميع أنواع النباتات، ولا في الجمادات، حتى جاء العلم الحديث وأثبت لنا أن جميع النباتات، بل جميع المخلوقات، قائمة على قاعدة الزوجية، حتى الذرة تحتوي على شحنة

(١) سورة القيامة، آية ٣-٤.

(٢) سورة الذاريات، آية ٤٩.

كهربائية موجبة، وشحنة كهربائية سالبة. وحقّ قول الله تعالى: ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج

كلها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا يعلمون ﴾ (١).

ثالثاً: تقريب الحقائق الدينية لعقول البشر، حتى إن أولى قضايا الدين وكبراهها، وهي إثبات

وجود الله تعالى، يستطيع هذا العلم، بوساطة فروعه المتعددة من رياضيات وفلك وفيزياء

وكيمياء وطب وغيرها، مواجهة الماديين والملاحدة، فيقيم الأدلة ويدحض الشبهات،. كما أنه

يستطيع العلم بمكتشفاته ومقرراته أن يوضّح كثيراً من الأحكام الشرعية مثل تحريم الخمر،

والخنزير، والزنا، وغيرها، ببيان ما اشتمل عليه هذا الحكم الإلهي من جلب المصالح للناس،

ودره المفاسد عنهم. وبذلك يزداد الذين آمنوا إيماناً، ويضعف جانب المرتابين والمتشككين في

كمال الشريعة الإسلامية، وصلاحيّتها لكل زمان ومكان. (٢).

(١) سورة يس، آية ٣٦.

(٢) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص: ٣٨٦-٣٩١، بتصرف.

المبحث الثاني: صورة الإنسان في القرآن الكريم

إنَّ أعظم رحلة يقوم بها الإنسان على الإطلاق هي تلك التي يدخل من خلالها عالمه الخاص، فيبصر خبايا نفسه، ويعي دوافع سلوكه، ويدرك عمق كيانه. فبعد إدراكه لذاته، تفتح أمامه كل أبواب ولوج محراب الحقيقة، لأنَّ في معرفة النفس معرفة للوجود.^(١)

ومن جهة أخرى فإنَّ جهل الإنسان بتاريخه وقصته وجوهره وإمكاناته سيجعل من الإنسان أداة يتحول بها ضد نفسه وذاته.^(٢) ومن هنا، امتازت نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان بالعديد من المميّزات والسمات التي وُظِّفت من أجل بناء إنسان عظيم، يسمو بروحه وعقله، قادر على حمل الأمانة الربانية - ألا وهي قيادة الوجود وسيادته، وتسخيرها على نحو روحي سام يحقق رضوان الله تعالى.^(٣)

فامتازت نظرة القرآن الكريم للإنسان بأنها نظرة شاملة، حيث "عرّفته بحقيقة نفسه كإنسان في أصله، وأطوار خلقه، وغاية وجوده، ورسالته في الحياة، وتميّزه عن المخلوقات الأخرى بما خصّه الله من عقل وتكريم." ^(٤) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾.^(٥) وقال تعالى: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾.^(٦)

^(١) حموش، د. عبد اللطيف، قصة الإنسان-أصله، بنيته، دوره، دار الفكر، دمشق - بيروت، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٧) ص: ٣٣٢، بتصرف. (وسأشير إليه فيما بعد بـ حموش، قصة الإنسان- أصله، بنيته، دوره).

^(٢) المصدر السابق، ص: ١٩، بتصرف.

^(٣) حموش، قصة الإنسان- أصله، بنيته، دوره، ص: ٤٢٢، بتصرف.

^(٤) هندي، صالح ذياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية أعمال المطابع التعاونية، عمان، (ط١، ١٤٠٨-١٩٨٧)، ص: ٥٥. (وسأشير إليه فيما بعد بـ هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية).

^(٥) سورة المؤمنون، آية ١٢.

^(٦) سورة الإسراء، آية ٧٠.

وهي نظرة واقعية تعترف "بالواقع البشري للإنسان على حقيقته، فهي لا تكبت نوازع الجسد أو شهوات النفس." (١) قال تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون﴾، (٢) وقال سبحانه: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾. (٣)

وهي أيضاً نظرة متوازنة إذ أنها " أقامت توازناً رائعاً بين مكونات النفس والكون والحياة، فقد وازنت بين المادة والروح، وبين الدنيا والدين، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة." (٤) قال عز وجل: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾. (٥)

وبخلاف كثير من الأنظمة الوضعية اليوم، فقد نظر القرآن الكريم إلى الإنسان نظرة إيجابية. فعلى الرغم من كل النقائص والعيوب التي يحملها الإنسان، إلا أن القرآن الكريم بحسن الظن به وبالوجود كله، إذ يؤكد أن العالم الذي نعيش فيه يستمر في خلق متجدد، ويزداد نمواً وتطوراً وإبداعاً، ويقرر أن الإنسان يمكن أن ينتصر آخر الأمر على كل القوى والعقبات والأغلال التي تعترض طريقه. (٦) فقد طمأن الله الإنسان بأن الشيطان لا سلطان له عليه إذا تسلح بسلاح الإيمان، قال سبحانه وتعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾. (٧) وقد تاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (٨) حيث قال: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾. (٩)

(١) هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٣٧.

(٣) سورة النساء، آية ٢٨.

(٤) هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ٥٧.

(٥) سورة القصص، آية ٧٧.

(٦) حموش، قصة الإنسان-أصله، بنيته، دوره، ص: ٤٢٣، بتصرف.

(٧) سورة النحل، آية ٩٩.

(٨) وهم مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية رضي الله عنهم جميعاً.

(٩) سورة التوبة، آية ١١٨.

ومن أعظم ما امتازت به نظرة القرآن الكريم للإنسان احترام العقل. فقد اهتم القرآن بالعقل الإنساني باعتباره مركز التفكير والتأمل والتدبر والاعتبار، وهو عجلة القيادة لهذا الإنسان، إذ به يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، والخير والشر، فهو جوهرة ثمينة، لا بد أن يُرعى حق الرعاية، وأن يُصان بعيداً عن الانحراف والتهيه، بعيداً عن اللهو والعبث، وأن يوجه في مساره الصحيح، لينتج تفكيراً علمياً صحيحاً بعيداً عن الأوهام والخرافات والأساطير.^(١)

(١) اللوح، د. عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص: ٥٤.

المبحث الثالث: الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان.

تعتبر سنة التزاوج إحدى السنن التي وضعها الله تعالى ليسيير على أساسها هذا الكون. قال تعالى: ﴿ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾. ^(١) فكانت هذه السنة سائدة بين جميع الكائنات الحية على مرّ العصور، وكانت سبباً لتواصل الحياة في هذا الكون. ولم نجد خروجاً عن هذه القاعدة إلا في حالات نادرة كخلق آدم عليه السلام، وخلق حواء، وخلق عيسى ابن مريم عليهما السلام. ولم يجعل الله تعالى هذه الحالات خروجاً عن سنة التزاوج إلا لتكون معجزة، تُلفت الأذهان إلى إرادة الله وعظيم قدرته، ورداً حاضراً على الماديين في كل مكان وزمان. ^(٢)

^(١) سورة فاطر، آية ١١.

^(٢) الرقعي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، الدار الجماهيرية، ليبيا، (ط١، ١٤٢٥)، ص: ٣٧-٣٨، بتصرف. (وسأشير إليه فيما بعد بـ الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن).

المطلب الأول: خلق آدم عليه السلام

لقد مرّ خلق آدم عليه السلام في ثلاثة أطوار رئيسة نأخذها من الآيات الكريمة

وأحاديث المصطفى ﷺ . هذه الأطوار الثلاثة هي:

أولاً: طور التخليق.

ثانياً: طور التصوير.

ثالثاً: طور نفخ الروح.

الطور الأول : طور التخليق، ويتضمن هذا الطور أربع مراحل رئيسة هي:

المرحلة الأولى: مرحلة التراب

قال تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن

فيكون ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿ خلقه من تراب ﴾ ليس بصيلة لآدم عليه السلام ولا صفة ولكنه خبر

مستأنف على جهة التفسير بحال آدم. " (٢) "والهاء في (خلقه) تعود على آدم عليه السلام، أي

خلق الله آدم من تراب ثم قال له كن، فكان كما أراد الله. " (٣)

(١) سورة آل عمران، آية ٥٩.

(٢) الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، محمد بن عمر، (ت. ٦٠٤ هـ)، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥-١٩٩٥)، (٨٤/٤). (وسأشير إليه فيما بعد بالرازي، التفسير الكبير).

(٣) الخالدي، د. صلاح، القصص القرآني - عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٨)، (٩/١). (وسأشير إليه فيما بعد بالخالدي، القصص القرآني - عرض وقائع وتحليل أحداث).

قال الزجاج^(١): "هذا كما تقول في الكلام مثلك مثل زيد، تريد أنك تشببه في فعله، ثم تخبر بقصة زيد فتقول فعل كذا وكذا."^(٢) والمقصود أن شأن عيسى عليه السلام الغريب كشأن آدم، وهو أنه خلق بلا أب، كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم، فشبه حاله بما هو أغرب منه إfachاماً للخصم.^(٣) و"المراد تشبيهه به في الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه."^(٤)

قال الحكماء: إنما خلق آدم عليه السلام من تراب لوجوه منها:

(١) ليكون متواضعاً.

(٢) ليكون أشد التصاقاً بالأرض، وذلك لأنه إنما خلق لخلافة الله في الأرض.

(٣) ليكون مظناً لنار الشهوة، والغضب، والحرص، فإن هذه النيران لا تطفأ إلا بالتراب.^(٥)

(١) هو إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، ولد في بغداد سنة (٨٢٤١)، عالم بالنحو واللغة، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعلمه المبرد، من كتبه: (معاني القرآن)، و(الاشتقاق)، و(خلق الإنسان)، و(الأمالي)، و(إعراب القرآن). توفي في بغداد سنة (٨٣١١). [الزركلي، خير الدين، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والممتهربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٦، ١٩٨٤)، (٤٠/١)]. وسائير إليه فيما بعد بـ الزركلي، الأعلام).

(٢) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (ت. ٨٣١١)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: الدكتور عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، (ط٢، ١٤١٨-١٩٩٧)، (٤٢٢/١). وسائير إليه فيما بعد بـ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه).

(٣) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد، (ت. ٨٧٩١)، تفسير البيضاوي المسمى "أسوار التنزيل وأسرار التأويل"، دار الفكر، بيروت، (١٤١٦-١٩٩٦)، (٤٦/٢)، بتصرف. (وسائير إليه فيما بعد بـ البيضاوي، تفسير البيضاوي).

(٤) الأنصاري، أبو يحيى زكريا، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، (ط١، ١٤٠٥-١٩٨٥)، ص: ٦٩.

(٥) الرازي، التفسير الكبير، (٨٤/٤).

المرحلة الثانية: مرحلة الطين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ﴾^(١) وقال إبليس يتباهى بأصله الناري على طين آدم: ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾^(٢) والطين ناتج عن مزج حفنة التراب المأخوذة من الأرض بالماء.^(٣)

يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب: "في قوله تعالى: ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾^(٥) دلالة قوية على أن الأحياء كلها- ومنها الإنسان- مخلوقة من مادة واحدة هي الماء، والماء هو المادة التي يتكوّن منها الطين، إذ لا وجود للطين إلا مع الماء، وبالماء."^(٦)

المرحلة الثالثة: مرحلة الطين اللزب

قال تعالى: ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾^(٧) قال الإمام الراغب الأصفهاني في معنى (لازب): "اللازب الثابت شديد الثبوت".^(٨) وهذه المرحلة ناتجة عن تحويل الطين الرخو بسبب الماء في المرحلة السابقة إلى طين لازب شديد متماسك كثيف غليظ، وذلك تمهيداً لتجميده وتبييسه ليصنع منه تمثال آدم عليه السلام.^(٩)

(١) سورة ص، آية ٧١.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٢.

(٣) الخالدي، الفصص القرآني - عرض وقلع وتحليل أحداث، (٩١/١)، بتصرف.

(٤) سورة النور، آية ٤٥.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

(٦) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، (٦٢/١). (وسأشير إليه فيما بعد في الخطيب، التفسير القرآني للقرآن).

(٧) سورة الصافات، آية ١١.

(٨) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت. ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، (٢٢٠، ١٩٩٩ - ١٩٤٢)، ص: ٤٥٣. (وسأشير إليه فيما بعد في الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن).

(٩) الخالدي، الفصص القرآني - عرض وقلع وتحليل أحداث، (٩٢/١).

المرحلة الرابعة: مرحلة خلقه من حمأ مسنون

١. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صُلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ ﴾^(١)

قال الراغب في معنى (حمأ): "والحمأة والحمأ، طين أسود منتن"^(٢). وقد وردت كلمة

(حمأ) في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرِبَ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ ﴾^(٣) أي:

كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء. "^(٤)

أما المسنون فهو المتغير. إذن معنى (من حمأ مسنون): "من طين تغير واسود من

طول مجاورة الماء." "^(٥)

المرحلة الخامسة: خلقه من صلصال كالفخار

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٦)، والصلصال في اللغة يطلق على معنيين

هما:

١. تردد الصوت من الشيء اليابس، قيل: صلّ المسمار، إذا أدخل في الشيء اليابس، وسمي

الطين الجاف صلصالاً.

٢. وقيل: الصلصال المنتن من الطين، يقال: صلّ اللحم، إذا انتن وتغير. "^(٧)

والراجع - والله تعالى أعلم - أن معنى (صلصال) في الآية الكريمة الطين اليابس،

فالصلصال أصله طين لازب من حمأ مسنون، فلما يبس صار صلصالاً كالفخار.

(١) سورة الحجر، آية ٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٤٠.

(٣) سورة الكهف، آية ٨٦.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، (ت. ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٥، ١٤١٧ - ١٩٩٦)، (٣٣/١١). (وسأشير إليه فيما بعد بـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن).

(٥) البيضاوي، تفسير البيضاوي، (٣ / ٣٦٧-٣٦٨).

(٦) سورة الرحمن، آية ١٤.

(٧) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٢٨٩، بتصريف.

وسمى الطين اليابس صلصالاً لأنك إذا نقرت عليه (يصل)، أي: يخرج الصوت. وشبهه هذا الطين اليابس الصلصال بالفخار، والفخار هو الأنية والجرار المصنوعة من الطين، والمحروقة بالنار. (١)

الطور الثاني: طور التصوير

يقول تعالى: ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾. (٢) اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أربعة أقوال: الأول: أن قوله (ولقد خلقناكم)، أي خلقنا أبائكم آدم و(صورناكم) أي صورنا آدم، (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)، وهو قول الحسن.

الثاني: أن يكون المراد من قوله (خلقناكم) آدم، ومن قوله (ثم صورناكم)، أي صورنا ذرية آدم عليه السلام في ظهره، ثم بعد ذلك أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، وهذا قول مجاهد. فنذكر أنه تعالى خلق آدم أولاً، ثم أخرج أولاده من ظهره في صورة الذر، ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم.

الثالث: خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أننا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فالعطف يفيد ترتيب خبر على خبر، ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر.

الرابع: أن الخلق في اللغة عبارة عن التقدير، وتقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء ومشيتته لتخصيص كل شيء بمقداره المعين. فقوله (خلقناكم) إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر

(١) الخالدي، الفصص القرآني - عرض وقلع وتحليل أحداث، (١/٩٣-٩٤)، بتصرف قليل.

(٢) سورة الأعراف، آية ١١.

في هذا العالم. وقوله (صورناكم) إشارة إلى أنه تعالى قال: أكتب^(١) مما هو كائن إلى يوم القيامة، فخلق الله عبارة عن حكمه ومشينته، والتصوير عبارة عن إثبات صور الأشياء في اللوح المحفوظ، ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له.^(٢)

والراجع - والله تعالى أعلم - القول الأول، وهو الرأي الذي اختاره الإمام الرازي وأبو السعود. فقد بين الإمام الرازي سبب ترجيح القول الأول القائل بأن التصوير المقصود به تصوير آدم عليه السلام حيث قال: "وذلك لأن أمر الملائكة بالسجود لآدم تأخر عن خلق آدم وتصويره، ولم يتأخر عن خلقنا وتصويرنا. أقصى ما في الباب أن يقال: كيف يحسن جعل خلقنا وتصويرنا كناية عن خلق آدم وتصويره؟ فنقول: إن آدم عليه السلام أصل البشر، فوجب أن تحسن هذه الكناية نظيرة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾،^(٣) أي: ميثاق أسلافكم من بني إسرائيل في زمان موسى عليه السلام ... وقال تعالى مخاطباً اليهود في زمان محمد ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾^(٤) و﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾^(٥)، والمراد من جميع الخطابات أسلافهم، فكذا ههنا.^(٦)

وقال أبو السعود في تفسير هذه الآية الكريمة: "أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورناه أبداع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً. وفي هذه الآية تنكير لنعمة عظيمة

(١) والخطاب هنا للقلم، والمعنى أنه تعالى قال للقلم: أكتب مما هو كائن إلى يوم القيامة، وفي الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة." [أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم ٤٧٠٠، (٥٢/٥)]

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (٣٢/١٤-٣٣)، بتصرف.

(٣) سورة البقرة، آية ٦٣.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٤١.

(٥) سورة البقرة، آية ٧٢.

(٦) الرازي، التفسير الكبير، (٣٣ / ١٤).

فائقة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته لشكرهم كافة إلى أن لهم حظاً من خلقه وتصويره،
إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه مصنوع على شاكلته. ^(١)

إذن نلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة أن مرحلة التصوير مرحلة ثانية بعد الخلق.
فبعد أن خلقه الله من الطين، صورّه وسوّاه وجعله تمثالاً مجسماً على صورة الإنسان، وهذا قبل
أن ينفخ فيه الروح. ولهذا قال الله للملائكة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(٢)، ومعنى
(فإذا سويته): "أي سويت خلقه وصورته." ^(٣)

وقد ترك الله آدم في الجنة، جسداً مصوراً، وتمثالاً مجسماً، بدون روح ولا حياة، مدة
من الزمن لا يعلمها إلا الله. وتخبّرنا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما حدث خلال هذه
الفترة نلخصها فيما يلي:

١. تعجب إبليس وتمكنه من معرفة نقطة ضعف آدم

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:
"لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرَكَهُ، فَجَعَلَ إبليس يطيف به، ينظر إليه، فلمّا
رآه أجوف، عرف أنه خلق لا يتمالك." ^(٤)

^(١) أبو السعود العمادي، محمد بن محمود، (ت. ٩٨٢ هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٩)، (٤٧٨/٢). (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم).

^(٢) سورة الحجر، آية ٢٨-٢٩.

^(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧/١٠).

^(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، برقم ٢٦١١، (٤/٢٠١٦).

٢. إخبار الله الملائكة باستخلاف آدم

وفي هذه المرحلة من خلق آدم عليه السلام، أخبر الله الملائكة عن إرادته في جعل هذا المخلوق خليفة في الأرض. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

الطور الثالث: نفخ الروح

لما أَرَادَ اللهُ بَثَّ الحَيَاةَ فِي جَسَدِ آدَمَ المَصَوَّرِ، نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَصَارَ مَخْلُوقًا حَيًّا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) لَقَدْ نَفَخَ اللهُ فِي جَسَدِ آدَمَ مِنْ رُوحِهِ، وَهِيَ نَفْخَةٌ غَيْبِيَّةٌ خَاصَّةٌ، تَلِيْقُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ. وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى الإِشَارَةِ إِلَى أَمْرَيْنِ:

الأول: أن حرف (من) في قوله (من رُوحِي) ليس للتبعيض، لأن روح الله لا تتبعض ولا تتجزأ ولا تنقسم، ليذهب جزءٌ منها إلى آدم، أو إلى عيسى بن مريم عليهما السلام. إنما هي لبيان الجهة، أي هذه النفخة من عند الله، وهذه الروح التي جعلها في آدم منه سبحانه، أي: من أمره وإرادته ومشينته.

الثانية: وإضافة الروح إلى الله (من رُوحِي) لتكريمها وتشريفها، كما أضيفت الناقة إلى الله في قوله تعالى: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ (٣)، وكما أضيف البيت إلى الله: ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ المَحْرَمِ ﴾ (٤).

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سورة ص، آية ٧١-٧٢.

(٣) سورة الأعراف، آية ٧٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

وقد كان خلق آدم - بمعنى نفخ الروح فيه - يوم الجمعة. روى مسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق،

في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل." (١)

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، برقم ٢٧٨٩، (٢١٤٩/٤-٢١٥٠).

قال الله تعالى في كتابه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾. (٢) وقال سبحانه: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾، (٣) فهذه الآية الكريمة تبين أنه سبحانه خلق الإنسان من نفس واحدة، ثم خلق منه الأنثى، و(ثم) حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي أي التأخير. (٤) فدلّت هذه الآية الكريمة على أن آدم عليه السلام قد خلق أولاً، وأن حواء قد خلقت بعده عليه السلام. وقد ذهب العلماء في كيفية خلق حواء إلى مذهبين هما:

المذهب الأول: "بعض العلماء اعتبر هذا تصريحاً في الآية ونصاً على أن حواء خلقت من آدم. ولهذا ذهبوا إلى أن حرف (من) في قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) للتبويض، أي أن حواء مخلوقة من بعض جسم آدم." (٥) قال ابن القيم عند ذكر قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾، (٦) قال: فجعل علة السكون أنها منه. (٧) وقالوا إن خلق حواء "لا يستدعي منه تعالى أن يخلقها من تراب أيضاً ما دام الصنو والمثل موجودين في

(١) ورد اسمها هكذا في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لولا بنو إسرائيل لم يخلق اللحم، ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر." [أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة، برقم ٣١٥٢، (١٢١٢/٣)]

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة الزمر، آية ٦.

(٤) السعدي، داود سلمان، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترايب، دار الحرف العربي، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٤)، ص: ٩٦، بتصرف. (وسأشير إليه فيما بعد في السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترايب).

(٥) الخالدي، القصص القرآني - عرض وفتح وتحليل لأحداث، (١٢٣/١).

(٦) سورة الأعراف، آية ١٨٩.

(٧) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، (ت. ٧٥١ هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (٧/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢-١٩٩٢).

آدم. وقد أرادت حكمته أن يخلق حواء من أحد أجزاء آدم، لكي يأنس إليها وأن لا يفزع منها ولا ينفّر. ^(١) ولكنهم اختلفوا في الجزء الذي خلقت منه حواء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قالوا إنها خلقت من ضلع آدم، وهذا الرأي اختاره الثوري، والواحدي، والنسفي، وابن جزوي، وابن عاشور ^(٢) وغيرهم.

قال الألويسي: "قد أردف الكلام بقوله تعالى شأنه: (وخلق منها زوجها) وهو عطف على (خلقكم) داخل معه في حيز الصلة، وأعيد الفعل لإظهار ما بين الخلقين من التناوت لأن الأول بطريق التفرع من الأصل، والثاني بطريق الإنشاء من المادة. فإن المراد من الزوج حواء، وهي قد خلقت من ضلع آدم عليه السلام الأيسر". ^(٣)

واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً". ^(٤) قالوا إن الضلع المقصود في حديث النبي ﷺ هو ضلع آدم.

(١) فياض، محمد، إعراب آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، دار الشروق، القاهرة، (ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩)، ص: ١٨.
(٢) انظر: الثوري، أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق، (ت. ١٦٦ هـ)، تفسير سفيان الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤٠٣)، (٨٥/١)، (وسأشير إليه فيما بعد في الثوري، تفسير الثوري)، والواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد، (ت. ٤٦٨ هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، (ط١، ١٤١٥)، (٢٥١/١)، (وسأشير إليه فيما بعد في الواحدي، تفسير الواحدي)، والنسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن أحمد بن محمود، (ت. ٧١٠ هـ)، مدرك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٥)، (٢٠١/١)، (وسأشير إليه فيما بعد في النسفي، تفسير النسفي)، وابن جزوي، محمد بن أحمد، (ت. ٧٤١ هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، (١٢٨/١)، (وسأشير إليه فيما بعد في ابن جزوي، التسهيل لعلوم التنزيل)، وابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، (٢ / ٢١٥). (وسأشير إليه فيما بعد في ابن عاشور، التحرير والتنوير).

(٣) الألويسي، محمود، (ت. ١٢٧ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، (١٤١٤-١٩٩٤)، (٣ / ٢٨٤-٢٨٥). (وسأشير إليه فيما بعد في الألويسي، روح المعاني).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، برقم ٣١٥٣، (١٢١٢/٣).

القول الثاني: ويرى الدكتور داود السعدي أن حواء خلقت من الكروموسوم الجنسي المؤنث (X) الموجودة عند آدم عليه السلام. ويمكن أن نلخص رأيه في النقاط التالية:

أولاً: لو افترضنا، مجرد افتراض، خلق أنثى من ذكر، لانصرف الذهن فوراً إلى كروموسومات الذكر الجنسية التي تحوي، وعلى عكس الأنثى، على عاملي الذكورة والأبوة معاً، إذ أنه ليس في جسد آدم، وغيره من المخلوقات، ما هو أصل للخلق غير الكروموسومات ولا شيء آخر سواها.

ثانياً: نطفة الأنثى لا تختلف عن نطفة الذكر في تكوينها الكروموسومي إطلاقاً، إذ أن كليهما يحتوي على ٢٣ زوجاً من الكروموسومات، إلا في كروموسوم جنسي واحد. فنطفة الرجل يحتوي على الكروموسوم الجنسي المنكر (Y)، والكروموسوم الجنسي المؤنث (X)، بينما نطفة المرأة لا يحتوي إلا على الكروموسوم الجنسي المؤنث (X). وبناء على ذلك فإن حواء خلقت من الكروموسوم الجنسي المؤنث (X) عند آدم عليه السلام، هذا الكروموسوم الذي هو وحده، يجعل من المرأة أنثى وبكل صفاتها التي تتميز وتختلف بها عن صنوها الذكر. وبذلك تكون الكروموسومات التي خلقت منها المرأة مشتقة من كروموسومات الرجل.

ثالثاً: يعضد نظرية خلق حواء من كروموسومات الرجل حديث النبي ﷺ: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع"^(١). فقد أشار هذا الحديث - على رأي الدكتور السعدي - إلى الكروموسومات الجنسية بلفظ (الضلع)، مثلما أشارت الآية الكريمة إلى الكروموسومات الجنسية بلفظ الترائب التي هي الأضلاع الأربعة العليا من كل جهة،^(٢) كما سيأتي تفصيله لاحقاً بإذن الله تعالى.

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص: ٢٦.

(٢) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٩٩-١٠١، بتصريف.

القول الثالث: قيل إنها خلقت من بقية الطينة التي خلقت منها آدم. ^(١) ولكن هذا القول يفتقر إلى دليل، ولا يوجد.

المذهب الثاني: وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني ^(٢) في أن المراد من قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ ^(٣) أي من جنسها، وهو كتقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ ^(٤) وكتقوله: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ ^(٥). واختار هذا الرأي أيضاً الإمام الرازي، والشيخ متولي الشعراوي، ومحمد جواد مغنية، والدكتور محمد وصفي، والدكتور صلاح الخالدي. قال متولي الشعراوي رحمه الله: "ولهذا فإنه ليس من الضروري أن يكون خلق حواء قد تمّ من جزء من آدم، بل من الجائز أن تكون مخلوقة من مثل جنس آدم". ^(٦)

وقد ردّ الفخر الرازي على من أنكر أن حواء خلقت ابتداء، لا من ضلع آدم، لأن ذلك يقتضي أن يكون الناس مخلوقين من نفسين، لا من نفس واحدة، حيث قال: "ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة (من) لا ابتداء الغاية، فلما كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بأدم عليه السلام، صحّ أن يقال (خلقتكم من نفس واحدة)، وأيضاً فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان

^(١) ذكر هذا القول ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، (٢/٢١٥).

^(٢) هو محمد بن بحر الأصفهاني، وال من أهل أصفهان، معتزلي، من كبار الكتاب. ولد سنة (٨٢٥٤)، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. من كتبه: (جامع التأويل لمحكم التنزيل) في التفسير على مذهب المعتزلة، أربعة عشر مجلداً، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصاً منه وردت في (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الفخر الرازي، في جزء صغير وسامياً (ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل). ومن كتبه: (الناسخ والمنسوخ)، وكتاب في النحو ومجموع رسائله. توفي سنة (٣٢٢ هـ). [الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، (ت. ٩٤٥ هـ)، طبقات المفسرين، مكتبه وهبة، القاهرة، (٢)، ١٤١٥-١٩٩٤)، (٢/١٠٦)، بتصرف. (وسائير إليه فيما بعد به الداودي، طبقات المفسرين)، والزركلي، الأعلام، (٦/٥٠)، بتصرف.]

^(٣) سورة النساء، آية ١.

^(٤) سورة الروم، آية ٢١.

^(٥) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

^(٦) الشعراوي، متولي، شرح معجزات الأنبياء والمرسلين، دار مايو الوطنية للنشر، القاهرة، ص: ١٤.

قادراً على خلق حواء من التراب، فإذا كان الأمر كذلك فأى فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام ١٢ " (١)

أما حديث الرسول ﷺ: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع" (٢)، قالوا: إنه لا يتكلم عن خلق حواء من ضلع آدم، إنما يدل هذا الحديث على معنى مجازي إذ يبين الحديث الاعوجاج الفطري في النساء، وهو اعوجاج معنوي نفسي وليس مادياً محسوساً. وهو يشير إلى التركيب العاطفي الانفعالي لنفسية المرأة، فقد خلق الله المرأة - على الغالب - عاطفية انفعالية مندفعه، وفطرها على ذلك، لتحقيق وظيفتها ورسالتها في الحياة، فلعاطفتها وانفعالها واندفاعها دور أساسي في تحقيقها. وهي - على الغالب - ليست متأنية في تفكيرها، مثل الرجل الذي يتصف - على الغالب - بالموضوعية والتأني، لتحقيق رسالتها في الحياة. ويصور الحديث العاطفة والاندفاع والانفعال في نفسية وتفكير المرأة، ويعرض هذا في صورة ضلع. إن الضلع أعوج، وأعوج ما فيه أعلاه، ويستحيل تقويم هذا الضلع، وإزالة اعوجاجه، فمن أراد إصلاحه كسره. والنساء في تركيبهن النفسي والعاطفي هكذا، فلا يستطيع الرجل أن يجعل المرأة موضوعية، أو أن يقضي على انفعالها السريع، وعاطفتها القوية، ولذلك عليه أن يقبل بها هكذا وأن يرضاها بهذه الطبيعة النفسية العاطفية. " (٣)

ويرى أصحاب هذا الرأي أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء أي من جنسها، إذ أنه إنسان وهي أيضاً إنسان لا حيوان. وهذا معناه أن الرجل نفس إنسانية سوية، له روح إنسانية حية، ومن هذه النفس الإنسانية السوية خلق الله المرأة، فالمرأة أيضاً نفس

(١) الرازي، التفسير الكبير، (٥ / ١٦٨).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص: ٢٧.

(٣) الخالدي، القصص القرآني - عرض وفتح وتحليل لحدث، (١ / ١٢٤-١٢٥).

إنسانية لها روح إنسانية حيّة أيضاً. وهذا تكريم وتشريف للمرأة، وهذا المعنى التكريمي للمرأة هو ما أرادت الآية الأولى من سورة النساء تقريره. (١)

والذي أرجحه - والله تعالى أعلم - أن القرآن الكريم لم يبيّن كيفية خلق حواء من آدم عليه السلام، أمّا ما جاء في الحديث فليس فيه تصريح بأنّ المراد من قوله ﷺ : "خلقت المرأة" حواء، كما أنّ قوله ﷺ: " من ضلع" ليس فيه تصريح بأنّ المراد ضلع آدم عليه السلام. والروايات التي ذكرت خلق حواء من ضلع آدم من الاسرائيليات التي نحن في غنى عنها.

(١) المصدر السابق، (١/١٢٣-١٢٥)، بتصرف.

المطلب الثالث: خلق عيسى عليه السلام

أولاً: البشارة بالمسيح عليه السلام

عندما بلغت مريم عليها السلام مبلغ النساء، خرجت ذات يوم من محرابها، وسارت جهة شرقي بيت المقدس، قال تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾. (١) فبينما هي تسير، وقد ابتعدت عن أهلها وقومها، إذ فاجأها شاب وضئى الوجه، حسن الصورة، مستوي الخلق، ففزعت واضطربت وخافت على نفسها منه، ثم قالت له: ﴿ إنسي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾. (٢) ولم يكن في خاطرها أنه ملك كريم، هوجبريل الأمين عليه السلام، تمثل لها في صورة إنسان. (٣) قال سبحانه: ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ (٤)

قال أبو حيان في تفسيره: "وإنما مثل لها الملك في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه، ولا تتفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه... ودلّ على عافها وورعها أنها تعوّذت من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسيراً لعفتها." (٥)

وحين ظهر لمريم بعد ذلك أن الذي عرض لها في خلوتها ليس بشراً إنما هو ملك كريم، أنست واستبشرت به، (٦) ولكنها تعجبت من قوله: ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك

(١) سورة مريم، آية ١٦.

(٢) سورة مريم، آية ١٨.

(٣) الصابوني، محمد علي، النبوة والانبيا، (ط ٢، ١٤٠٠-١٩٨٠) ص: ١٩٠، بتصريف.

(٤) سورة مريم، آية ١٧.

(٥) أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت. ٨٧٤٥)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، (١٤١٢ - ١٩٩٢)،

(٦) (١٧٠ / ٦). (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو حيان، البحر المحيط).

(٧) الصابوني، النبوة والانبيا، ص: ١٩١، بتصريف.

غلاماً زكياً»^(١) فهي امرأة بكر لم تتزوج ولم يقربها أحد من الرجال، ولا تزال عذراء. وهي عفيفة لم تقارف إثماً، فكيف يمكن أن يأتيها غلام مع عدم اتصال رجل بها؟^(٢) «قالت أتى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً»^(٣) وقد كان جوابه لها أنها إرادة الله ومشينته، فهو جَلّ ثناؤه لا يعجزه شيء وإذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون^(٤) «قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجدعه آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً»^(٥) وقال سبحانه في آية أخرى: «قالت رب أتى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون»^(٦) أي: كمثل هذا الخلق البديع يخلق الله ما يشاء، فإن من شأنه الاختراع والإبداع.

وقد عبّر هنا بـ (الخلق)، وفي بشارة زكريا بيحيى بـ (الفعل) حيث قال: «كذلك الله يفعل ما يشاء»^(٧)، إذ العادة قد جرت بأن (الفعل) يستعمل كثيراً في كل ما يحدث على النوليس المعروفة والأسباب الكونية المألوفة، و(الخلق) يقال فيما فيه إبداع واختراع ولو بغير ما يعرف من الأسباب، فيقال: خلق الله السماوات والأرض، ولا يقال: فعل الله السماوات والأرض. ولما كان إبداع يحيى بين زوجين كإيجاد سائر الناس عبّر عنه بالفعل، وإن كان فيه آية لزكريا أن هذين الزوجين لا يولد لمتلهما عادة، وأما إبداع عيسى، فهو على غير المعهود

(١) سورة مريم، آية ١٩.

(٢) سورة مريم، آية ٢٠.

(٣) الصابوني، النبوة والأنبياء، ص: ١٩١.

(٤) سورة مريم، آية ٢١.

(٥) سورة آل عمران، آية ٤٧.

(٦) سورة آل عمران، آية ٤٠.

في التوالد، لأنه من أم غير زوج في الظاهر، فكان بالأمور المبتدأة بمحض القدرة أشبهه،
والتعبير عنه بالخلق أليق. (١)

ثانياً: الحمل بعيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ آفَاقًا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحَ
مِنْهُ ﴾. (٢) بيّنت هذه الآية الكريمة أنّ عيسى عليه السلام خُلِقَ بأمرين: بكلمة من الله، وروح
منه.

الأمر الأول: خلق الله عيسى عليه السلام بكلمة الله (كن)

جاء في محكم التنزيل: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ (٣) يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾. (٤) إن الكلمة من الله المذكورة في الآية الكريمة مفسرة بأنها المسيح
عيسى بن مريم، بدليل أن الضمير في كلمة (اسمه) جاء مذكراً مع أنه يعود على مؤنث (كلمة)،
فلم يقل: بكلمة منه اسمها المسيح، لأن المراد بالكلمة مذكر، وهو عيسى عليه السلام، فنكر
الضمير مراعاة للمعنى. (٥)

وقد سمى الله عيسى عليه السلام في هذه الآية بأنه كلمته، لأن عيسى خلق ووجد بكلمة
الله، وهي الكلمة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٤-١٩٩٣)، (٣/٣٠).
(وسأشير إليه فيما بعد بـ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار).

(٢) سورة النساء، آية ١٧١.

(٣) أطلق الملائكة وأريد به جبريل، فهو من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له، ويسمى بالمجاز المرسل.
[الصابوني، محمد علي، صفوة التفسير، دار الفكر، بيروت، (ط١، ١٤١٦-١٩٩٦)، (١/١٨٥)].

(٤) سورة آل عمران، آية ٤٥-٤٦.

(٥) الخالدي، القصص القرآني-عرض وفتح وتحليل لأحداث، (٤ / ٢٠٠)، بتصرف.

* أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ آفَاقًا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ ﴾، فالمقصود بقوله:
'وكلمته آفاقاً': أي أمر بها مريم. (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: ٣٦).

قال له كن فيكون^(١). قال السمين الحلبي في الدر المصون: "والمراد بالكلمة هنا عيسى عليه السلام، سمي كلمة لوجوده بها، وهو قوله (كن فيكون) فهو من باب إطلاق السبب على المسبب."^(٢)

٥٨٧٧٦٣

وهنا يقال: إن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين، فلماذا خص المسيح بإطلاق الكلمة عليه؟

الوجه الأول: كل مخلوق وإن كان مخلوقاً بوساطة الكلمة وهي قوله (كن)، فإن الأشياء تتسبب في العادة والعرف العام في البشر إلى أسبابها، ولما كان السبب المتعارف مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم، فجعل بهذا التأويل كأنه الكلمة نفسها، كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة أنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال، فكذا هنا.

الوجه الثاني: أنه أطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرّقه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين مادياً محضاً. قاله الرازي،^(٣) وجعله من قبيل وصف الناس للسلطان العادل بظل الله ونور الله لما أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان، فكذلك كان عيسى سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

الوجه الثالث: أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه، فقوله: (بكلمة منه) معناه بخبر من عنده أو بشارة، وهو كقول القائل: أتى إليّ فلان كلمة سرني بها، بمعنى أخبرني خبراً فرحت به،^(٤) قاله الطبري واستشهد لقوله بما يلي:

(١) سورة آل عمران، آية ٥٩.

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (ت. ٧٥٦ هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، (ط ١، ١٤٠٧-١٩٨٧)، (٣/١٧٣).

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (٩ / ٥٣).

(٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (٦ / ٨٢)، بتصرف.

١. بقوله تعالى: ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها. قال: فتأويل القول: وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولد لك اسمه المسيح عيسى بن مريم.

٢. وقال مستدلاً على هذا: ولذلك قال الله عز وجل (اسمه المسيح) فنكّر، ولم يقل: (اسمها) فيؤنث، والكلمة مؤنثة لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة، فذكرت كنياتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب. (١)

والذي أرجحه - والله تعالى أعلم - هو الوجه الأول لأنه لما فُقد في تكوين المسيح عليه السلام، وحمل أمه به، ما جعله الله سبباً للحمل، وهو تلقيح ماء الرجل لما في قناة الرحم من بيضة الأنثى، نُسب إلى الكلمة التي خلق بواسطتها.

الأمر الثاني: خلق الله عيسى عليه السلام بروح من الله

قال تعالى: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ (٢)، اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿ وروح منه ﴾، وقد لخص لنا الإمام الفخر الرازي أقوال العلماء في هذه المسألة:

”الأول: أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح. فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكوّن من نفخة جبريل عليه السلام وصف بأنه روح، والمراد من قوله (منه) التشريف والتفضيل كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد كسوتك النعمة كاملة شريفة.

(١) الطبري، جمع البيان في تأويل آي القرآن، (٣ / ٢٦٩).

(٢) سورة النساء، آية ١٧١.

الثاني: أنه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم، ومن كان كذلك وُصِفَ بأنه روح. قال تعالى في وصفه القرآن: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾^(١)

الثالث: (روح منه) أي رحمة منه. قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وأيدهم بروح منه﴾^(٢)، أي برحمة منه. فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سمي روحاً منه.

الرابع: أن الروح هو النفخ في كلام العرب، فإن الروح والريح متقاربان، فالروح نفخة جبريل، وقوله: (منه) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه، وهذا كقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾^(٣).

والقول الراجح - والله تعالى أعلم - هو القول الأول، ومما يؤيد ذلك أن هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الرد على النصارى حيث غالوا في عيسى عليه السلام ورفعوه فوق قدره، فجاء الرد عليهم في هذه الآية ببيان حقيقة عيسى عليه السلام وقدره ومكانته عند الله تعالى. فقد جاءت كلمة روح بالتركيب لإفادة التعظيم، فكان المعنى: وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية، وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم.^(٤) فكما أن عيسى عليه السلام نسب إلى الكلمة لأنه خلق منه، فإنه نسب أيضاً إلى الروح لأنه منه خلق.

فائدة:

"(من) هنا لا ابتداء الغاية، وليست للتبويض كما فهمه بعض النصارى، فادعى أن

عيسى جزء من الله تعالى." ^(٥) "يُحكى أن طبيباً نصرانياً للرشيدي ناظر علي بن حسين الواقدي

(١) سورة الشورى، آية ٥٢.

(٢) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية ٩١.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، (١١٨/٦).

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، (٤١٧/٣).

المروزي ذات يوم، فقال له: "إن في كتابكم ما يدلّ على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلاهذه الآية. فقرأ الواقدي: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾^(١)، فقال: إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه تعالى علواً كبيراً، فانقطع النصراني وأسلم. وفرح الرشيد فرحاً شديداً، ووصل الواقدي بصلّة فاخرة.^(٢)

قال سيد قطب رحمه الله: "قد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه فكان (إنساناً)، كما يقول الله تعالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾^(٣)، وكذلك قال في قصة عيسى: ﴿والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا﴾^(٤) فالأمر له سابقة، والروح هنا هو الروح هناك، ولم يقل أحد من أهل الكتاب - وهم يؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله - إن آدم إله، ولا أقنوم^(٥) من أقانيم الإله، كما قالوا عن عيسى، مع تشابه الحال من حيث قضية الروح والنفخة." ^(٦)

مكان النفخ:

أما بالنسبة لمكان النفخ فقد قال تعالى في كتابه: ﴿والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾^(٧) وقال سبحانه: ﴿ومريم ابنة عمران التي

(١) سورة الجاثية، آية ١٣.

(٢) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، (لا يوجد رقم الطبعة وسنة الطبع)، (٦ / ٢٩-٣٠).

(٣) وسأشير إليه فيما بعد بـ المراغي، تفسير المراغي).

(٤) سورة ص، آية ٧١-٧٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٩١.

(٦) الأقنوم: كلمة سريانية، جمعها أقانيم، وهو الشخص الكائن المستقل بذاته. [الحاج، د. محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، (ط١، ١٤١٣-١٩٩٢)، ص: ٢٠٩.

(٧) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط٧، ١٤١٢ - ١٩٩٢)، (٢/ ٨١٧). [وسأشير إليه فيما بعد بـ قطب، في ظلال القرآن).

(٨) سورة الأنبياء، آية ٩١.

أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴿^(١)﴾

فقد اختلف العلماء في معنى الفرج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته:

١. فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

٢. وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبريل منه قبل أن تعلم أنه رسول

ربها. ^(٢) قالوا: والذي يدلّ على ذلك قوله: ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾، وجبريل عليه

السلام إنما نفخ في جيبها، ولم ينفخ في فرجها. وكل خرق في الثوب يسمّى جيباً، ومنه قوله

تعالى: ﴿ وما لها من فروج ﴾. ^(٣)(٤)

قال الفراء: " ذكر المفسرون أن الفرج جيب درعها وهو محتمل لأن الفرج معناه في

اللغة كل فرجة بين الشئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو فرج، وهذا أبلغ في الثناء

عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي للنفس أمنع". ^(٥) وقد ردّ الزمخشري هذا القول واعتبره

من بدع التفاسير. ^(٦)

والذي أرجحه هنا القول الأول إنّ المقصود فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة، والله

تعالى أعلم. وهذا ما ذهب إليه الطبري حيث قال: " والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك،

(١) سورة التحريم، آية ١٢.

(٢) الطبري، جلع البيان في تأويل آي القرآن، (١٧ / ٢٤).

(٣) سورة ق، آية ٦.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، (١٥ / ٥١)، بتصريف.

(٥) الألويسي، روح المعاني، (١٥ / ٢٤٤).

(٦) الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، (ت. ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الألقاب في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧)، (٤ / ٥٧٧). (وأساساً إليه فيما بعد بـ الزمخشري، الكشاف).

قول من قال: (أحصنت فرجها) من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر

في ظاهر الكلام (فنفخنا فيها من روحنا) يقول: "فنفخنا في جيب درعها من روحنا." (١)

ثالثاً: الحكمة في كون المسيح ولد من غير أب

"وهنا لا بد من الإشارة إلى السبب الذي من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب.

فإنه لا بد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلت قدرته، وقد أشار إليها سبحانه في قوله تعاليت

كلماته: ﴿ونجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾. (٢) وإنما نتلمس تلك الآية الدالة

في ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان:

الأمر الأول: إن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه

الفاعل المختار المرید، وأنه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التي

نرى العالم يسير عليها في نظامه الذي أبدعه الله والذي خلقه. (٣) فكان عيسى عليه السلام آية

الله على أنه سبحانه "يحكم قانون السببية ولا يحكمه قانون السببية." (٤)

الأمر الثاني: إن ولادة المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها،

حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التي يتكوّن

منها. فلقد قيل عن اليهود إنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً ولا يقرّون أنه جسم

وروح. (٥)

(١) الطبري، جلع البيان في تأويل آي القرآن، (١٧ / ٨٤).

(٢) سورة مريم، آية ٢١.

(٣) أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، (لا يوجد رقم الطبعة وسنة الطبع)، ص: ١٧ (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية).

(٤) الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لمسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، (ط ٣، ١٤١٧-١٩٩٧) ص: ٣٤

(٥) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص: ١٧-١٨، بتصرف.

وهناك وجه آخر^(١) في قوله تعالى : « ولنجعله آية للناس » ، وهو أن يكون ذلك إرهاباً من إرهابات نبوة عيسى عليه السلام بين قوم لم يكونوا يتوقعون رسولاً جديداً بعد موسى عليه السلام. قال تعالى: « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ». (٢)

(١) هذا الوجه ذكره الدكتور الفاضل حسين عبد الحميد النقيب أستاذي في كلية الشريعة في جامعة النجاح.

(٢) سورة القصص، آية ٤٨.

الفصل الأول: مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: طور الطين.

المبحث الثاني: طور النطفة، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف النطفة

المطلب الثاني: المراحل التي تمر بها النطفة، وهي:

أولاً: مرحلة الماء الدافق.

ثانياً: مرحلة السلالة.

ثالثاً: مرحلة النطفة الأمشاج.

رابعاً: مرحلة الحرث.

المبحث الثالث: طور التخليق، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: مرحلة العلقة.

المطلب الثاني: مرحلة المضغة.

المطلب الثالث: مرحلة العظام.

المطلب الرابع: مرحلة اللحم.

المبحث الرابع: طور النشأة أو الخلق الآخر

مدخل

يقول المولى عز وجل: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(١). ويقول سبحانه: ﴿ ألم يك نطفةً من مني يمنى * ثم كان علقةً فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾^(٢). ويقول تعالى: ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك ﴾^(٣).

عند النظر إلى هذه الآيات وغيرها التي تتحدث عن مراحل خلق الإنسان، نقف بكل خشوع وإجلال أمام المصطلحات الواردة في القرآن الكريم والتي جاءت معبرة بكل دقة عن التطورات التي تحدث في المراحل المختلفة للتخلق، بحيث تصف هذه الأحداث حسب تسلسلها الزمني. فنلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى المدة الزمنية التي يستغرقها الحدث من حيث طول الزمن أو قصره بحرفي العطف (الفاء) و(ثم). وأداة العطف (ثم) في العربية تدل على وجود فاصل زمني بين حدثين، بينما يدل حرف (الفاء) على التعقيب الفوري للحدث دون فاصل زمني.^(٤)

وتطبيقاً لذلك على آيات القرآن الكريم التي تصف مراحل التخلق البشري، وخاصة الآيات الواردة في سورتي (المؤمنون) و(القيامة)، نجد ما يلي:

أولاً: أن أداة العطف (ثم) جاءت لتدل على التسلسل البطيء بين مرحلتَي النطفة والعلقَة.

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٤.

(٢) سورة القيامة، آية ٣٧-٣٩.

(٣) سورة الانفطار، آية ٧-٨.

(٤) لياض، د. محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ١٢٥، ١٢٩ (بتصرف).

ثانياً: أن أداة العطف (الفاء) جاءت لتدل على التعقيب الفوري بين مرحلتَي العلقَة والمضغَة، والمضغَة والعظام، والعظام واللحم.

ثالثاً: استعمال حرف العطف (ثم) بين مرحلتَي الكساء باللحم والنشأة.

ففي حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ، دقيقة المعنى، حيث ذكر الله تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله، فبدأ بالخلق الأول، وهو خلق آدم من طين، وعندما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بـ (ثم) لما بينهما من التراخي، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخٍ عطفه بالفاء ولما انتهى إلى جعله نكراً أو أنثى - وهو آخر الخلق - عطفه بـ (ثم).^(١)

" فالعلقة والمضغَة والعظام طور واحد، ولذلك دخلت (الفاء) بين مراحلها للدلالة على

اتصالها، ودخلت (ثم) بين الأطوار الأخرى للدلالة على تباينها، وشدة التفاوت بينها." ^(٢)

وهذا القول ارتضاه صاحب المنار في الكشف عن سر اختلاف العواطف في الآية

الواردة في سورة (المؤمنون) حيث قال: فالسلالة المستخرجة من الطين هي المكوّن الأول الذي يعبرون عنه بلسان العلم بالبروتوبلازما، ومنها تكون أصلنا في ذلك الطور لأنه تعالى يقول إنه خلقه من تلك السلالة، ثم انتقل إلى طور التولد بوساطة النطفة في القرار المكين، وهو الرحم، ثم انتقل إلى طور تحول النطفة إلى علقَة، والعلقَة إلى مضغَة، والمضغَة إلى هيكل من العظام يكسى لحماً، وقد عد هذا طوراً واحداً، ثم أنشأ خلقاً آخر، وهو الطور الأخير. ^(٣)

(١) الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإمامة ودار ابن كثير، (دمشق - بيروت)، (١٤١٩-١٩٩٩). (٥ / ١٩٠)، (بتصرف قليل).

(٢) للخضري، د. محمد الأمين، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، مكتبة وهبة، القاهرة، (١٤١٤ - ١٩٩٣)، ص: ٢٧٥. (وسأشير إليه فيما بعد بالخضري، من أسرار حروف العطف في السكر الحكيم (الفاء وثم)).

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (٣ / ٣٢٠)، (بتصرف قليل).

ومما يدل على هذا القول ما جاء في سورة غافر في بيان أطوار خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ﴾ (١)، حيث اكتفى بالعلقة عن المضغة والعظام، وجعلها طوراً مستقلاً، ولو كانت كل من المضغة والعظام طوراً قائماً بذاته، لما كانت صالحة للاختزال. ونلاحظ أن هذه الآية التقت مع ما جاء في سورة (المؤمنون) من بيان الأطوار الأربعة: السلالة، وهي التراب، والتولد بواسطة النطفة، ومراحل تكون الجنين في بطن أمه، وإخراجه طفلاً، المعبر عنه هناك بالخلق الآخر، فنلاحظ أنه لم يختزل من الأطوار الرئيسية شيئاً، واختزل من طور تكون الجنين بعض مراحلها. (٢)

وللبعض رأي آخر في هذه المسألة صرح به بقوله: "واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات" (٣). فقال الشهاب الخفاجي تعليقاً عليه: "لتفاوت الاستحالات) يعني أن بعضها مستبعد حصوله مما قبله، وهو المعطوف بتم، فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً، وكذا جعل تلك النطفة البيضاء دماً أحمر، بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة، وكذا تثبيتها وتصلبها حتى تصير عظماً، لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد، وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره. " (٤)

ومع وجهة هذا الرأي إلا أن الرأي الأول أكثر دقة ويكشف عن إعجاز القرآن الكريم في بيان الزمن في أطوار خلق الإنسان، والله تعالى أعلم. وهنا قد يعترض عليّ بأمرين اثنين، سأذكرهما ثم أرد عليهما:

(١) سورة غافر، آية ٦٧.

(٢) الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، (الغاء وثم)، ص: ٢٧٥، بتصريف قليل.

(٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي، (٤/١٤٩).

(٤) الخفاجي، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر، (ت. ١٠٦٩ هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧)، (٦ / ٥٦٣). (و سأشير إليه فيما بعد بـ الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي).

أما الأول: فهو قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾. (١)

نلاحظ في هذه الآية أن حرف (ثم) دخلت بين المضغة والعلقة، وليس بين هاتين المرحلتين تفاوت وبعد يستدعي حرف المباشرة، بينما في سورة (المؤمنون) دخلت حرف الفاء بينهما.

وتوجيه ذلك أن الاختلاف نابع من اختلاف الخطاب، فالمخاطب في سورة (المؤمنون) هم المؤمنون حيث استهلت بهم السورة: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (٢)، وتتابع أوصافهم إلى أن جاءت قصة الخلق هذه ليكشف الله تعالى فيها عن أسرار خلق الإنسان وأطوار تكوّنه. فالمخاطب هنا باحث عن المعرفة، مستقبل لها استقبال الموقن بصدق الخبر، بينما في سورة الحج المخاطب منكر البعث بدليل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾.

فقصة الخلق سبقت لبيان قدرة الله على الإحياء بعد الإماتة فاستدعى مقام الإنكار تعديد الأطوار وإبراز مراحل الطور الواحد في صورة أطوار متعددة، باعد بينها حرف التراخي ليظهر عظيم قدرة الله في أن يخلق الشيء من أبعد ما يكون عنه مادة وجنساً، وما يستحيل في العقل والعادة أن يكون منه، بل إن أقل المراحل بعداً، وأقربها إلى الاتصال، وهي الانتقال من العلقة إلى المضغة، فهي مستبعدة في حكم العقل، فلا تستحيل العلقة مضغة إلا على يد قادر عظيم، لا يستبعد من مثله أن يعيد الخلق كما بدأه، فكان حرف التراخي هو الأجدر بمقام التعديد

(١) سورة الحج، آية ٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١-٢.

والاستبعاد من جهة، والتوضيح والتبيان الذي يدعو إلى الإيمان بالبعث من جهة أخرى، بينما دخلت (الفاء) في خطاب المؤمنين المصدقين لتصل بين مراحل الطور الواحد. فهم لا ينكرون قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، ولذلك ذُلت قصة الخلق في خطابهم بقوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، لتلهج ألسنتهم بما أيقنت به قلوبهم، وشفعت قصة الخلق في خطاب المنكرين بقوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾^(١). فكان اختلاف الخطاب سبباً إلى اختلاف العواطف، والله تعالى أعلم. (٢)

أما الثاني: فهو الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد".^(٣)

في محاولة فهم الحديث النبوي الشريف السالف ذكره، وقع خلاف بين علماء المسلمين القدامى في تحديد مدة النطفة والعلقة والمضغة، هل هي أربعون يوماً لكل منها، أم أربعون يوماً لها جميعها.

فسر بعض هؤلاء العلماء هذا الحديث على أنه يعني أن النطفة والعلقة والمضغة تتم على التوالي في فترات طول كل منها أربعون يوماً.^(٤) قالوا: "مدة كل طور من النطفة والعلقة

(١) سورة الحج، آية ٦-٧ .

(٢) الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، ص: ٢٧٥-٢٧٧ (باختصار)، وانظر: الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، ص: ٥٦-٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم ٢٦٤٣، (٢٠٣٦/٤).

(٤) فياض، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان، ص: ١٢٣، بتصرف قليل.

والمضغة - كما حددها الرسول ﷺ هي أربعون يوماً، فإما أن تستقصر جميعها فيؤتى بحسرف التعقيب أو تستطال جميعها فيجتلب لها حرف المهلة. أما أن ينظر إلى بداية الطور تارة وإلى تمامه تارة أخرى فذلك لا بد له من موجب، وهو ما لم يكشف عنه الرضي.^(١)

والذي نلاحظه أن لهذا الحديث الشريف عدة روايات في صحيح البخاري:

١. "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح".^(٢)

٢. "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلة ثم يكون علقه مثله ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح".^(٣)

٣. "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد".^(٤)

٤. "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد".^(٥)

(١) الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (٦ / ٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم ٣١٥٤، (٣/١٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، برقم ٧٠١٦، (٣/١٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب نكر الملائكة، برقم ٣٠٣٦، (٣/١١٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب القدر، برقم ٦٢٢١، (١/٢٤٣٣).

فلاحظ من خلال هذه الروايات ما يلي:

١. أن جميع روايات البخاري ومسلم لا تنكر لفظ (نطفة) بعد قوله (أربعين يوماً)، وإنما جاء

هذا اللفظ في رواية أبي عوانة، أي أن روايته هي: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه

أربعين يوماً نطفة"، إلا أن هذه الرواية ضعيفة السند، كما أن هذا اللفظ المدرج لا أصل له

في جميع روايات البخاري ومسلم ولا حتى في غيرها من كتب الأصول. (١)

٢. "كان كثير من العلماء المسلمين يدركون تمام الإدراك أن الجنين ينمو ويكتمل تصويره

وتخليقه قبل تمام الأشهر الأربعة، وكان هذا معروفاً لديهم في الشرع وفي الطب.

أما في الشرع: فقد صحّ من حديث الرسول ﷺ قوله: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة

بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها". (٢) فهذا خبر

واضح في أن تصوير الجنين وخلق كافة أعضائه يكون بعد ستة أسابيع من عمره في بطن

أمه.

وأما طبياً: فقد نقل أكثر من فقيه مسلم عن أطباء عصرهم أن الجنين يستكمل أعضائه قبل

تمام الأشهر الأربعة، وأن ذلك لا يتعارض مع ما جاء به الشرع من حقيقة تأخر نفخ

الروح". (٣)

فنجد من السابقين مثلاً من فهم أن خلق الإنسان يجمع في بطن أمه في أربعين يوماً

الإمام ابن القيم.

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت. ٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٠-١٩٨٩)، (١١ / ٥٨٧) (وسأشير إليه فيما بعد بـ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقارته وسعنته، برقم ٢٦٤٥، (٤/٢٠٣٧).

(٣) ياسين، نعيم، قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، (ط٢، ١٤١٩-١٩٩٠)، ص: ٨٣. (وسأشير إليه فيما بعد بـ ياسين، قضايا طبية معاصرة).

يقول الإمام ابن القيم: "اقتضت حكمة الخلاق العليم سبحانه أن جعل داخل الرحم خشناً كالإسفنج وجعل فيه طلباً للمني وقبولاً له...^(١) فإذا اشتمل على المنى ولم يقذف به إلى خارج استدار على نفسه وصار كالكرة وأخذ في الشدة إلى تمام ستة أيام^(٢)، فإذا اشتد نطف فيه نقطة في الوسط، وهو موضع القلب، ونقطة في أعلاه، وهي نقطة الدماغ، وفي اليمين، وهي نقطة الكبد، ثم تتباعد تلك النقط ويظهر بينها خطوط حمراء إلى تمام ثلاثة أيام آخر، ثم تنفذ الدموية في الجميع بعد ستة أيام آخر فتتميز الأعضاء الثلاثة فيصير ذلك خمسة عشر يوماً^(٣)، ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوماً^(٤)، ويصير المجموع سبعة وعشرين يوماً، ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن عن الجبين وذلك في تسعة أيام فتصير ستة وثلاثين يوماً، ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس ظهوراً بيتاً في تمام أربعة أيام^(٥). فيصير المجموع أربعين يوماً تجمع خلقه وهذا مطابق لقول النبي في الحديث المتفق على صحته (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً). واكتفى النبي ﷺ بهذا الإجمال عن التفصيل وهذا يقتضي أن الله قد جمع فيها خلقها جمعاً خفياً، وذلك الخلق في ظهور خفي على التدرج ثم يكون

(١) العجيب أن ابن القيم الفقيه المحدث قد وصف الرحم بأنه إسفنجي القوام بل قال عنه أنه يشبه الإسفنج. وهذا صحيح لأن الرحم يصبح في مرحلة من مراحل إسفنجي القوام ناحية جداره. (البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٧٢، بتصرف).

(٢) وهذا الكلام يتفق مع الطب الحديث تماماً إذ أن النطفة الأمشاج بعد ستة أيام تصبح مثل الكرة تماماً أو مثل ثمرة التوتة، وتدعى عندئذ التوتة، ثم يمتلئ جوف هذه الكرة بسائل وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية. (البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٦-٢٠٧، ٣٩٠، بتصرف).

(٣) ٢٤-١٥+٩

(٤) ٣٦-١٢+٢٤

(٥) ٤٠-٣٦+٤

مضغة أربعين يوماً أخرى، وذلك التخليق يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر للحس ظهوراً لا خفاء به كله." (١)

و كان الغالب على الجنين في الطور الأول أعراض النطفة، وفي الأربعين الثانية أعراض العلقه، وفي الأربعين الثالثة أعراض المضغة، ورد الحديث على هذا البيان طبقاً للظاهر المحسوس، وإن كان خلق الجنين وتصويره قد تم قبل ذلك؛ فإن الروح الإنساني مستدع لتماخض خلقه وتصويره، كيف والروح هي اللطيفة الربانية المتعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وذلك يستدعي تمام الخلقة والتصوير. (٢)

"هذا وقد قرر الأطباء أن جميع الأعضاء الرئيسية للإنسان تتخلق واحداً بعد الآخر، فلا تمرّ الأربعون يوماً الأولى إلا وقد اجتمعت جميع الأجهزة ولكن في صورة براعم وتكون مجموعة في حيز لا يزيد عن سنتيمتر. ويكون الجنين مجموعاً حول نفسه بالتفاف في شكل قوس، أو ما يشبه حرف (C) بالإنجليزية." (٣)

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت. ٨٧٥١)، التبيان في أقسام القرآن، المؤسسة السعدية بالرياض،

(٢/ ١٥٨-١٥٩). (وسأشير إليه فيما بعد بـ ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن).

(٣) ياسين، قضايا طبية معاصرة، ص ٨٥، نقلاً عن كتاب المطالب القدسية.

(٣) فياض، محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ١٣٤-١٣٥.

وبعد كل هذا نستطيع القول بأن الآيات القرآنية قد جعلت أطوار خلق الإنسان أربعة

أطوار أساسية هي:

١. طور الطين.
٢. طور النطفة: وهي الفترة التي تمتد ما بين الإخصاب إلى الغرس.
٣. طور التخليق: وهي تمتد من الأسبوع الثالث إلى نهاية الأسبوع الثامن، وتشمل مرحلة العلقة والمضغة، والعظام والكساء باللحم.
٤. طور النشأة: وهي مرحلة تالية، فيها تنشط عمليات النمو والتشكل، ثم يحدث التطور في المظهر الخارجي، فيتخذ الجنين شكلاً بشرياً مميزاً ومعتدلاً.^(١)

(١) المصدر السابق، ص: ١٢٢، وانظر: الزنداني، Human Development as Described in The Quran and Sunna

المبحث الأول: طور الطين

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾^(١) وقال جل وعلا: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾^(٢) والسلالة الخُلَاصَة لأنها تُسَلُّ من بين الكدر، فُعَالَة وهو نِباء يدل على القلّة كالقلامة والقمامة. وقد اختلف أهل التفسير في الإنسان:

١. قال قتادة^(٣): المراد منه آدم عليه السلام، حيث استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين. وقوله تعالى: (ثم جعلناه)، الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم، والإنسان شامل لآدم عليه السلام ولولده.

٢. وقال آخرون: الإنسان هنا ولد آدم والطين اسم آدم عليه السلام، قاله ابن عباس ومجاهد. والسلالة هي الأجزاء الطينية المبتوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المنى صارت طيناً.^(٤) وهذا ما رجّحه الطبري حيث قال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفة مائه، وآدم هو الطين لأنه خلق منه، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لدلالة قوله: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) على أن ذلك كذلك، لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل،

(١) سورة السجدة، آية ٧.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٨/١٨).

(٣) هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكاية، حافظ العصر، قوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السنوسي البصري الضرير الأكمه. توفي سنة ثمانين عشرة ومئة (١١٨هـ) [الذهبي، شمس النبى محمد بن أحمد بن عثمان، (ت. ١٣٧٤هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٧ط)، ١٤١٠-١٩٩٠، (٥/٢٦٩-٢٧٠، ٢٨٣).

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٢.

ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين، والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سليله
وسلالته لأنهما مسلولان منه.^(١)

وقول الطبري: " وآدم هو الطين لأنه خلق منه"، غير مسلم، فأدم خلق من طين
ولم يكن طيناً. والذي أراه في هذه المسألة أن ابتداء خلق الإنسان كان من الطين وهذا شأن
آدم أبي البشر. ثم كان خلق كل إنسان بعده من ماء مهين. وهذا هو الأقرب إلى فهم الآيات
والمطابق للواقع، وما سوى ذلك من الأقوال إنما هي نظريات لا تستند إلى دليل مقبول.
وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾^(٢) وقوله: ﴿وتقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ المراد منهما جنس الإنسان.
فبدأ خلق (جنس الإنسان) من طين، وهذا المخلوق هو آدم. وقوله: " ثم جعلناه نطفة "
يعني: ثم جعلنا خلق (جنس الإنسان) من نطفة في قرار مكين.^(٣) والله تعالى أعلم.
ومن هنا نلاحظ أن الإنسان مخلوق من سلالة بشرية من آباء وأجداد، وأول هذه السلالة آدم
عليه السلام، وهو مخلوق من طين.^(٤)

وقد اكتشف العلم الحديث أن تكوين الإنسان من ناحية العناصر التي تتعاون في تركيبه
هي بالدرجة الأولى من الماء، حتى ليقال ليس الإنسان سوى برميل صغير من الماء مع عناصر
معدنية أخرى. إذن الإنسان هو تراب وماء وتتكون سلالاته وفق هذه المعادلة.^(٥)

(١) الرازي، التفسير الكبير، (١٢ / ٨٥)، والطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٧/١٨)، بتصرف.

(٢) سورة السجدة، آية ٧.

(٣) وهذا هو رأي الدكتور الفاضل حسين عبد الحميد النقيب أستاذي في جامعة النجاح.

(٤) القضاء، د. شرف، متى تنفخ الروح في الجنين، دار الفرقان، الأردن، (ط١، ١٤١٠-١٩٩٠)، ص: ٥٢. (وسأشير
إليه فيما بعد بـ القضاء، متى تنفخ الروح في الجنين)

(٥) كنجو، خالص جلبي، الطب محراب للإيمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠١- ١٩٨١)، (١/٥٩، ٦٢) بتصرف
قليل. (وسأشير إليه فيما بعد بـ خالص جلبي، الطب محراب للإيمان).

المبحث الثاني: طور النطفة

المطلب الأول: تعريف النطفة

النطفة في اللغة العربية تطلق على عدة معانٍ منها:

١. القطرة، يقال: جاء وعلى جبينه نطافٌ من عرق، أي: قطرات.

٢. اللؤلؤة الصغيرة الصافية اللون.

٣. القليل من الماء الذي يبقى في الدلو أو القربة.

٤. الماء الصافي قل أو كثر، يقال: سقاني نطفةً عذبة^(١).

أما في الاصطلاح القرآني فالنطفة لها معنيان:

المعنى الأول: المنى،^(٢) وهو يشمل:

أولاً: ماء الرجل، وهو الماء الغليظ الدافق الذي يخرج عند اشتداد الشهوة.^(٣)

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت. ٧١١ هـ)، لسان العرب، مادة (نطف)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣، ١٤١٩-١٩٩٩)، (١٤ / ١٨٧). (وسأشير إليه فيما بعد بـ ابن منظور، لسان العرب)، والمعجم الوسيط، (٩٣١/٢)، والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (نطف)، ص: ٤٩٨. (وسأشير إليه فيما بعد بـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن).

(٢) نلاحظ أن كلمة (نطفة) أعم من (المنى)، فالمنى يشمل ماء الرجل وماء المرأة فقط، وهو يفيد أن الولد يقتدر من الماء، وهو من قولك: منى الله له كذا، أي قتره، ومنه المنى الذي يوزن به. أما مصطلح (النطفة)، فهو يشمل المنى بالإضافة إلى الطور الأول في تخلق الجنين، كما أنه يفيد الماء القليل، والماء القليل تسميه العرب (النطفة). [انظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، (ت. ٤٠٠ هـ)، كتاب الفروق، جروس برس، طرابلس - لبنان، (١، ١٤١٥-١٩٩٤)، ص: ٣٤٦] (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو هلال العسكري، كتاب الفروق). (٣) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد، أبو محمد، (ت. ٦٢٠ هـ)، المقننى، دار الفكر، بيروت، (١، ١٤٠٥)، (١٢/١) (وسأشير إليه فيما يأتي بـ ابن قدامة المقدسي، المقننى).

ثانياً: ماء المرأة،^(١) وهو الماء الرقيق الأصفر الذي يخرج عند اشتداد الشهوة.^(٢)

ولم يرد في القرآن الكريم نص مخصوص على ماء الرجل أو ماء المرأة، وإنما ورد

ذكر النطفة مجملاً لتشمل نطفة الرجل والمرأة،^(٣) تماماً كما هو الحال في الماء الدافق، والماء

المهين، والسلاطة. يقول تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ • مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ • مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ

فَقَدْرَةً ﴾^(٤) ويقول عز وجل: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾.^(٥)

ومما نلاحظه أيضاً أن إطلاق القرآن الكريم لفظ النطفة على مني الرجل والمرأة لم

يكن جزافاً، بل هي تسمية كيميائية، فالنطفة لغوياً - كما أشرنا آنفاً- تعني القليل من الماء، من

باب تسمية الكل باسم الجزء الأكبر فيه، فالماء يكون ٨٥% من مني الرجل والمرأة.^(٦) ومن هنا

يمكن أن نفهم نفهم سر استعمال القرآن الكريم مصطلحي "الماء المهين" و "الماء الدافق".

(١) يمكن إدخال ماء المرأة في المنى ودليله: حديث أم سلمة التي جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال: نعم، إذا رأت الماء. فغطت أم سلمة (تعني وجهها)، وقالت: يا رسول الله، وتحتم المرأة؟ قال ﷺ: نعم، تربت يمينك، فيم يشبهها ولدها؟ [أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، برقم ١٣٠، (٦٠/١)] وكذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم حيث قال الرسول ﷺ لليهودي الذي سأله عن الولد: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر" [أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، برقم ٣١٥، (٢٥٢/١-٢٥٣)].

(٢) ابن قدامة المقدسي، المغني، (١٢٨/١)، بتصرف قليل.

(٣) وهذا الكلام ينطبق أيضاً على مصطلح النطفة في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّرِّيَّاتِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى • مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ (سورة النجم، ٤٥-٤٦).

(٤) سورة عبس، آية ١٧-١٩.

(٥) سورة النحل، آية ٤.

(٦) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني - الثوابت العلمية في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، (ط٤، ١٩٩٩)، ص: ١٦٦، (بتصرف قليل)، وسأشير إليه فيما بعد - الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني).

أما المعنى الثاني للنطفة في الاصطلاح القرآني: فهو الطور الأول في تخلق الجنين بحسب التقسيم القرآني: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾^(١) ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(٢) ويبدأ طور النطفة منذ الحمل، وينتهي في اليوم الخامس أو السادس مع بدء طور العلقة.^(٣)

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٣.

(٢) سورة طه، آية ٦٧.

(٣) الشريف، عدنان، من علم الطب للقرآني، ص: ٣٦-٣٧ (بتصرف).

المطلب الثاني: المراحل التي تمر بها النطفة

لو تتبعنا النطفة في رحلة تطوراتها التي تبدأ من الحيوان المنوي والبيضة وتنتهي بالحرث والانغراس للاحظنا أن القرآن الكريم يطلق على النطفة عبر كل مرحلة تمر بها تسمية تتناسب مع تلك المرحلة. فالمراحل التي تمر بها النطفة أربع^(١) هي:

أولاً: مرحلة الماء الدافق: حيث أن ماءً دافقاً يخرج من الخصية يحمل الحيوانات المنوية، وكذلك يخرج ماءً دافقاً من حويصلة البيضة يحمل البيضة.

ثانياً: مرحلة السلالة: حيث ينسل حيوان منوي واحد فقط من الحيوانات المنوية التي توجد عادة في نطفة الرجل، وكذلك تنسل بيضة واحدة فقط من حويصلة البيضة لتلتقي بسلالة الرجل في أنبوب الرحم.

ثالثاً: مرحلة النطفة الأمشاج: وهي النطفة الناتجة عن اتحاد سلالة الذكر (الحيوان المنوي) بسلالة الأنثى (البيضة) وتعتبر بداية مرحلة خلق الإنسان.

رابعاً: مرحلة الحرث: وفي هذه المرحلة تنغرس النطفة الأمشاج في باطن الرحم من أجل التهيؤ للمرحلة القادمة وهي مرحلة العلق.

وسندرس كل مرحلة من هذه المراحل بالتفصيل بإذنه تعالى.

المرحلة الأولى من مراحل طور النطفة: مرحلة الماء الدافق

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق ﴾^(٢)

ومعنى الدفق في اللغة: سائل بسرعة، ومنه استعير جاءوا دققاً، وبغير أدق، أي سريع.^(٣)

(١) ذكر هذه المراحل الأربع عبد المجيد الزنداني في الكتاب الذي شارك في تأليفه مع مجموعة من الأطباء: Human Development as Described in the Quran and Sunna –Correlation with Modern Embryology, pgs. ٣٤-٣٩.

(٢) سورة الطارق، آية ٥-٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٧٧، بتصريف قليل.

والدقق صب الماء، يقال: دقتُ الماء، أي صببته وهو مدفوق، أي مصبوب، ومندقق

أي منصب^(١)، ولما كان هذا الماء مدفوقاً اختلفوا في أنه لَمْ وَصِفَ بأنه دافق. (٢)

إذا اعتبرنا فعل (دقق) فعلاً متعدياً كما يرى الأزهرى^(٣) حيث قال: "فعل دقق متعدٍ، يقال:

دقت الكوز فاندقق وهو مدفوق."^(٤) فهذا يحتاج إلى تأويل:

١. فذهب أكثر أهل التفسير إلى تأويل كلمة (دافق) وجعلها بمعنى (مدفوق) ويدخل هذا فيما

يسمى عند علماء المعاني بالمجاز العقلي.^(٥)

٢. ويرى سيبويه أنه بمعنى (ذي دقق) كتول العرب (لابن) أي: ذو لبن، و(تامر) أي: ذو تمر.

أما على رأي من يرى من اللغويين أن فعل دَقَّقَ يستعمل متعدياً ويستعمل لازماً أيضاً:^(٦)

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دقق)، (٣٧٣/٤).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (١٦ / ١٢٩).

(٣) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد سنة (٢٨٢ هـ)، نسبته إلى جده (الأزهر). عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، من كتبه: (تهذيب اللغة)، و(غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء)، و(فوائد منقولة من تفسير للمزني). توفي عام (٣٧٠ هـ) في هراة بخراسان. [الزركلي، الأعلام، (٣١١/٥)، بتصريف].

(٤) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت. ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١، ١٤٢١-٢٠٠١)، (٥٢/٥)، بتصريف.

(٥) قسم البلاغيين المجاز تسمين:

الأول: المجاز في التركيب: ويسمى مجاز الإسناد والمجاز العقلي وعلاقته الملابس، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملاسته له، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (سورة الأنفال، آية ٢) حيث نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً لها.

الثاني: المجاز في المفرد: ويسمى المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، وأنواعه كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾ (سورة البقرة، آية ١٩) أي أناملهم، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إبخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار، فكأنهم جعلوا الأصابع. [السيوطي، إتيقان في علوم القرآن، (٧٨، ٧٧/٢)، بتصريف].

(٦) قال الفيروزآبادي: " (دقق) متعدٍ عند الجمهور". فنلاحظ أن قول الفيروزآبادي (عند الجمهور) يدل على أن بعض أهل اللغة يرون استعماله لازماً. [انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت. ٨١٧ هـ)، القلموس المحيط، دار الفكر، بيروت، (١٩١٥-١٩٩٥)، ص: ٧٩٥] (وسائير إليه فيما يأتي بـ الفيروزآبادي، القاموس المحيط).

فكلمة (دافق) اسم فاعل من اللازم، بمعنى يتدفق، وبناء على هذا فلا حاجة إلى التأويل.^(١)
وقال ابن عطية: الدفق دفع الماء بعضه ببعض، يقال: تدفق الوادي والسيول إذا جاء يركب
بعضه بعضاً. ويصح أن يكون الماء دافقاً، لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه
مدفوق.^(٢) وتعقبه أبو حيان بأن الدفق بمعنى الدفع غير محفوظ في اللغة، بل المحفوظ أنه
الصب.^(٣)

يقول ابن عاشور: والأحسن أن يكون اسم فاعل وأن نعتبره من مجاز الإسناد حيث
أسند تعالى إلى الماء ما لصاحبه مبالغة.^(٤) فسبحان الله الذي خلق وقال في وصف الماء بأنه
دافق، أسند التدفق إلى الماء نفسه، مما يعني أن للماء قوة دفق ذاتية.^(٥)
هذا عن كلمة (دافق) في اللغة ... ولكن ما المقصود (بالماء الدافق)؟
يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِّنْ مَّنِي يَمْنَى ﴾^(٦)، ويقول: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى • مِنْ نَّظْفَةٍ إِذَا تَمْنَى ﴾^(٧).

فالقُرآن يدلنا على أن المني هو السائل أو الماء الذي يحمل النطف، وأنه هو المقصود
بالماء الدافق. وهل هو ماء الرجل وحده، أم هو ماء الرجل وماء المرأة؟

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤٢٠-٢٠٠٠)، ص: ٢٦٦، بتصريف.. وسأشير إليه فيما بعد بـ الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر).

(٢) ابن عطية الأندلسي، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب، (ت. ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، (ط١، ١٤١٣-١٩٩٣)، (٥/٤٦٥)، بتصريف.. وسأشير إليه فيما بعد بـ ابن عطية، المحرر الوجيز).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، (٨/٤٤٩)، بتصريف.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥ / ٢٦٢).

(٥) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٦٧، بتصريف.

(٦) سورة القيامة، آية ٣٧.

(٧) سورة النجم، آية ٤٥-٤٦.

"إنّ الحق سبحانه لم يخص أحدهما بالذكر، فلا بد أن يكون المقصود هو ماء الرجل وماء المرأة معاً، ممّا قد عرفه الأقدمون وأشاروا إليه." (١) قال الألويسي: "وقيل (من ماء) مع أن الإنسان لا يخلق إلا من ماءين، ماء الرجل وماء المرأة، ولذا كان خلق عيسى عليه السلام خارقاً للعادة، لأن المراد به الممتزج من الماءين في الرحم، وبالامتزاج صار ماءً واحداً." (٢)

وقال القرطبي: أراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما. (٣)

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه جواباً للنبي ﷺ على يهودي سأله عن الولد قوله: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أنكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله." (٤)

"أمّا ماء الرجل فهو المنى وهو معروف." (٥) "وقد احتاج العلم الحديث إلى قرون طويلة لكي يتوصل في النهاية إلى ما قرره القرآن الكريم، وهو أن الحيوانات المنوية التي يحتويها ماء الرجل لا بد أن تكون حيوية متدفقة متحركة كشرط أساسي للإخصاب." (٦)

وأما ماء المرأة فهو نوعان:

أولهما: ماء لزج يسيل ولا يتدفق، وهو ماء المهبل وليس له علاقة بتكوّن الجنين، إنّما هو عبارة عن إفرازات تسهّل عملية الجماع فقط وتتنشّط الحيوانات المنوية.

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤٣.

(٢) الألويسي، روح المعاني، (١٦ / ١٧٤).

(٣) القرطبي، الجملع لأحكام القرآن، (٥/٢٠).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، برقم ٣١٥، (٢٥٢/١).

(٥) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤٣.

(٦) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٦٧.

وثانيهما: ماء يتدفق، وهو يخرج مرة واحدة في الشهر من المبيض، وهو يحوي نطفة الأنثى التي تسير نحو البوق، وهو المقصود هنا. (١)

فالبيضة خلية مستديرة لا تستطيع الحركة من تلقاء نفسها ولكنها في الأصل خرجت ضمن ماء دافق. فمبيض المرأة يتكوّن من حويصلات تتضج تباعاً كل شهر فيكبر حجمها وتكثر أوعيتها وتفرز خلاياها سائلاً يملأ الحويصلة المسماة حويصلة جراف، والتي تقترب من سطح المبيض بالتدريج^(٢)، وفي اليوم الرابع عشر تقريباً من دورة المرأة الطمثية الشهرية تنفجر هذه الحويصلة فتطلق منها البيضة مدفوعة بالسائل الذي داخل الحويصلة حاملاً البيضة إلى قناة فالوب (قناة الرحم)، [انظر الشكل ١] حيث تتلقف أهداب بوق قناة الرحم البيضة وتدخلها في هذه القناة الرحمية، وتبقى تنتقل سابحة في هذا الماء عدة ساعات لحين تراوجها مع الحيوان المنوي المناسب لها إن وجدت لها فرصة في الإخصاب.

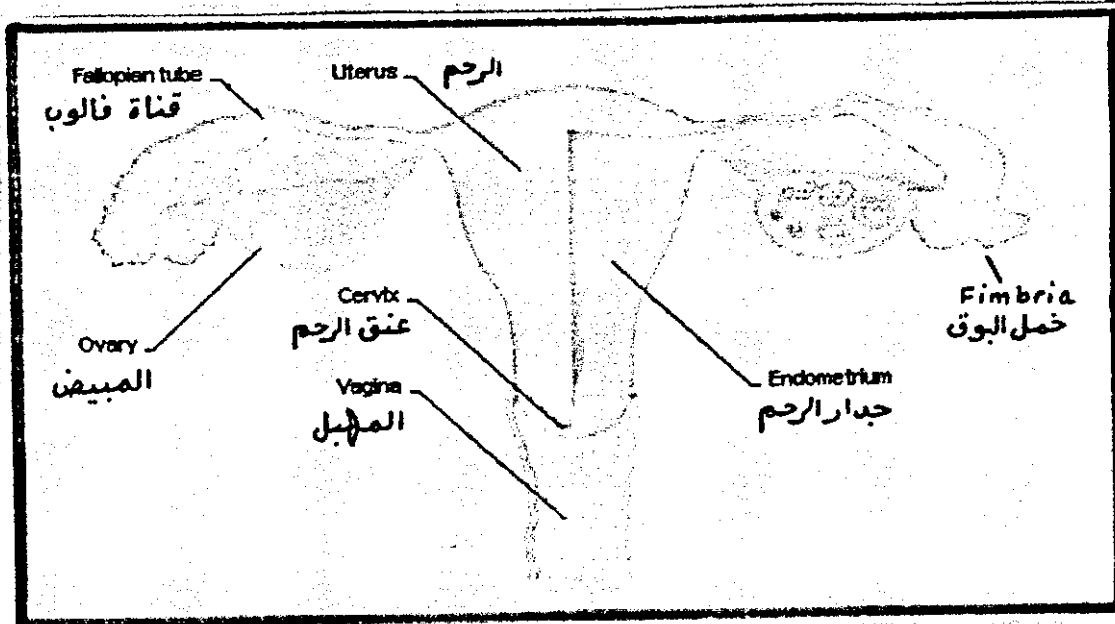
وكما أن الحيوانات المنوية التي يحتويها ماء الرجل لا بد أن تكون حيوية متدفقة متحركة كشرط أساسي للإخصاب، فكذلك البيضة التي يحتويها ماء المرأة لا بد أن تخرج متدفقة إلى قناة الرحم (فالوب)، وبالإضافة إلى ذلك فإن اندفاع البيضة لا بد أن تكون حيوية متدفقة أيضاً حتى يتم الإخصاب.

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان-العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤٣، بتصريف، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني-الثوابت العلمية في القرآن، ص: ٣٦، بتصريف، والنعمي، د. ناطق محمد جواد، مطبقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، دار الكتب، جامعة الموصل، ص: ٣٢، بتصريف. (وسأشير إليه فيما بعد بـ النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة).

(٢) سنوضح ذلك بشيء من التفصيل لاحقاً بإذن الله تعالى تحت عنوان: ملخص ما يحدث في مرحلة الماء الدافق.

وهكذا تتضح معاني الآية الكريمة في إعجازها العلمي الرائع: ماء دافق من الرجل

يحمل الحيوانات المنوية، وماء دافق من حويصلة جراف بالمبيض يحمل البيضة. (١)



الشكل ١: الجهاز التناسلي عند المرأة (٢)

هذا ... ولا بد من إلقاء الضوء بشيء من التفصيل على آية من كتاب الله تعالى حيرت

علماء الإسلام والأطباء كثيراً، واجتهد الجميع في تفسيرها، وذهبوا في ذلك كل مذهب - ألا

وهي آية الصلب والترائب. (٣) قال تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق *

يخرج من بين الصلب والترائب ﴾. (٤)

قال المراغي: " لقد حيرت آية الصلب والترائب الألباب وذهب فيها المفسرون مذاهب

(١) صدقي، نعمت، معجزة القرآن، دار الاعتصام، ص: ١٢٨، بتصرف. (وسائير إليه فيما بعد بصدقي، نعمت، معجزة القرآن). والبار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية، (ط١١، ١٤١٥-١٩٩٤)، ص: ٥٦، بتصرف. (وسائير إليه فيما بعد بـ البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن). والنعي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٣٢-٣٣، بتصرف.

(٢) Microsoft Encarta Reference Library, ٢٠٠٢.

(٣) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٢٣-٢٤، بتصرف.

(٤) سورة الطارق، آية ٥ - ٧.

شتى على قدر ما أوتي كل منهم من علم... وإن كان بعيداً عن الفهم الصحيح والرأي
السديد.^(١)

فما هو الصلب؟ وما هي الترائب؟ وما علاقتهما بالنطفة؟

الصلب في اللغة: هو عظم في الظهر ذو فقار من الكاهل إلى العجب، جمعه أصلب
وأصلاب.^(٢) ويقال هو من صلب فلان: أي من ذريته. والصلب أيضاً: الشديد القوي، وكل مادة
يثبت شكلها وحجمها في الأحوال العادية. والصلب كل ما كان على شكل خطين متقاطعين.^(٣)

أما الترائب، وواحدتها تريبة، ففي معناها الأقوال التالية:

القول الأول: أنه من عظام الصدر، لكنهم اختلفوا في تحديد أي العظام هي:

١. قال ابن منظور: هي موضع القلادة من الصدر.^(٤)
٢. وقال الزجاج: إنها "أربعة أضلاع عن يمنة الصدر، أربعة أضلاع من يسرة الصدر".^(٥)
٣. وقال مجاهد: هي ما بين المنكبين إلى الصدر.^(٦)
٤. وقال الجوهري^(٧): "التريبة واحدة الترائب، وهي عظام الصدر، ما بين الترقوة

(١) المراغي، تفسير المراغي، (١٠/١١٣).

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (صلب)، ص: ٩٨.

(٣) المعجم الوسيط، (١/٥١٩)، بتصرف.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٢/٢٤).

(٥) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٥/٣١٢).

(٦) الطبري، جامع البيان، (٣٠/١٤٤).

(٧) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، أول من حاول الطيران، ومات في سبيله. توفي في نيسابور سنة ٣٩٣.
شهر كتبه: (الصحاح)، وله كتاب في (العروض)، ومقدمة في (النحو). [الزركلي، خير الدين، الأعلام، (١/٣١٣) بتصرف].

والشُدوة." (١) (٢)

القول الثاني : عن ابن عباس: أنها أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان. (٣)

القول الثالث: وقال معمر بن أبي حبيبة المدني: الترائب جمع تريبة، وهي عصارة القلب ومنها يكون الولد. (٤)

القول الرابع: وعن ابن جبير: هي أضلاع الرجل التي أسفل الصلب (٥)

الراجع في المعنى اللغوي للصلب والترائب:

قلنا عند تعريف الصلب بأنه عظم من لدن الكاهل إلى العجب. و(الكاهل) من الإنسان

هو ما بين كتفه أو موصل العنق في الصلب، (٦) أو هو: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق. (٧)

وبناء على ذلك فلا يدخل في تعريف الصلب الفقرات العنقية.

أما (العجب) بالفتح، فهو أصل الذنب (٨)، وعجب الذنب هو العُصْصُص. (٩) وبناء على

ذلك فلا يدخل في تعريف الصلب الفقرات العصبية. (١٠)

(١) الترفوتان: العظمان المشرفان في أعلى الصدر من رأس المنكبين إلى طرف ثغرة النحر [الأزهرى، تهذيب اللغة،

(١٩٦/١٤)] . والشُدوة: لحم الثدي أو أصله. [الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (شُد)، ص: ٢٤٥.]

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/٢٠).

(٣) الطبري، جامع البيان، (١٤٤/٣٠).

(٤) المصدر السابق، (١٤٤/٣٠).

(٥) المصدر السابق، (١٤٤/٣٠).

(٦) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (كهل)، ص: ٩٥٠.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، (١٢ / ١٧٩).

(٨) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: ١٠٤.

(٩) الأزهرى، تهذيب اللغة، (٢٤٧/١).

(١٠) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - المعائب في الصلب والترائب، ص: ٢٨، ٣٢-٣٣، بتصرف.

فالصلب إذاً بناء على وصف معاجم اللغة وأقوال المفسرين هو عبارة عن العمود

الفكري ناقصاً الفقرات العنقية والعصصية. والله تعالى أعلم. (١). [انظر الشكل ٢]

أما الترائب - فهي بعد جمع أقوال اللغويين - عظام الصدر التي بين الترقوتين

والثديين، والتي كان العرب يسمونه أيضاً بموضع القلادة من الصدر.

وهذا لا يتنافى مع ما قاله الزجاج بأن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة

أضلاع من يسرة الصدر، لأن من المعلوم تشريحياً في الطب أنّ التردوة أو حلمة الثدي تقع عادة

بين الضلعين الرابع والخامس. ومن هنا نلاحظ أنّ قول الزجاج يحدد لنا تشريحياً (عظام الصدر

التي بين الترقوتين والثديين). [انظر الشكل ٣]

وقد يسأل سائل: لماذا جاء لفظ الصلب مفرداً ولفظ الترائب جمعاً؟

أما الصلب، فرغم أنه يتكون من فقرات عديدة، إلا أنها ملتحمة مع بعضها في جسم

واحد هو الصلب. فالصلب كلمة تطلق على مجموع فقرات الظهر، لا على الفقرة الواحدة، إذ لا

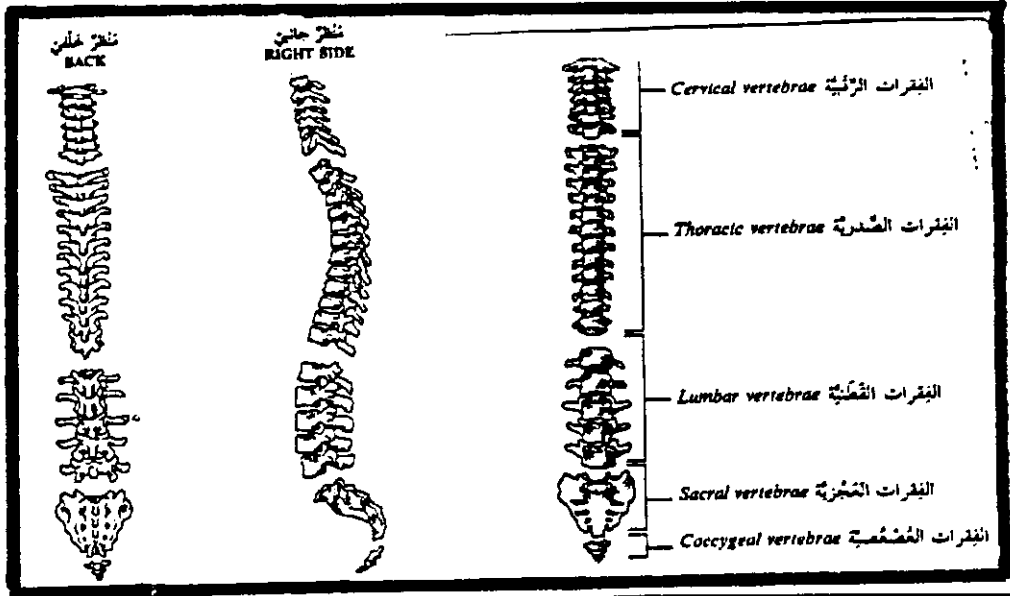
يصح أن نقول إن الفقرة الواحدة هي صلب.

وأما الترائب، فهي موجودة بصورة زوجية، إذ أن لكل ضلعاً آخر يقابله ويماتله،

وبالإضافة إلى ذلك فهي عديدة. (٢)

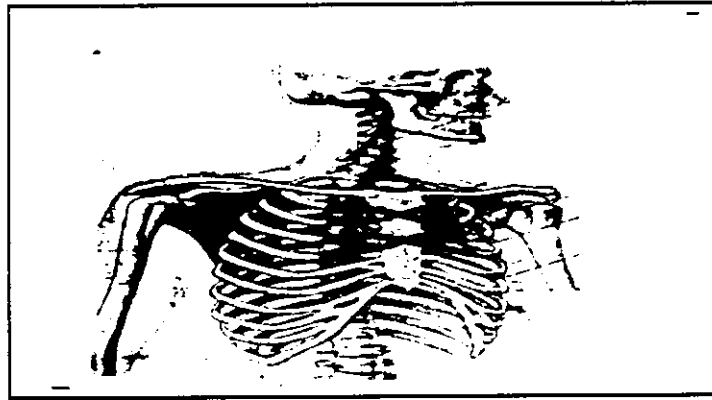
(١) المصدر السابق، ص: ٣٢، بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٤-٦٥.



الشكل ٢ (١)

منظر أمامي وجانبي وخلفي (من اليمين إلى اليسار) للعمود الفقري عند الإنسان، وهو يتكون من ٣٤ فقرة هي: (٧) فقرات عنقية، و(١٢) صدرية، و(٥) قطنية، و(٥) عجزية ملتحمة، و(٥) حرقية (عصصية) ضامرة. (٢)



الشكل ٣: (٣) الأضلاع الأربعة العليا من الأمام (الترائب)، عن يمين ويسار.

(١) موسوعة المشاهدة - جسم الإنسان، مكتبة لبنان، (١٨، ١٩٩٥)، ص: ١٨-١٩. [وسأشير إليه فيما بعد بـ موسوعة المشاهدة].

(٢) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٣٢-٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص: ٩٠.

ما هو الشيء الذي يخرج من بين الصلب والترائب؟

اتفق المفسرون قديماً وحديثاً على أن الذي يخرج هو الماء الدافق،^(١) ولكن الدكتور مأمون شقفة في كتابه (القرار المكين) انفرد بالذهاب إلى أن المقصود هو الإنسان المولود لا الماء الدافق.^(٢) ولم أجد هذا الرأي في كتب التفسير القديمة - فيما أعرفه - إلا في موضعين: الأول: عند ابن عطية حيث قال: "الضمير في (يخرج) يحتمل أن يكون للإنسان، ويحتمل أن يكون للماء."^(٣) وقد رفض ابن جزى أن يكون الضمير في كلمة (يخرج) عائداً إلى الإنسان، وبعد أن عرض قول ابن عطية عقّب عليه قائلاً: "هذا بعيد جداً."^(٤) أمّا الثاني: فهو في الجامع لأحكام القرآن حيث ذكر القرطبي ما حكاه المهدوي^(٥) ونصه: "من جعل المني يخرج من صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء، ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة، فالضمير للإنسان."^(٦) وقد استند الدكتور مأمون شقفة في رأيه هذا إلى أمرين هما اللغة والعلم:

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/٢٠)، وابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩١/٤)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦/٤١٠-٤١١)، والمراغي، تفسير المراغي، (١١٢/١٠)، وحوى، سعيد، الأسس في التفسير، دار السلام، (ط٢، ١٤٠٩-١٩٨٩)، (١١/٦٤٧٣-٦٤٧٤). [وسأشير إليه فيما بعد بحوى، سعيد، الأسس في التفسير].

(٢) السعدي، أسرار خلق الإنسان - تعاليم في الصلب والترائب، ص: ٤٠ نقلًا عن كتاب القرار المكين للدكتور مأمون شقفة.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤٦٥/٥).

(٤) ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩١/٤).

(٥) هو أحمد بن عمار الإمام أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهديّة بالمغرب، ألف كتاب (التفسير المشهور) والهداية في القراءات السبع. قال الذهبي: توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. [الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، (ت. ٩٤٥ هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط٢، ١٤١٥-١٩٩٤)، (٥٦/١)، بتصرف].

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢٠).

أما اللغة فإنه يرى أننا إذا أرجعنا ضمير (يخرج) إلى الماء الدافق كما فعل المسلمون حتى الآن، فهذا جائز حسب قواعد اللغة لقربه من الماء الدافق، ولكن هذا لم يمنع من إرجاع الضمائر الأبعد منه كالهاء في (رجعه) ^(١) والهاء في (فما له) ^(٢) للإنسان الذي ورد ذكره ^(٣) قبل الماء. ^(٤) كما أنه خلص إلى القول بأنه قد فوجئ في مراجعته للنص القرآني الكريم بأنه لا يقول أبداً بأن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، ولكنه يقول: (يخرج من بين الصلب والترائب). ^(٥) وقد استند الباحث الكريم في تفسيره هذا على أن معنى الصلب الفقرات القطنية والحرقتين، وأن معنى الترائب الأضلاع السفلى وعظم القص. ^(٦)

أما من الناحية العلمية فإن الجنين يكون أثناء الحمل وفي تمامه وحين يخرج - أي أثناء الولادة - بالضبط بين الصلب والترائب، وفي هذه الآية الكريمة تلفت الخالق عز وجل نظرنا إلى عملية الولادة المعقدة التي تستحيل حساباتها وترتيباتها على غيره سبحانه. وأضاف قائلاً بأن الخط الفاصل بين الصلب والترائب ينطبق على محور الجنين في أكثر من ٩٧٪ من الحالات في المجينات الطولانية الرأسية أو المقعدية ويكون أحد قطبيه قريباً من الصلب والآخر قريباً من الترائب. ^(٧) [انظر الشكل ٤].

^(١) ونص الآية: (به على رجعه نقادر) [سورة الطارق، آية ٨].

^(٢) ونص الآية: (فما له من قوة ولا ناصر) [سورة الطارق، آية ١٠].

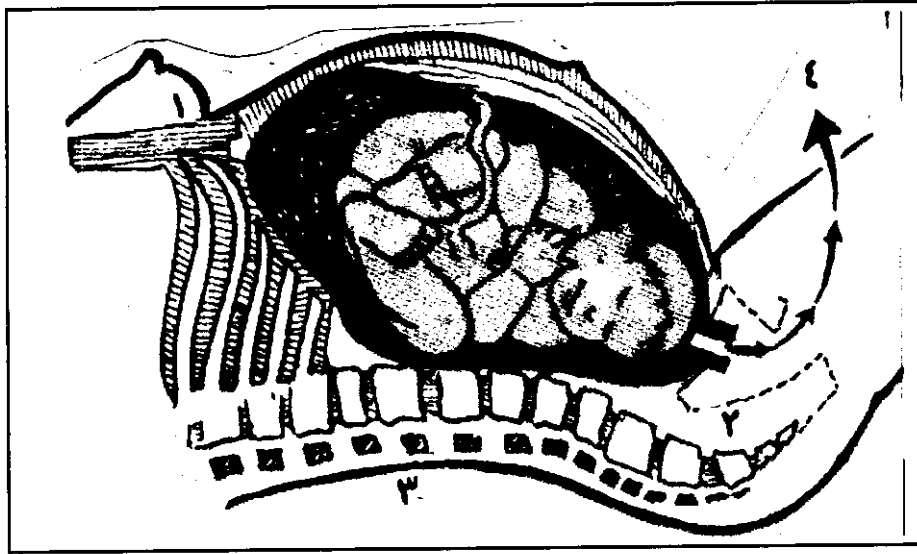
^(٣) قال تعالى: (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب) [سورة الطارق، آية ٥-٧].

^(٤) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤٠، نقلاً عن كتاب (القرار المكين).

^(٥) المصدر السابق، ص: ٤٨ نقلاً عن كتاب القرار المكين.

^(٦) المصدر السابق، ص: ٤١ نقلاً عن كتاب القرار المكين.

^(٧) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٥٣ نقلاً عن كتاب القرار المكين.



الشكل ٤: (١) الجنين بين الصلب والترائب

١- الترائب ٢- الصلب ٣- أعالي الصلب ٤- اتجاه الخروج

وقد ناقش الدكتور داود السعدي رأي الدكتور مأمون شقفة وردّ عليه في النقاط التالية:

أولاً: أن تعريف الصلب والترائب الذي استند إليه الدكتور مأمون شقفة في تفسيره هذا غير صحيح، إذ أن المقصود بالصلب الفقرات الصدرية والقطنية والعجزية، بينما المقصود بالترائب الأضلاع العلوية الأربعة من كل جهة حيث يبقى تحتها ثمانية أضلاع من كل جهة مما هو غير مشمول بتعريف الترائب، وبناء على ذلك:

١. فإن عظام الظهر التي تحيط بالجنين هي عظام ظهر البطن فقط، وأما عظام ظهر الصدر

(والتي هي مشمولة بتعريف الصلب) فلا تحيط به.

٢. الأضلاع السفلية من أمام، لا يصح اعتبارها مبدأ لخط أو محور يقع فيه الجنين، وذلك لأنّ

الأضلاع السفلى ترتفع إلى أعلى لتتصل بالأضلاع التي فوقها بدلاً من أن تمتد مستمرة في

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤١.

مسار أفقي إلى الأمام، كما أن الضلعين الأخيرين، من أسفل، لا يمتدان لأبعد من جانبي

الصدر. (١)

ثانياً: إذا كان ما ذهب إليه صحيحاً فكيف يكون إذا تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿ وحلائل أبنائكم الذين

من أصلابكم ﴾ (٢) إذ أن الآية الكريمة تدل على أن الأصلاب هي نفسها مصدر للأولاد؟

ثالثاً: لو فرضنا أن رأي الدكتور مأمون شتقة صحيح، فأية معجزة خاصة هي في ولادة الإنسان

بين أضلاع وظهر، من بعد خلقه العظيم المعجز، بينما نتحدث كل آية من آيات سورة الطارق

على معجزات باهرات؟ وإذا جارينا هذا المنطق يحق لنا أن نعجب لتقبلة ذرية أو حاسب عظيم

وهما يخرجان من المصنع بين جدار وأعمدة، إذ أن المعجزة ليست هاهنا. (٣)

أما الذين قالوا إن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو الماء الدافق، فقد ذهبوا في

تفسير هذه الآية إلى أربعة مذاهب:

المذهب الأول: أن المقصود من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهذا القول مروى عن سفيان

وقتادة. وأيد هذا الرأي الإمام الطبري، (٤) والزمخشري، (٥) وابن كثير، (٦) وأبو السعود، (٧)

والشوكاني، (٨) والإمام الشهيد سيد قطب، (٩) رحمهم الله جميعاً.

(١) المصدر السابق، ص: ٤١، ٨٩ بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية ٢٣.

(٣) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٨٩، بتصرف.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٣٠ / ١٤٣).

(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤ / ٧٣٦).

(٦) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (ت. ٨٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، دار الدعوة، استانبول، (١٤٠٨-١٩٨٧)،

(٤ / ٤٩٨). (وسأشير إليه فيما بعد بـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم).

(٧) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٦ / ٤١٠).

(٨) انظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت. ٨١٢٥٠)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم

التفسير، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط٢، ١٣٨٣-١٩٦٤)، (٥ / ٤١٩). (وسأشير

إليه فيما بعد بـ الشوكاني، فتح القدير).

(٩) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦ / ٣٨٧٨).

وقد ردّ ثلثة من العلماء هذا القول، ويمكن أن نلخص ردّهم هذا في النقاط التالية:

أولاً: أن الذي دعا إلى الغلط هنا هو تصور خاطئ وهو أن الترائب خاصة بالمرأة. (١)

يقول ابن القيم: "والذي أوجب لأصحاب هذا القول ذلك أنهم رأوا أهل اللغة قالوا الترائب: موضع القلادة من الصدر. قال الزجاج: أهل اللغة مجمعون على ذلك، (٢) وأنشدوا لامرئ القيس (٣): مهفهفة (٤) بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل (٥)

وهذا لا يدلّ على اختصاص الترائب بالمرأة بل يطلق على الرجل والمرأة. قال

الجوهري: " الترائب عظام الصدر ما بين الترقوة والثدوة. (٦)

ثانياً: الآية كانت واضحة في تقرير خروج الماء الدافق (من بين) الصلب والترائب، فهو لا يخرج من الصلب بذاته ولا من الترائب بذاتها، وإنما من بينهما. (٧) وحذف كلمة (بين) خطأ علمي وخطأ منهجي، فالمفروض أن تؤخذ الآية كلها دون إسقاط لفظ منها. (٨)

(١) حوى، سعيد، الأملس في التفسير، (٦٤٧٣/١١)، بتصرف.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٣١٢/٥).

(٣) هو امرؤ القيس بن خُجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، ولد بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حُنْج، وقيل مليكة، وقيل عدي. يعرف امرؤ القيس بالملك الضليل (لاضطراب أمره طول حياته)، وذو القروح (لما أصابه في مرض موته). توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة. [الزركلي، الأعلام، (١١/٢-١٢)، بتصرف.]

(٤) المهفهفة: اللطيفة الخصر الضامرة البطن، والمفاضة: المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم، والترائب: جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر، والمقلل والمقلل (بالسين والصاد): إزالة الصدأ والندس، وغيرهما، والفعل منه سقل يسقل وسقل يسقل، والسجنجل: المرأة، لغة رومية عربتها العرب، وقيل: بل هو قطع الذهب والفضة. (يقول): هي المرأة نقيفة الخصر ضامرة البطن، غير عظيمة البطن، ولا مسترخيته، وصدرها تراق اللون متألّي الصفاء كتلك المرأة. [الزوزي، القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعطّلات الصبيح، دار الكتاب العربي، بيروت (ط٤، ١٤١٣ - ١٩٩٣)، ص: ٢٥.]

(٥) امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: حنّا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، (ط١، ١٤٠٩-١٩٨٩)، ص: ٣٧.

(٦) ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت. ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل، بيروت، (١٩٧٣)، (١/١٤٦)، بتصرف قليل.

(٧) السعدي، من أسرار خلق الإيمان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٥٠.

(٨) البار، خلق الإيمان بين الطب والقرآن، ص: ١١٥، بتصرف.

ثالثاً: من الناحية العلمية فإن منى الرجل تفرزه خلايا الخصية، والخصية تقع خارج البطن بأكملها بل خارج الصلب والترائب. أي أن ماء الرجل لا يخرج من صلبه بمعنى فقار الظهر، وكذلك فإن ماء المرأة الحاوي على نطفة الأنثى (البيضة) يخرج من المبيض مرة في منتصف كل دورة شهرية، وهو يقع خارج الترائب.^(١)

المذهب الثاني: وقيل^(٢) من صلب الرجل وترائب، وقد احتج أصحاب هذا القول بما يلي:
أولاً: قالوا: لو قلنا إن ماء الرجل خارج من الصلب فقط، وماء المرأة خارج من الترائب فقط، فعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج (من بين) الصلب والترائب، وذلك على خلاف الآية.

ثانياً: أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق من ماء دافق، والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل، ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه يخرج (أي الماء الدافق) من بين الصلب والترائب، وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط.^(٣)

مناقشة العلماء لأدلة القول الثاني:

أما دليلهم الأول فقد ردوا عليه بأنه ليس المقصود أن أحد الطرفين للبيضة (أي لكلمة بين) هو الصلب والآخر الترائب، وإنما هو كقولك: يخرج من بين زيد وعمرو خير كثير على

(١) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٤٦ (بتصرف).

(٢) نستشف هذا الرأي من قول ابن القيم، ونص قوله: "ولا خلاف أن المراد بالصلب صلب الرجل، واختلف في الترائب. فقيل: المراد بها ترائب أيضاً وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى التندوة، وقيل: المراد بها ترائب المرأة، والأول أظهر لأنه سبحانه قال: ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [سورة الطارق، آية ٧]، ولم يقل: يخرج من الصلب والترائب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجاً من بين هذين الملتصقين كما قال في اللبني ﴿ نسفيكم مما في بطونه من بين فرث ودم ﴾ [سورة النحل، آية ٦٦]. وأيضاً فإنه سبحانه أخبر أنه خلقه من نطفة في غير موضع، والنطفة هي ماء الرجل، كذلك قال أهل اللغة. قال الجوهري: والنطفة الماء الصافي قل أو كثر، والنطفة ماء الرجل والجمع نطف. وأيضاً فإن الذي يوصف بالخلق والنضح إنما هو ماء الرجل ولا يقال نضحت المرأة ولا نطفته. أ. هـ. [ابن القيم، إعلام الموقعين، (١٤٥/١-١٤٦)].

(٣) الرازي، التفسير الكبير، (١٢٠/١١)، بتصرف.

معنى أنهما سببان فيه، وكذلك باعتبار أن الرجل والمرأة يصيران كالشيء الواحد، فكأن الصلب والترائب لشخص واحد.^(١)

أما بالنسبة لدليلهم الثاني فقد بينت الأحاديث أن الولد مخلوق من ماء الرجل والمرأة معاً، وأثبت العلم أن ماء المرأة يوصف بالدفق أيضاً كما بينت سابقاً. المذهب الثالث: أن المقصود من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة، وترائب كل واحد من الرجل والمرأة. وحمل الآية على ما ذكر مروياً عن قتادة والحسن. وأيد هذا الرأي الألويسي،^(٢) والقرطبي،^(٣) وابن جزري^(٤) وغيرهم من القدماء، وابن عاشور^(٥) والمراغي،^(٦) وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،^(٧) وسعيد حوى^(٨) وغيرهم من المحدثين.

كما أنه رجح هذا الرأي مجموعة من الأطباء أمثال الدكتور نعمت صدقي، ومحمد علي البار، والدكتور عدنان الشريف، وحاولوا إثبات صحة هذا الرأي بتقديم تفسير علمي يوضح معنى خروج الماء الدافق من بين الصلب والترائب. ونستطيع أن نلخص هذا التفسير العلمي في النقاط التالية:

١. إن الخصية والمبيض إنما يتكوّنان من الحذبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه، والصلب هو العمود الفقري والترائب هي الأضلاع. وتتكون الخصية والمبيض في منطقة بين الصلب والترائب وهي الكلية، ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج

(١) الألويسي، روح المعاني، (١٧٤/١٦)، بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق، (١٧٥/١٦).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢٠).

(٤) انظر: ابن جزري، التمهيد لعلوم التنزيل، (١٩٢/٤).

(٥) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (١٥ / ٢٦٣).

(٦) انظر: المراغي، تفسير المراغي، (١١٢/١٠).

(٧) انظر: الميداني، معارج التفكير ودفلق التدبير، (٢٦٧/٣ - ٢٦٩).

(٨) انظر: حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (١١ / ٦٤٧٣ - ٦٤٧٤).

الجسم) في أواخر الشهر السابع من الحمل، بينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة ولا ينزل أسفل من ذلك. (١)

٢. إن الأوعية الدموية التي تمدّ الجهاز التناسلي بالغذاء عند الرجل والمرأة تبدأ في مكان هو، تشريحياً، بين الصلب والترائب. (٢)

فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني) (aorta) من بين الصلب والترائب كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة. يصب الوريد الأيسر في الوريد الكلوي الأيسر، بينما يصب وريد الخصية الأيمن في الوريد الأجوف السفلي، وكذلك أوردة المبيض وشريانها تصب في نفس المنطقة، أي بين الصلب والترائب، كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب. (٣) [انظر الشكل ٥].

وقد ردّ الدكتور داود السعدي هذه التفسيرات العلمية للأسباب التالية:

أولاً: يقول تعالى: ﴿ وحلائل أبناتكم الذين من أصلابكم ﴾. (٤) فهذه الآية صريحة واضحة في أن أصل الولد هو الصلب. ولما كان الاختلاف قد وقع في تفسير آية الصلب والترائب، فلا بد أن تكون هذه الآية هي المرجع لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً. فإن كانت هذه الآية تشير وبإجماع العلماء قديمهم وحديثهم إلى أن أصل الولد هو الصلب (أي أن الصلب هي نفسها مصدر للذرية)، وآية الصلب والترائب تشير في رأي أصحاب هذا القول إلى أن أصله يقع بين الظهر والأضلاع. ونحن نعلم أنه لا يمكن أن يكون كلا الرأيين صحيحاً، وبالتالي فإن أحد هذين

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١١٤-١١٦، بتصريف، وصنفي، نعمت، معجزة القرآن، ص: ١٣٩

(٢) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني- ثوابت العلمية في القرآن، ص: ٨٠.

(٣) البار، محمد، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١١٤-١١٥.

(٤) سورة النساء، آية ٢٣.

التفسيرين هو مغلوط حتماً - وهو هنا تفسيرهم لآية الصلب والترائب.

ثانياً: القول بأن كلاً من الخصية والمبيض يقعان مقابل الترائب مبني على مفهوم خاطئ وهو أن الترائب هي الأضلاع السفلى، والصحيح هو أن الترائب هي الأضلاع الأربعة العليا لا السفلى.

ثالثاً: أما قولهم بأن الماء الدافق يخرج من خصية ومبيض، وأن أصلهما عند الجنين قرب الظهر فهو مردود أيضاً، إذ أن الماء الدافق يخرج من الخصية والمبيض البالغين، وأما في مقتبل خلق الإنسان وهو جنين في بطن أمه، فليس هنالك من ماء ولا دفق، بل وأكثر من ذلك فإن تكوين الحيوانات المنوية لا يبتدىء عند الجنين ولا حتى عند الولادة، وإنما هو يبتدىء في مرحلة البلوغ، وكذلك انقذاف البييضات من المبيض لا يبتدىء إلا عند البلوغ.

رابعاً: لما الشق الثاني الذي أضافوه إلى رأيهم من أجل تأكيد ما ذهبوا إليه حيث قالوا بأن الأعصاب والأوعية الدموية التي تغذي الخصيتين والمبيضين إنما تنشأ بين الظهر والأضلاع، فإنها حجة واضحة ضعفتها. ذلك لأن الأعصاب والأوعية الدموية التي تجهز الخصيتين والمبيضين ليست مصدراً للحيوانات المنوية أو البييضات. (١)

خامساً: ليس المقصود في قوله تعالى: ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ أن الماء يخرج من منطقة تقع في مكان وسط بين الأضلاع والظهر. فلو كان ذلك صحيحاً، فإنه يصير صحيحاً أيضاً، في تفسير آية: ﴿ نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً ﴾، (٢) قولنا بأن اللبن يخرج من منطقة تقع في مكان وسط بين الفرث (٣) والدم، وهو قول ظاهر بطلانه. (٤)

(١) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - المعالج في الصلب والترائب، ص: ٥٠ - ٥٢، بتصريف.

(٢) سورة الحل، آية ٦٦.

(٣) الفرث هو الزبل الذي ينزل إلى الكرش أو الممي. [الصابوني، صفة التفسير، دار الفكر، بيروت، (ط١، ١٤١٦-١٩٩٦) (٢/١٢١)].

(٤) السعدي، من أسرار خلق الإنسان - المعالج في الصلب والترائب، ص: ٣٩، بتصريف.



الشكل ٥ (١)

رسم تشريحي للوريد والشريان المنوي اللذان يمدان الخصية بالدم، يبين نشأتها من الشريان الأورطي والوريد التجويفي السفلي في مكان يوجد بين الصلب والترايب (على اعتبار أن الصلب هو العمود الفقري والترايب هي الأضلاع).

(١) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٧٩.

المذهب الرابع: أن لفظي الصلب والترائب إنما هما كناية،^(١) وأيد هذا التفسير محمد عبده والشيخ حسنين مخلوف. قال محمد عبده: "كُنِيَ بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة".^(٢) أما الشيخ حسنين مخلوف فلقد قال: "الصلب: الظهر، والترائب: جمع تربية وهي ما بين الثديين، وهما كناية عن البدن كله، أي أن أعضاء وقوى كل منهما تتعاون في تكوين ما هو مبدأ لتوالد الإنسان".^(٣)

وأخذ بهذا الرأي الدكتور داود السعدي، إلا أنه يرى أن الصلب كناية عن الكروموسومات الجسدية،^(٤) وأن الترائب كناية عن الكروموسومات الجنسية^(٥) وتذهب هذه الرؤية إلى أن التعبير بالكناية قد جاء لأن الناس لم يكونوا عارفين أو متهئين لمعرفة حقائق التناسل والوراثة، مما قد انكشفت عنه الحجب بعد ذلك آيات من الله تعالى للناس.^(٦) ويمكن أن نلخص أدلة الدكتور داود السعدي في النقاط التالية:

أولاً: باستقراء ألفاظ خلق الإنسان في كتاب الله تعالى وجد أن كل ما قد ذكره الحق سبحانه في كلامه على مراحل الخلق جميعها هو مما يمكن أن يسمّى بالكناية، والسبب في ذلك هو أن

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني، (١٧٦/١٦) والكناية في الاصطلاح: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته (أي معناه الأصلي) معه. [القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت، (سنة الطبع غير موجودة)، ص: ٣٣٧، بتصرف قليل].

(٢) السعدي، أسرار خلق الإنسان، العجائب في الصلب والترائب، ص: ٥٣ نقلاً عن كتاب تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده.

(٣) المصدر السابق، ص: ٥٣ نقلاً عن كتاب صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين مخلوف.

(٤) الكروموسومات الجسدية (Somatic Chromosomes): هي الكروموسومات التي تختص في نقل الصفات الوراثية، وعددها ٤٤ كروموسوم، منتظمة في ٢٢ زوج. [الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٦١، بتصرف].

(٥) الكروموسومات الجنسية (Sex Chromosomes): هي الكروموسومات التي تختص في تحديد جنس المولود، وعددها زوج واحد من الكروموسومات، يأتي أحدهما من الأب والآخر من الأم عند التلقيح. [المصدر السابق، ص: ٦١، بتصرف].

(٦) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٥٤.

مراحل الخلق لم يعرف عنها شيء في ذلك الزمان.

يقول الدكتور داود السعدي: " وإذا كانت كل ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم من مثل النطفة، والنطفة الأمشاج، والعلقة، والمضغة، والمستودع، ألفاظاً استعملت في معناها الاصطلاحي لا في معناها اللغوي^(١)، فإنه يصير ممكناً بل ومعقولاً جداً التفكير في أن تكون (الصلب والترائب) تعابير قد جاءت بالشكل نفسه." (٢)

ثانياً: لا بد من سبب وجيه لاختيار القرآن الكريم الكناية بهذين اللفظين بالذات.

أما الصلب فإنه يتشابه مع الكروموسومات الجسدية في الأمور التالية:

١. عددها: حيث إنه يتكون من ٢٢ بقرة (١٢ بقرة صدرية + ٥ فقرات قطنية + ٥ فقرات عجزية)، وهذا يساوي عدد الكروموسومات الجسدية الموجودة في كل من الحيوان المنوي الببيضة من قبل اتحادهما معاً.

٢. شكلها: لو نظرنا إلى صورة للعمود الفقري للإنسان من أمام أو خلف لرأينا أن لكل بقرة جسماً في الوسط يخرج منه نتوءان مستعرضان إلى يمين ويسار، وأن كل أربعة نتوءات مستعرضة تعطينا شكلاً هو هكذا > ، وهو يشبه شكل الكروموسومات الجسدية عند الإنسان. [انظر الشكل ٦] وبالإضافة إلى ذلك فإن عدد هذه الأشكال المتصالبة ٢٢، وهو

(١) ١. فالعلقة مثلاً في إحدى معانيها اللغوية هي الدودة الصغيرة التي تعلق لتمصّ الدم، أمّا في الكتاب العزيز فهي اصطلاح له معنى علمي مخصوص مختلف عن ذلك تماماً، إذ هي الجنين في طور تعلقه بالرحم بعد أن كان قبل ذلك منطراً في جدرانها.

٢. والمضغة لها معنى لغوي معروف، وهو القلعة من اللحم ونحوه مقدار ما يمضغ. وأمّا في القرآن الكريم فهي قد جاءت بالمعنى الاصطلاحي، إذ هي تشير إلى مرحلة مخصوصة من مراحل خلق الجنين في بطن أمه.

٣. وهكذا هي النطفة، وهي في اللغة القطرة من الماء أو المويهة، بينما يقصد منها في القرآن الكريم الحيوان المنوي أو الببيضة.

٤. وكذلك هو المستقر، الذي هو مكان الاستقرار، ولكنه في كتاب الله اصطلاح مخصوص المقصود به الرحم.

[السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ١٩، ٧٨-٨٣ (بتصرف)].

(٢) المصدر السابق، ص: ٨٣.

عدد الكروموسومات الجسدية الموجودة في كل من الحيوان المنوي والبيضة قبل اتحادهما معاً.

٣. أن الصلب يتشابه عند الرجل والمرأة وكذلك هي الكروموسومات الجسدية للرجل والمرأة.

أما الترائب فإنها تتشابه مع الكروموسومات الجنسية في الأمور التالية:

١. عددها: الترائب موجودة بصورة زوجية، إذ إن لكل ضلع ضلعاً آخر يقابله ويمثله، وهكذا فهناك نوعان من الكروموسومات الجنسية، (X و Y).

٢. شكلها: الترائب باعتبارها الأضلاع العليا الأربعة من كل جهة، تتصل مع بعضها من خلال عظم القص في وسط الصدر، مما يمكن أن يدخل في تعريف الترائب، باعتباره موضع القلادة من الصدر. وضلعان عن اليمين يرسمان مع ما يقابلهما عن اليسار، شكلاً قريباً جداً إلى الكروموسوم، بل هو أقرب إليه جداً من الشكل الآخر، الذي هو شكل الحرف (X). ثم إن أول ضلع من الأعلى هو أقصر من الضلع الذي يليه، فيكون جانباً الشكل الذي يرسمه تقاطعها غير متساويين، مما يشابه شكل الكروموسوم (Y).

٣. أن الترائب تختلف عند الرجل والمرأة، إذ من العجب أن الترائب جاءت في تعريفها فوق حلمة الثديين بالضبط. إذ من المعلوم لدى الأطباء، تشريحياً، أن حلمة الثدي تكون بين الضلعين الرابع والخامس في كل جهة، فكان لسان الحال يقول بأن هذه إشارة إلى تلك، أي أن اختلاف الترائب (الأضلاع) هو مثل اختلاف الكروموسومات الجنسية، يترافق معه اختلاف في حال الصدر ذكر أو أنثى. (١)

(١) السعدي، داود، أمرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، من: ٣٣، ٦٣-٦٧ بتصرف.

ثالثاً: إن نطفة الذكر ليست إلا عربة نقل الغرض منها توصيل الكروموسومات من الأب إلى المخلوق الجديد وليس أكثر من ذلك. وكذلك هي نواة ببيضة الأنثى. فإذا تكلمنا على الحيوان المنوي أو الببيضة فإننا، في حقيقة الأمر، إنما نتكلم عن كروموسومات الأب والأم. (١)

رابعاً: استدل بقوله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ (٢) من عدة وجوه منها:

١. أن المقصود بقوله تعالى: ﴿من أصلابكم﴾ أي من كروموسوماتكم الجسدية، (٣) إذ ليس هناك اليوم أقوى وأدق من فحص الشفرة الوراثية في تثبيت بنوة الولد لأبيه.

٢. ثم إن الآية لم تقل: ﴿الذين من أصلابكم وتراثيكم﴾، وإنما اكتفت بذكر الكروموسومات الجسدية، لأن جنس الوليد في الآية محسوم، وهو الذكورة، مما لا داعي معه لتخصيص التراث، أو الكروموسومات الجنسية، بالذكر. (٤)

خامساً: نستطيع أن نفهم معنى كلمة (بين) الواردة في الآية بالرجوع إلى الشواهد القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾ (٥). نلاحظ من خلال هذه الآية أمرين:

(١) المصدر السابق، ص: ٧٢ بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية ٢٣.

(٣) لفت المؤلف - جزاء الله خيراً - نظرنا إلى قضية مهمة إذ أنه يمكن أن يتوهم أن الصلب خاص بالرجل (أي أن المقصود: وحلائل أبنائكم الذين من أصلاب الآباء) بدليل أن الآية تخاطب الرجال وتبين لهم المحرمات من النساء. وهذا غير صحيح - والله تعالى أعلم - إذ المقصود أصلاً الآباء والأمهات، ولم تذكر الأمهات لأن الولد إذا كان من صلب أبيه (أي كروموسوماته الجسدية) فهو ولده كائناً ما كانت الأم، التي لا بهم من تكون في هذه الحالة. فالأمومة والولادة واضحة ومشهودة، وأما الأبوة فهي موضع التساؤل والبرهان. فرجل بعينه قد يتزوج فلانة أو فلانة أو غيرها، ويبقى ولده من صلبه على كل حال ولا بهم اختلاف الأم. [انظر: أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والتراث، ص: ٧٣-٧٤].

(٤) المصدر السابق، ص: ٧٢-٧٤ بتصرف.

(٥) سورة النحل، آية ٦٦.

١. أول ما يلت نظرنا هنا هو أن الناتج (اللبن) مفرد وأما أصله فعديد، إذ هو الفرث والدم. وكل منهما له مكونات عديدة مما قد لا يحصى. وكذلك هو الماء الدافق، هو مفرد، ولكن أصله عديد، وهو الصلب والترائب.
٢. كذلك الآية تفيد بأن اللبن مزيج استخلص استخلاصاً من كل من مكونات الفرث ومن مكونات الدم، حتى صار شيئاً جديداً. والماء الدافق كذلك استلقت مكوناته العديدة واستخلصت استخلاصاً من مصادر عديدة، وهذه المصادر العديدة هي من نوعين اثنين، هما الصلب والترائب. (١) أما الصلب والترائب، أو الكروموسومات، فهي تتكون من الجينات التي يقدر عددها بـ (٥٠,٠٠٠) جين. فقوله تعالى ﴿ يخرج من بين ﴾ يشير إلى الجينات العديدة المكونة للكروموسومات، والتي تخرج من بينها النطفة الأمشاج. (٢)
- سادساً: وأخيراً ... فإن قوله تعالى: ﴿ إنه على رجهه لقادر ﴾ (٣) والتي جاءت مباشرة بعد آية الصلب والترائب تأتي مصداقاً لهذا الرأي، إذ معنى الآية: أي رجهه إلى الحياة مجدداً من بعد الموت. (٤) وقد يكون ذلك من الصلب والترائب، كما قد يلمح الناظر إلى كتاب الله. فإذا كان

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ٣٨-٣٩ بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: ٨٥، ٨٧ بتصرف.

(٣) سورة الطارق، آية ٨.

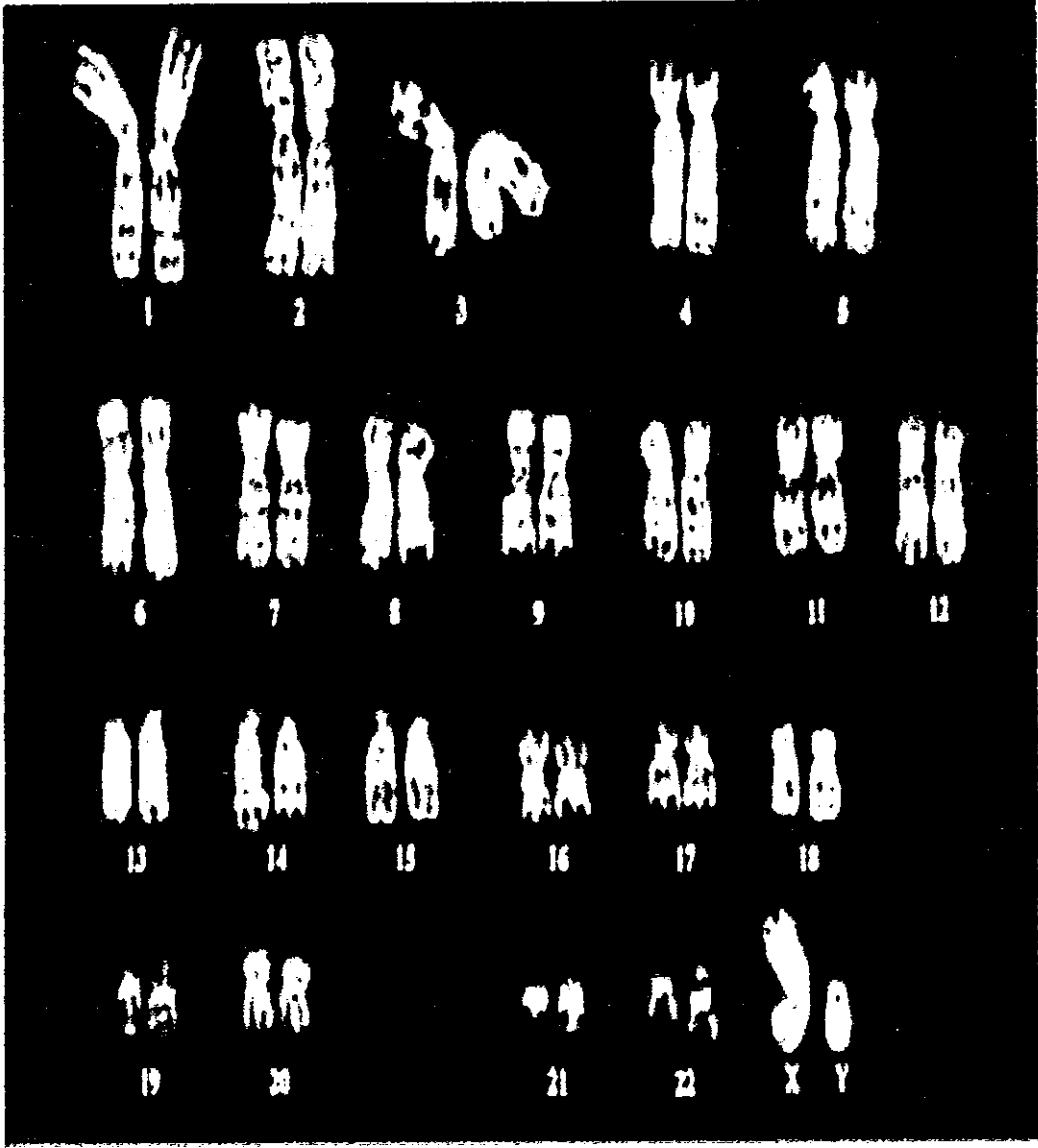
(٤) قوله تعالى: ﴿ إنه على رجهه لقادر ﴾ فيه قولان:

الأول: على اعتبار كون الضمير في كلمة (رجعه) يعود على الماء، فالمعنى: على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه، قاله مجاهد وعكرمة.

الثاني: على اعتبار كون الضمير في كلمة (رجعه) يعود على الإنسان، فالمعنى: إنه على رجوع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداء قدر على الإعادة، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير الطبري. [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٤٩٨)، بتصرف]. والذي نرجحه - والله تعالى أعلم - التفسير الأخير لأن الآية التي جاءت بعدها: ﴿ يوم تبلى المرائر ﴾. [سورة الطارق، آية ٩]

هناك عند ذلك، بإرادة الله تعالى من مصدر للحياة محسوس، إذا لكانت الكروموسومات، والله

اعلم. (١)



الشكل ٦: (٢) الكروموسومات الجسدية (المرقمة من ١ إلى ٢٢)

والكروموسومات الجنسية (X) و (Y) لرجل.

(نلاحظ أن الكروموسوم الجسدي يظهر على شكل X.)

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان، العجائب في الصلب والترائب، ص: ٨٧، بتصرف.

(٢) Microsoft Encarta Reference Library ٢٠٠٢.

المناقشة والترحيح :

وبعد عرض أقوال المفسرين والعلماء في تفسير آية الصلب والترايب أرجح - والله تعالى أعلم- أن الضمير في كلمة (يخرج) يرجع إلى الماء الدافق لا للإنسان، كما يقول الدكتور الفاضل مأمون شقفة للأدلة التي ذكرتها^(١). أضيف إلى ذلك أن الآية الكريمة توجه الإنسان إلى التفكر في مسألة (مَ خلق) ﴿ فلينظر الإنسان مَ خلق ﴾ ثم جاءت الآيتين لبيان ذلك فقال: ﴿ خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترايب ﴾. وقد جمعت هذه الآيات أسرار نشأة الإنسان الأولى لتربطه بمسألة عقائدية في غاية الأهمية وهي البعث بعد الممات.

أما القول بأن الماء الدافق يخرج من صلب الرجل وترايب المرأة، أو من صلب الرجل وترايبه، فهو تفسير مجانب للصواب من الناحية العلمية (ولا تثريب عليهم في ذلك، لأننا لا نحاكم الناس إلى معلوماتنا وإنما نحاكمهم إلى معلومات عصرهم)، كما أنه تحميل للنص القرآني ما لا يحتمل. وأعتقد أنني قد وضحت ذلك عند مناقشة أدلة الفريقين.^(٢)

أما القول الثالث القائل بأن المقصود صلب الرجل وترايبه، وصلب المرأة وترايبها، فأقول: إن التفسيرات العلمية التي أدلى بها العلماء لكيفية خروج الماء الدافق من بين صلب الرجل وترايبه، ومن بين صلب المرأة وترايبها لا يمكن اعتبارها صحيحة إذ أن الأساس الذي بنوا عليه تفسيرهم العلمي، وهو أن الصلب العمود الفقري والترايب الأضلاع، غير صحيح. وقد بينت أيضاً من الناحية العلمية أن هذا التفسير غير دقيق.^(٣)

والذي أرجحه - والله تعالى أعلم - أن الصلب كناية عن الرجل وأن الترايب كناية عن المرأة. فالصلب والترايب وإن كانت تطلق على الرجل والمرأة على حد سواء، إلا أن الصلب

(١) انظر من: ٦٩-٧٠.

(٢) انظر من: ٧١-٧٢.

(٣) انظر من: ٧٤-٧٥.

أكثر وقوعه في كلام العرب في أوصاف الرجال، لأنه أبرز ما يوصف به الرجل في رجولته، بينما أكثر وقوع الترائب في كلام العرب في أوصاف النساء لعنم احتياجهم إلى وصفها في الرجال. فنلاحظ أن القرآن الكريم قد أطلق الجزء (الصلب والترائب) وأراد الكل (الرجل والمرأة) ^(١) ليقرر أنّ للرجل والمرأة ماءً دافقاً، وأنّ قوى كل منهما تتعاون في تكوين الإنسان. ولكن هذا لا يمنع من البحث عن المعنى العلمي الخاص لهذه الكناية، كما فعل الدكتور داود السعدي حيث رأى أن الصلب والترائب هي ليست كناية عن الرجل والمرأة فحسب، بل عن الكرموسومات الجسدية والجنسية لدى الرجل والمرأة.

(١) وهذا ما ذهب إليه أستاذي الفاضل الدكتور أحمد عزام.

ملخص ما يحدث في مرحلة الماء الدافق

في حال كانت وضعية المرأة النفسية متوازنة بشكل أو بآخر، فإن الدماغ عندها يسمح للغدة النخامية^(١) بإفراز هرمونات خاصة باتجاه المبيض عبر قنوات الدم. ويستجيب المبيض لهذه الإشارة بزيادة إنتاجه للهرمون الأنثوي الجنسي (الأستروجين) (Estrogen). وفي الوقت نفسه، فإن ببيضة ما تبدأ مرحلة النضوج في أحد المبيضين،^(٢) مما يؤدي بدوره إلى مرحلة الإباضة (Ovulation): أي إطلاق الببيضة (Ovum) من العضو الشبيه بالكبسولة الذي يحتويها والتي تسمى بـ (الجريب) أو (الحويصل).^(٣) تحت تأثير هرمون تفرزه الغدة النخامية (F. S. H.) هو الهرمون المنشط للحويصلات تنمو مجموعة من البويضات، ولكن واحدة منها فقط هي التي تكمل نموها فتحاط بمجموعة من الخلايا على هيئة صفوف دائرية حولها.

وبعد بدء الدورة الشهرية بأسبوعين تصبح الحويصلة المحتوية للببيضة ناضجة ويبلغ قطرها نحو سنتيمترين. ثم يتجمع سائل فيما بين الببيضة وهذه المجموعات من الخلايا ويزداد نمو السائل مما يؤدي إلى اقتراب الحويصلة من سطح المبيض، ونتيجة لزيادة الضغط بداخل الحويصلة فإن ذلك يؤدي إلى انفجار وتمزق الحويصلة في أضعف نقطة، ويترتب على هذا التمزق أمران:

(١) الغدة النخامية: هي غدة صغيرة الحجم موقعها في قاعدة الدماغ ووظيفتها إنتاج الهرمونات، والذي يحدد نوعية الهرمونات المفرزة هو مراكز معينة موجودة في الأجزاء السفلية من الدماغ ومتصلة بالغدة النخامية. [طيفور، ماجد، روعة الخلق - أسرار كينونة الجنين، الدار العربية للعلوم، بيروت، (ط١، ١٤١٢-١٩٩١)، ص: ١٨ بتصرف]

(٢) وسأشير إليه فيما بعد بـ طيفور، روعة الخلق).
(٣) ليس محددًا من أي المبيضين تخرج الببيضة، ولا يتبادل المبيضان الأدوار من أجلها. ولو حصل لاستواصل أحد المبيضين بعملية جراحية لسبب من الأسباب، فإن عملية الإباضة تتم في المبيض الباقي. وربما تكون هذه إحدى الطرق التي يحمي الجسم بواسطتها نفسه من أمراض الأعضاء التناسلية. [طيفور، روعة الخلق، ص: ٣١، بتصرف قليل].

(٤) المرجع السابق، ص: ١٨-١٩، (بتصرف قليل).

الأمر الأول: خروج السائل الذي يملؤه، والذي يسمى السائل الحويصلي (Follicular Liquid) أي ما يعرف بالماء الدافق عند المرأة، ويبلغ هذا السائل ما بين ١٠-١٥ مليلتر (أو ما يعادل ملعقة صغيرة تقريباً). ويشتمل هذا السائل على ملايين الخلايا التي أنتجت هرمونات الجنس الأنثوية. ويضم هذا العدد من الخلايا البيضة التي تعتبر حمولة الحويصل الثمينة بالإضافة إلى آلاف الخلايا التي تحيط بهذه البيضة، وتتولى مهمة توفير الغذاء والحماية لها طوال فترة رحلتها. هذه الخلايا المغذية تتجمع بعيداً عن البيضة بما يشبه "التاج المشع" (Corona Radiata) نتيجة السائل الذي بداخل قناة فالوب.

الأمر الثاني: يتحول ما تبقى من الحويصلة إلى ما يعرف "بالجسم الأصفر" (Corpus Luteum) الذي يقوم بتشكيل كميات كبيرة من هرمون الحمل البروجسترون (Progesterone)^(١) على مدى الأسبوعين القادمين. (نلاحظ أن الحويصلة بالإضافة إلى كونها حاضنة للبيضة فإنها تصبح كذلك هي نفسها غدة صغيرة منتجة للهرمونات) ويتغلغل هرمون البروجسترون في قنوات الدم حيث يجري تحويلات في كامل جسم المرأة، وبالأخص لجهة تعديل بطانة الرحم وغشائه بانتظار استقبال البيضة المخصبة.

وإذا قدر الله تعالى أن لا يتم ذلك فإن الطبقات الخارجية من بطانة الرحم تتغير مما يؤدي إلى تلف سطحي رقيق يؤدي إلى نزيف يعرف (بالطمث). وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الرحم يكون جاهزاً للحمل كل شهر. وفور انطلاق البيضة باتجاه سطح المبيض يلتقطها أنبوب فالوب، وهناك تمكث البيضة لمدة أربع وعشرين ساعة تقريباً بانتظار إخصاب محتمل عن

(١) البروجسترون: هو هرمون يجعل جسم المرأة يستعد للحمل، حيث إنه يلبي الرحم ويزيد من تغذيته وترويته بالدماء، وله تأثير هام في استقرار الرحم في فترة الحمل حتى لا ينفذ الرحم بالجنين، وخاصة في أشهر الحمل الأولى، ولذلك يستعمل كملاخ في كثير من حالات الإجهاض المتكرر. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٨١، ٦٧ بتصرف].

طريق حيوان منوي، وهي في هذا الوضع تتحرك دائماً ولكن بسبطه فوق طبقات الغشاء المخاطي. فإن لم يأت حيوان منوي فسرعان ما تموت، وعندئذ تدفعها شعيرات قناة الرحم إلى الرحم الذي يطردها إلى المهبل مع إفرازاته. أما حويصلة جراف التي خرجت منها البيضة فإنها تموت وتذوي ويبيضُ جسمها، وتسمى عندئذ الجسم الأبيض (Corpus Albicans).^(١)

[انظر الشكل ٧ (ب)].

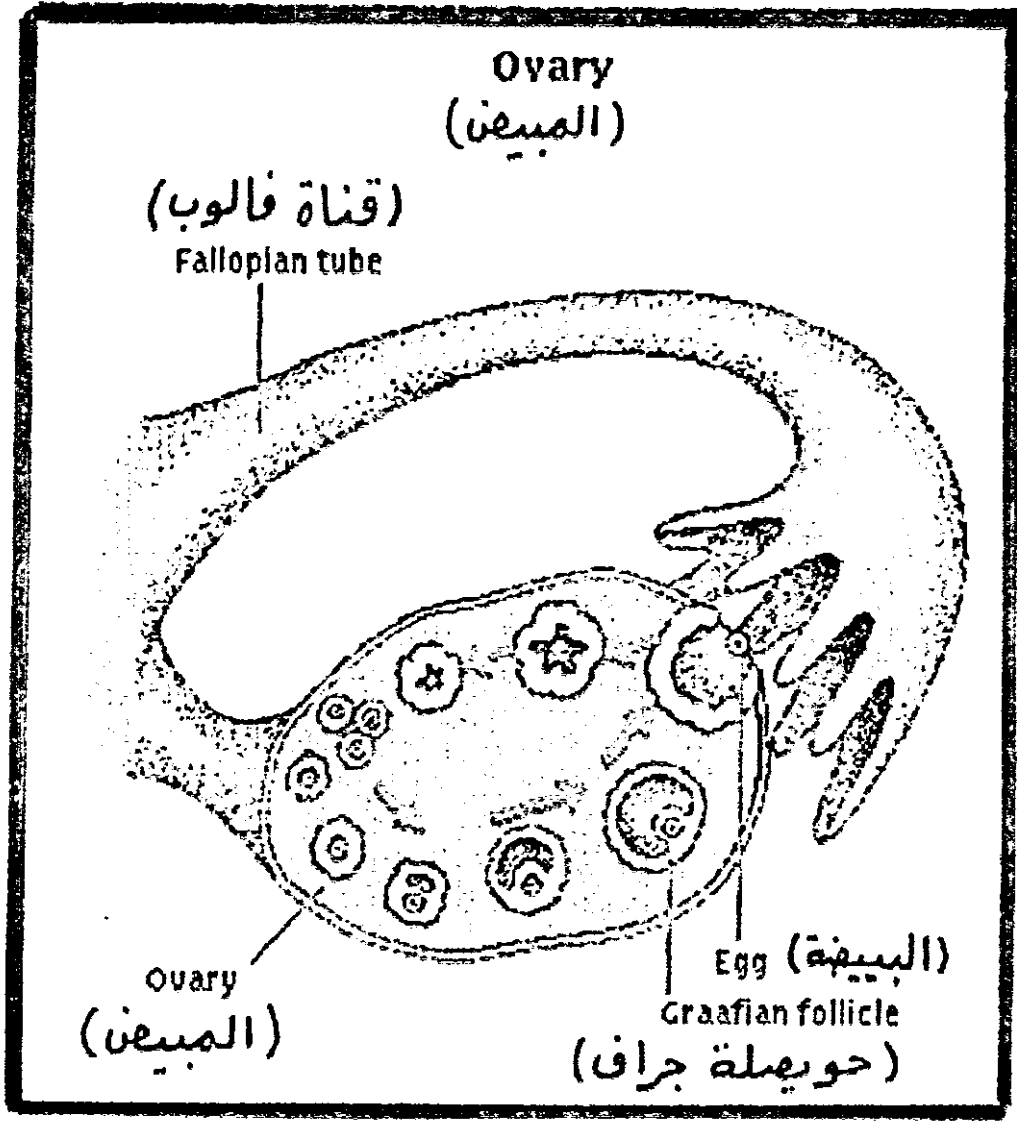
هذا فيما يخص المرأة... أما بالنسبة للرجل فإنه يتم تكوين الحيوانات المنوية داخل الأنابيب المنوية^(٢) (Seminiferous Tubules) التي توجد في الخصية (Testes). [انظر الشكل ٨] هذه القنوات المنوية المتعرجة والملتفة تتجمع وتصب كالروافد للنهر- تصب جميعها في مكان يسمى البربخ (Epididymes)، والبربخ أنبوب ملتوٍ بطول ستة أمتار يفرز سوائل تحوي هرمونات وأنزيمات ومغذيات خاصة، تلعب دوراً هاماً في نمو الحيوانات المنوية. وبعد مكوثها في البربخ فترة محددة تغادره وقد أصبحت قادرة على الحركة ولها القدرة على إخصاب البييضات، لتمر خلال القناة القاذفة للمني (Vas Deferens) حيث تخزن. وتلتقي هناك أيضاً إفرازات الحويصلة المنوية (Seminal Vesicles) وإفرازات غدة البروستاتة التي تقوم بإفراز سائل قلوي يعمل على معادلة الوسط الحمضي للسائل المنوي، وبهذا تحمي إفرازات غدة

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٨٠ (بتصرف)، وطيفور، روعة الخلق، ص: ٣، ٢٠، ٢١، ٣٥ (بتصرف)، وحامد، أحمد، الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٦)، ص: ٤٠، ٢٦٧-٢٦٨ (بتصرف). (وسأشير إليه فيما بعد بحامد، الآيات العجاب في رحلة الإنجاب).

(٢) هذه الأنابيب المنوية تقوم أيضاً بإفراز سكر الفركتوز (Fructose) الذي يعتبر المصدر الرئيسي للطاقة للحيوان المنوي وبعض المغذيات الأخرى التي تحفظ الحياة له، كما أنها تفرز مادة البروستاغلاندين (Prostaglandin) التي تساعد فيما بعد في انقباض الرحم وقناة فالوب، الأمر الذي يساعد الحيوان المنوي في الوصول إلى البيضة. [الرقمي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٢، بتصرف].

البروستاتة الحيوانات المنوية من التأثير الضار الذي تحدثه هذه الأحماض. وينطلق المنى بعد

ذلك إلى الاحليل والقضيب^(١).^(٢) [انظر الشكل ٩]

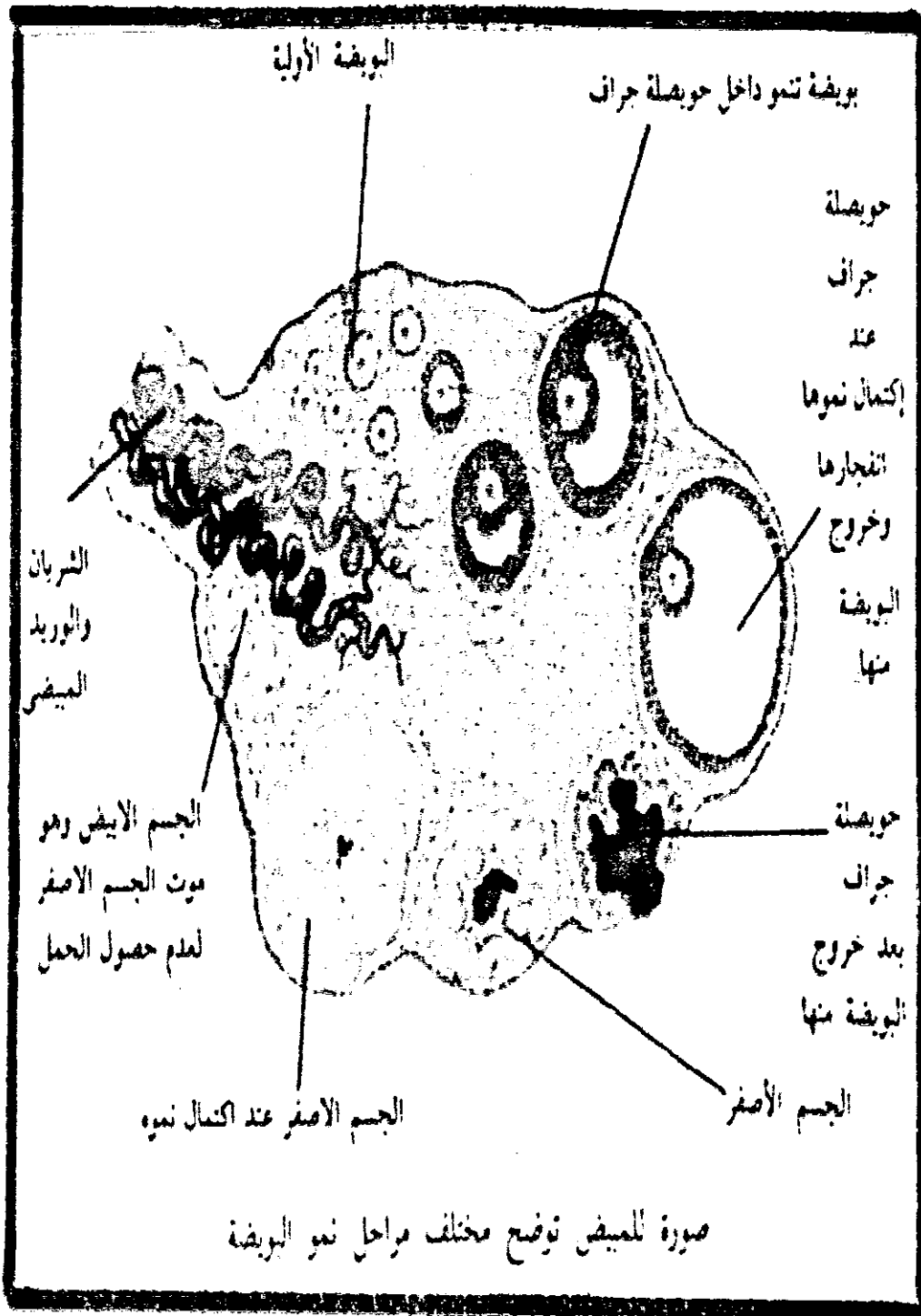


الشكل ٧ (١) (٣)

(١) الاحليل: هو مخرج البول من الإنسان، وهو مستعار من احليل الثدي أي مجرى اللبن. والقضيب: هو العضو الانتصابي في الذكر وفيه يجري الاحليل. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٨].

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٨ (بتصرف)، والرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٢-٥١ (بتصرف).

(٣) Microsoft Encarta Reference Library ٢٠٠٢



صورة للمبيض توضح مختلف مراحل نمو البويضة

الشكل ٧ (ب) (١)

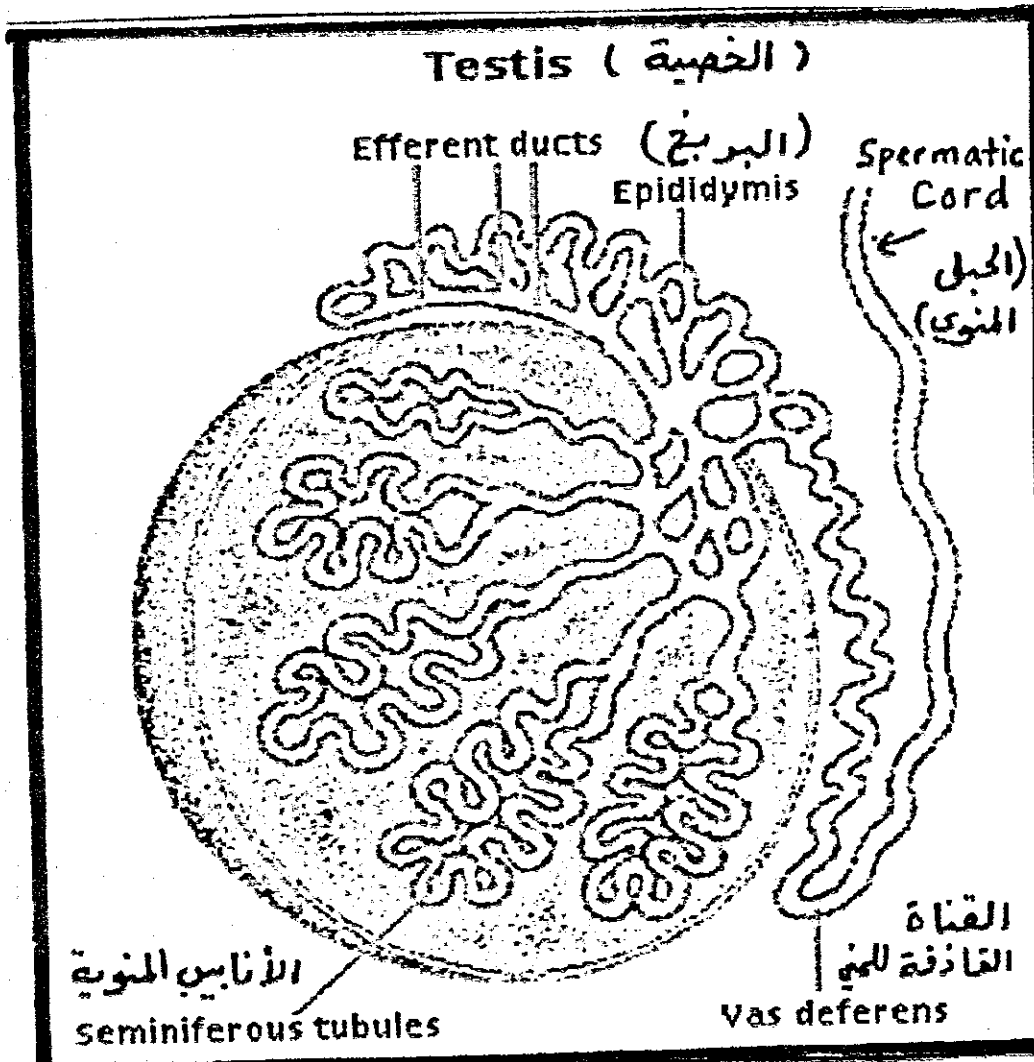
(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٧٧.

ومن هنا نلاحظ أن المنى يتكوّن من أمرين هما:

أولاً: الحيوانات المنوية التي تتولد في القنوات المنوية في الخصية.

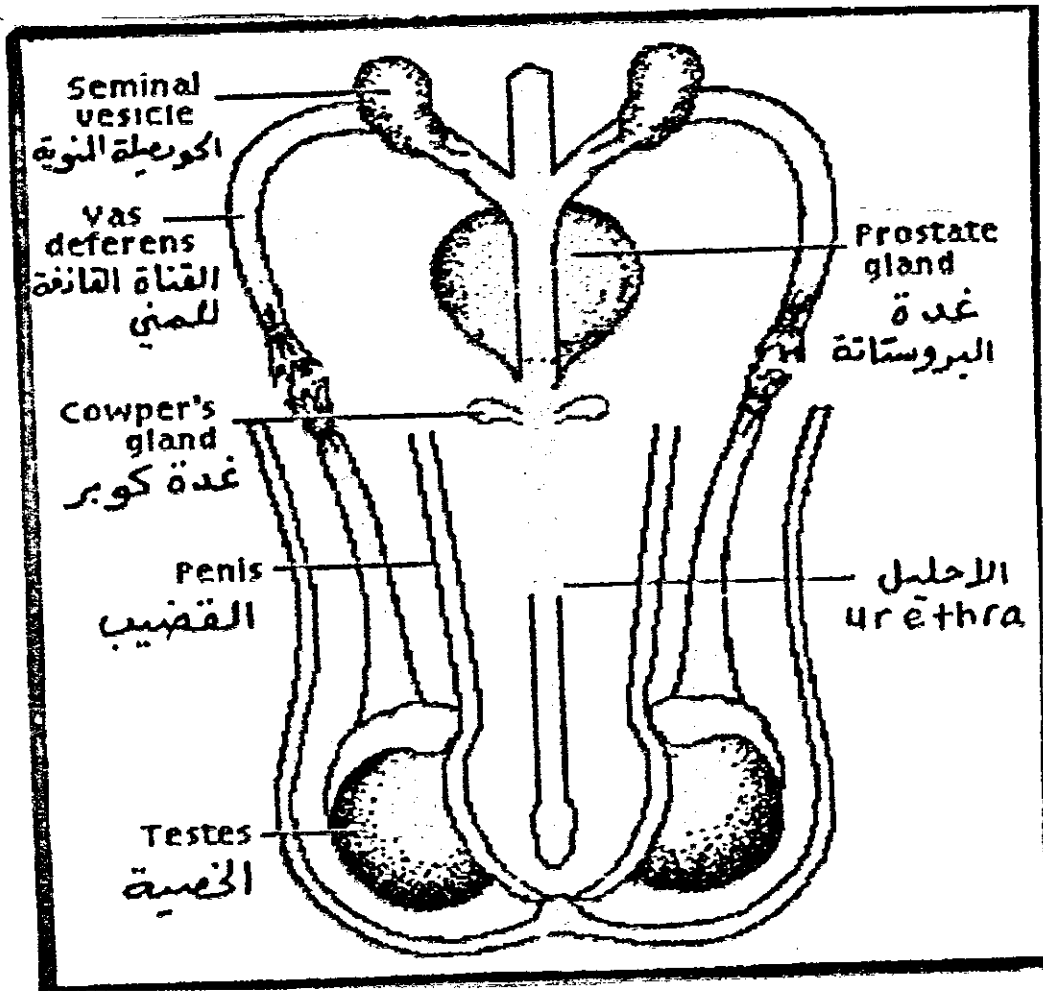
ثانياً: سائل يتجمع من إفراز البربخ والحويصلة المنوية وغدة البروستاتة وغدد صغيرة حول

مجرى البول تدعى غدد كوبر على اسم مكتشفها. (1)



الشكل ٨

(1) المصدر السابق، ص: ٣١ (بتصرف).



الشكل ٩

وقد ركزت آيات القرآن الكريم على النطفة وأعطتها مكانة عالية في عملية الخلق، بالرغم من أن الحيوان المنوي وحده هو المسؤول عن إخصاب البويضة. وهذا الاهتمام يرجع إلى الدور المهم الذي يقوم به السائل المنوي:

١. يحتوي السائل المنوي كما ذكرنا على إفرازات البريخ التي تتكون من العديد من الهرمونات والأنزيمات التي تساعد في نمو الحيوان المنوي. (١) ومن الجدير بالذكر أن الحيوانات

(١) الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٥-٥٦ (بتصرف).

المنوية تغادر الأنابيب المنوية وهي لم تكتسب القدرة على الحركة وعلى إخصاب البويضة

بعد، وهي لا تكتسب هذه القدرة إلا بعد مكوثها في البربخ فترة من الزمان. (١)

٢. ويحتوي المنى على إفرازات غدة البروستاتة التي تساعد في جعل وسط المنى قلوياً

(Base)، (٢) مما يؤدي إلى حماية الحيوانات المنوية من تأثيرات إفرازات المهبل الحامضية

(Acid) (٣) حتى تصل إلى عنق الرحم القلوي الإفراز. ولهذا هياً الله سبحانه وتعالى

للحيوانات المنوية هذا الماء الدافق القلوي التفاعل حتى يحميها من إفرازات المهبل

الحامضية. (٤)

ومن هنا نلاحظ أن الحيوان المنوي يحتاج لباقي مكونات النطفة لأجل القيام بوظيفته

على الوجه الأكمل، ولهذا لا نجد أماناً إلا أن ننسب دور الإخصاب إلى النطفة بكاملها، كما

جاء بذلك في القرآن الكريم: (٥)

﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾. (٦)

﴿ قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره ﴾. (٧)

(١) المصدر السابق، ص: ٥١ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٦.

(٣) مهبل المرأة حمضي الوسط، فالأس الهيدروجيني (pH) يقدر بـ (٣,٥-٤)، ويرجع ذلك إلى إنتاج حامض اللبنيك الذي يعوق نمو البكتيريا والجراثيم فيحفظ المهبل معقماً آمناً لاستضافة الحيوانات المنوية. أما الحيوانات المنوية فهي تبلغ أوج نشاطها في وسط (أسه الهيدروجيني ٦-٦,٥ pH)، هذا هو السبب في أن السائل المنوي يكون وسطه قاعدياً بفضل إفرازات البروستاتة (الأس الهيدروجيني ٧,٥ pH) مما يعادل حموضة المهبل. [حامد، الآيات العجيب في رحمة الإنجاب، ص: ٧٥-٧٦].

(٤) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١١٢، ١١٣ (بتصرف).

(٥) الرقي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٦.

(٦) سورة يس، آية ٧٧.

(٧) سورة عبس، آية ١٧-١٩.

المرحلة الثانية من مراحل طور النطفة: مرحلة السلالة:

في معرض الحديث عن مرحلة السلالة أجد نفسي أمام آيتين عظيمتين في كتاب الله عز وجل هما: قوله تعالى: ﴿أفرايتم ما تمنون* ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾،^(١) وقوله سبحانه: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾.^(٢)

فبعد أن رأى الإنسان حقيقة ما يمضي في القرن العشرين من خلال المجهر والتحليل الكيميائية الطويلة المعقدة، لا يستطيع كل ذي عقل ومنطق إلا أن يقر ويعترف بوجود خالق قادر، أنشأه وقدره وخلقته وسواه من خلية واحدة، نتجت عن اتحاد سلالة المرأة والرجل. وبما أن الخالق أمرنا أن نفكر في حقيقة ما نمضي، فلا بد من بعض التفاصيل العلمية المبسطة عن سلالة المرأة والرجل.^(٣)

بطاقة تعريف لسلالة الرجل:

إذا دققنا النظر في كل حيوان منوي وجدناه كالتذيفة الصاروخية، له رأس مصفح مدبب، وله عنق صغير، وله ذيل طويل بوساطته يتحرك وينطلق ليقطع المفاوز حتى يصل إلى البيضة أو يموت. [انظر الشكل ١٠].

أما رأس الحيوان المنوي المصفح فهو يحتوي على أسرار الوراثة كاملة، ينقلها من الأب إلى الابن أو البنت على هيئة ٢٣ جسيماً ملوناً أو كروموسوماً^(٤). وعلى قمة رأس الحيوان المنوي ما يشبه الطاقة وتسمى (كساء رأس الحيوان المنوي) من أجل حماية الحيوان المنوي

(١) سورة الواقعة، آية ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة الطارق، آية ٥.

(٣) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٧٢ (بتصرف).

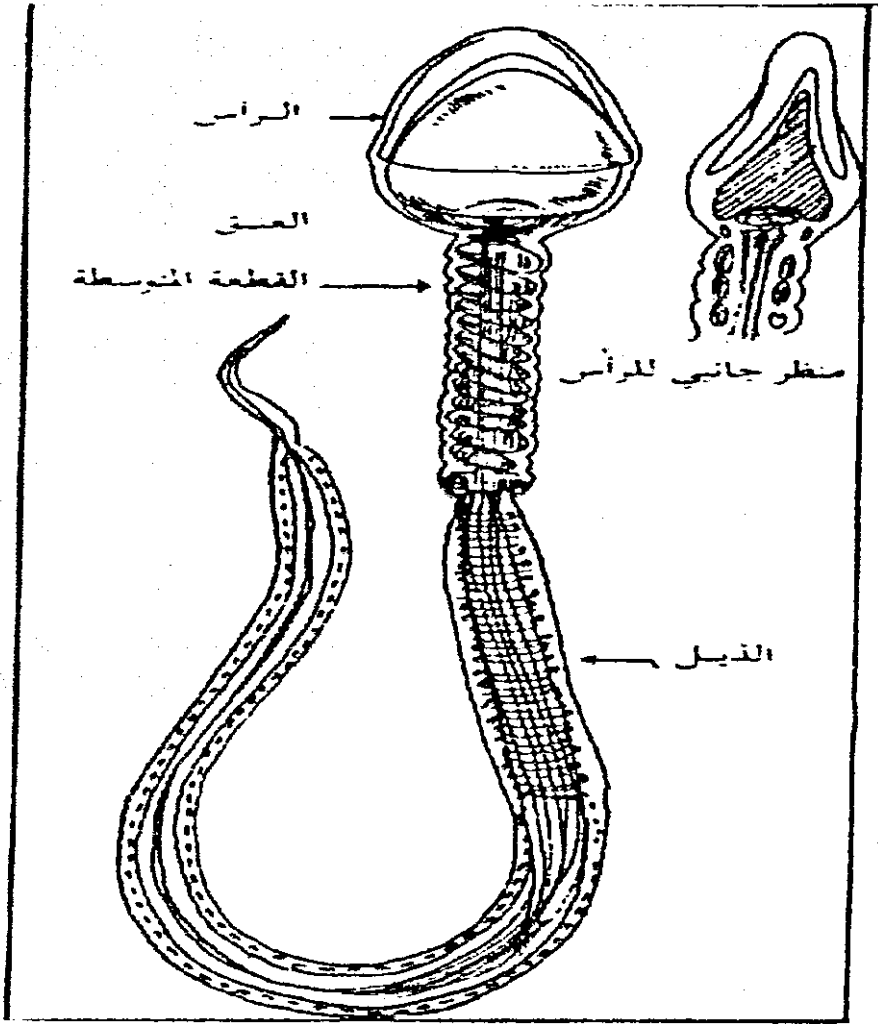
(٤) أي ٢٢ كروموسوم جسدي وكروموسوم جنسي واحد قد يكون (X) أو (Y).

الذي يواجه أخطاراً أثناء رحلته الطويلة، كما أنها تحتوي على البروتينات التي تعرف بالأنزيمات، ومهمتها مساعدة الحيوان المنوي على اختراق هالة الخلايا حول البيضة. وطالما تكون هذه الطاقة موجودة على قمة رأس الحيوان المنوي، فإن من غير الممكن عليه دخول البيضة.

أما العنق القصير ففيه مصدر الطاقة لهذه التغذية الموجهة وتسمى (الميتوكوندريا)، ووظيفتها تحويل السكر إلى طاقة حتى تمد هذه التغذية بحاجتها أثناء رحلتها الطويلة. ويبقى الذيل موجهاً لحركة هذه التغذية ومساعداً لها على السباحة في خضم بحر المنى وأمواجه المتلاطمة. فيضرب الحيوان المنوي بسوطه عبر هذه الإفرازات المتعاقبة حتى يصل إلى بغيته، وبواسطتها فإنه يستطيع قطع مسافة ١٠ سنتيمترات في نصف ساعة. ومن يستهين بهذه المسافة فليعلم أنها تفوق طول الحيوان المنوي ٤ آلاف ضعفاً.

وليست كل الحيوانات المنوية على وتيرة واحدة، فهي أمة كاملة بل أمم متكاملة، فمنها القصير ومنها الطويل، ومنها القوي ومنها الضعيف، ومنها ذو الرأس ومنها ذو الرأسين، ومنها ما له رأس مدبب ومنها ما له رأس ملتوي، ومنها ما تحمل الكروموسوم الجنسي الذكري (Y)، ومنها ما تحمل الكروموسوم (X) الأنثوي، وليست كل هذه الملايين من الحيوانات المنوية صالحة لتلقيح البيضة بل فيها ما يقرب من ٢٠٪ غير صالحة للتلقيح ابتداءً. (١)

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٦٠-١٦١، بتصرف، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٧٥، بتصرف، وحامد، الآيات العجائب في رحلة الإيجاب، صفحة ٥٣-٥٤، بتصرف، وطيفور، ملجد، روعة الخلق، ص: ٤٥-٤٦، ٥١ (بتصرف).



الشكل ١٠: (١) صورة تخطيطية للحيوان المنوي (سلالة الذكر)

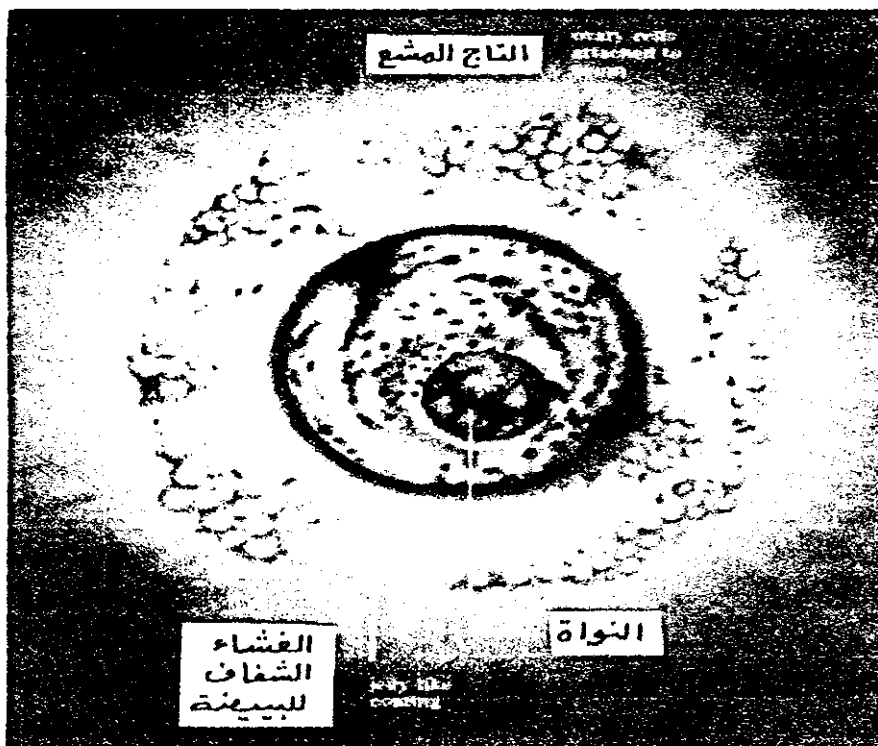
بطاقة تعريف لسلالة المرأة:

بيوضة المرأة الناضجة هي أكبر خلية إنسانية. (٢) شكلها دائري كالبدن الكامل، وبداخلها نواة محاطة بسيتوبلازم مليء بالمواد الغذائية المحفوظة لصالح البيوضة. وتحيط بالبيوضة مجموعة

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والتراتيب، ص: ٧٢.

(٢) نلاحظ أن البيوضة كبيرة الحجم بينما الحيوان المنوي متناه في الصغر، والسر يكمن في أن البيوضة هي المسؤولة عن تغذية النطفة الأمشاج المكونة من كروموسومات الأم وكروموسومات الأب حتى تعلق النطفة وتتشب في جدار الرحم لتصبح العلقة. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٦٥ ، بتصرف].

من الخلايا تكون لها كالتاج المشع (Corona Radiata). ويحيط بها أيضاً قليل من الماء الأصفر، وقد أشار الحديث الشريف إلى ذلك حيث قال ﷺ: " ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر." ^(١) [انظر الشكل ١١].



الشكل ١١ (٢) صورة للبيضة (سلالة الأنثى) وحولها التاج المشع

وبعد هذا التمهيدي البسيط لسلالة المرأة وسلالة الرجل، يمكننا التعرف على مرحلة السلالة من خلال آيات القرآن الكريم. يقول الخالق جل جلاله في كتابه: ﴿ ثم جعل نسله من

^(١) سبق تخريج هذا الحديث ص: ٥٥، ونحن نعلم اليوم أن ماء المهبل أصفر، وأن البيضة عند المرأة وهي في المبيض داخل حويصلة جراف محاطة بسائل أصفر اللون. وإذا حصل الحمل فالحويصلة هذه تتحول إلى ما يسميه الطب (بالجسم الأصفر). ونضيف إلى ذلك أن البيضة ذاتها هي صفراء اللون كما تظهر تحت المجهر عند ثلويتها. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨٤، بتصرف، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ١٢٩، بتصرف، وتوفيق، محمد، دليل الأئمة بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٣٦٦، بتصرف.] ^(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٧٨.

سلالة من ماء مهين»^(١) هذه الآية الكريمة تشير إلى المرحلة الثانية التي تمر بها النطفة عبر رحلتها الطويلة من المهبل إلى البيضة ليتم التلقيح وهي مرحلة السلالة.

ولفظ السلالة من الناحية اللغوية يأتي بمعنى: الشيء المسلول، أي المنتزع من شيء آخر في رفق، يقال: سللتُ الشعر من العجين والسيف من الغمد إذا أخرجته، والتسلل التحرك في استخفاء^(٢)، جاء في التنزيل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(٣) أي يخرجون من مجلس النبي ﷺ في خفية^(٤). وسلالة الشيء ما استل منه، والنطفة سلالة الإنسان، والولد سليل لأنه يخرج من بطن أمه، ووزن فعالة يؤذن بالقلّة.^(٥)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السلالة صفو الماء.^(٦) وقيل في تفسير السلالة إنها خلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية.^(٨)

أقول... من خلال تتبع المعنى اللغوي للسلالة نخلص إلى النتائج التالية:

١. أن لفظ السلالة يدل على شيء مستخلص من شيء آخر، أو بعبارة أخرى اللفظ يدل على الانتقاء والاصطفاء.

٢. أن عملية الاستخلاص تتم برفق.

(١) سورة السجدة، آية ٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سل)، (٣٣٨/٦).

(٣) سورة النور، آية ٦٣.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، (٥٨/٤).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سل)، (٣٣٨/٦).

(٦) أبو جعفر النحاس، محمد بن أحمد بن إسماعيل، (ت. ٣٣٨ هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط١، ٨١٤٠٩)، (٤ / ٤٤٦)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢/٩). (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم).

(٧) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢١ / ٩٥).

(٨) الألويسي، روح المعاني، (٢١ / ١٢٤).

٣. أن الشيء المستخلص أو المستخرج يكون قليلاً. وهذه الميزات الثلاث تنطبق على الحيوانات المنوية في ماء الرجل وكذلك على البيضة في ماء المرأة. وإليك بيان ذلك:

١. أما دلالة لفظ السلالة على الانتقاء والاصطفاء: فمن الأمور المعروفة والثابتة أن الدفقة الواحدة من المنى تحمل مني مليون حيوان منوي. فأول ما تخرج يكون عشرون بالمائة منها غير صالح للتلقيح، ثم يموت في المهبل عدد كبير منها، ثم يموت على عنق الرحم عدد آخر، ثم تذهب مجموعة منها إلى قناة الرحم اليمنى وأخرى إلى اليسرى ولا تدري في أي منها تكون البيضة، فهناك تلك التي ذهبت إلى غير مكان البيضة،^(١) وأخيراً لا يصل إلى النهاية سوى بضع مئات يقرب من خمسمائة حيوان منوي، وهنا يقع اختيار وانتقاء واصطفاء آخر لحيوان منوي واحد فقط من بين تلك الحيوانات ليتم به تلقيح البيضة^(٢)، وهذا الحيوان المنوي يطلق عليه اسم (سلالة الرجل).

وفي البيضة كذلك هناك اصطفاء وانتقاء إذ يبلغ عدد البيضات في مبيض الأنثى وهي لا تزال جنيناً في بطن أمها ستة ملايين بيضة أولية، ولكن كثيراً منها يذوي ويموت قبل خروجها إلى الدنيا، ثم تستمر في اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها إلا ثلاثين ألف فقط. وفي كل شهر تنمو مجموعة من هذه البيضات، ولكن لا يكتمل النمو إلا لواحدة فقط،^(٣) وهذه هي سلالة المرأة، وفي حياة المرأة التناسلية^(٤) لا يزيد ما تفرزه المرأة عن أربعمائة بيضة.^(٥)

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨٠-٣٨١، بتصريف قليل.

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٨١، بتصريف، وتوفيق، دليل الأئمن بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٩٣-٩٤.

(٣) قد يفرز المبيض بيضتين أو أكثر في شهر واحد. وإذا ما تلقت هاتان البيضتان فإن النتيجة هي التوائم غير المتطابقة. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨١].

(٤) وهي الفترة الممتدة من سن النضج إلى سن انقطاع الدورة الشهرية عندما (في سن الخمسين تقريباً) [الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٤١].

(٥) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨١-٣٨٢، وانظر: طيفور، روعة الخلق، ص: ٣١.

والأعجب من ذلك كله أن هناك اصطفاً واختياراً في السلالة نفسها. فبعد أن تمت عملية اصطفاً حيوان منوي واحد وبيضة واحدة، فهذا لا يعني أن التقاءهما سيؤدي إلى خلق جنين، بل إن إحدى السلالتين أو كليهما قد تكون غير صالحة للإخصاب. وقد ربط الخالق سبحانه وتعالى تخلق الذكر والأنثى من النطفة بشرط تمنيتها. يقول تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى﴾^(١).

فالنطفة سواء أكانت للرجل أم للمرأة لا تعطي خلقاً إلا إذا أمانها الله، بمعنى قدر أن سيكون منها خلق، لما أودعه فيها من سلالات ومواد كيميائية عديدة معقدة. ومن الجدير بالذكر أن حقيقة عقم ماء المرأة والرجل لم يعرف إلا في القرن العشرين.^(٢) تشير الأبحاث الطبية الحديثة إلى أن ثمانية وسبعين بالمائة (٧٨ %) من جميع حالات الحمل تسقط طبيعياً، وأن ما يقرب من خمسين بالمائة (٥٠ %) يسقط قبل أن تعرف أنها حامل، فتظن الأم أن الدم الذي جاءها في موعد الحيض أو بعده بقليل هو دم الطمث الذي كانت تنتظره ولا تعلم أنه دم سقط.^(٣)

يقول الدكتور عدنان الشريف: لم يكتشف الحيوان المنوي والبيضة إلا في القرن السابع عشر مع اكتشاف المجهر، أما القرآن فقد أعطى الحيوان المنوي والبيضة اسم (السلالة)، وهي التسمية الأبلغ والأسهل والأصح علمياً، إذ أنها تعني النخبة المستخلصة والمنسلة من الشيء، وهي صفات الحيوان المنوي والبيضة وميزتا تهما.^(٤) وبناء على ذلك يقول: " لنا رجاء (أي من المتقين) في أن تستبدل معاجم اللغة والمقالات العلمية بكلمة الحيوان المنوي والبيضة كلمة السلالة." ^(٥)

(١) سورة النجم، آية ٤٥ - ٤٦.

(٢) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني - الثوابت العلمية في القرآن الكريم، ص: ١٦٧، بتصرف.

(٣) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨٢، بتصرف قليل.

(٤) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني - الثوابت العلمية في القرآن الكريم، ص: ١٦٦ - ١٦٧.

(٥) المصدر السابق، ص: ٤٠.

٢. أما دلالة كلمة السلالة على الرفق: فقد قلنا إن التسلل هو التحرك في استخفاء، وبالتالي فالسلالة هي ما يحرك في خفاء، والخفاء قد يتعلق بالشيء ذاته وقد يتعلق بالحركة، وقد يكون كلاهما خفياً. و الشيء يكون خفياً عندما يكون مفرطاً في الصغر أو مفرطاً في الشفافية أو في البعد أو حين يتخفى وراء غيره أو في ثناياه. والحركة تكون خفية إذا كانت مفرطة في السرعة، أو في البطء، أو حين تحدث وراء ستار أو في الظلام، ولا تكون مصحوبة بما يُنمّ عليها. وحين يكون التخفي بسبب بطء الحركة وانخفاض الصوت والتأثير فإنه قد يسمّى تطفناً ورفقاً. (١)

٣. أما بالنسبة لدلالة لفظ السلالة على القلة، فهذا واضح ولا يحتاج إلى مزيد من الشرح، لا سيما وأنا لمسنا الاصطفاء والاختيار لكل من سلالة الرجل والمرأة من بين ملايين الحيوانات المنوية والبييضات. ومن هنا نفهم سر الإعجاز الوارد في قوله ﷺ: "ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء". (٢) فالحديث صريح في أنه ليس من كل الماء يكون الولد وإنما من جزء يسير منه. ونلاحظ أيضاً في مرحلة السلالة العلاقة الوثيقة ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة (النطفة). فقد قلتُ سابقاً إن معنى النطفة في اللغة القليل من الماء، ونحن نلاحظ هنا أن السلالة جزء يسير جداً من نطفة الرجل والمرأة.

هذا من الناحية اللغوية... ومن ناحية أخرى فقوله تعالى: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ يدل على أن السلالة جزء من الماء المهين (بل هناك من العلماء من قال إن السلالة هي الماء المهين مثل قتادة^(٣) والإمام النسفي الذي اعتبر أن الماء المهين بدلاً من

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٧٠، بتصرف.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب النكاح، باب حكم العزل، برقم ١٢٣، (١٠٦٤/٢).

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٩٥/٢١).

السلالة)^(١) ونجد في آية أخرى - وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾^(٢) - أن الله تعالى أشار إلى أن الخلق يكون من الماء المهين. فإذا كانت السلالة جزءاً من الماء المهين، وإذا كان الخلق من الماء المهين، فلا بد أن تكون السلالة للرجل والمرأة، لأننا نعرف يقيناً أن الإنسان يخلق من ماء الرجل والمرأة على حد سواء. نضيف إلى ذلك أن كلمة (السلالة) في الآية لم تضاف إلى الرجل وكذلك (الماء المهين) لم يضاف إلى أحد الأبوين دون الآخر، فمن أين جاءوا بهذا التخصيص (أي: تخصيص الماء المهين بنطفة الذكر) الذي لا دليل عليه؟

وقد ردّ الإمام القرطبي على من احتجّ بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ وقوله: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ والآية: ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يَمْنَى ﴾ على أن الخلق من ماء الرجل وحده قائلاً: "ولما ما احتجوا به فليس فيه أكثر من (أن) الله تعالى (قد) نكرَ خلق الإنسان من الماء والسلالة والنطفة ولم يضيفها إلى أحد الأبوين دون الآخر. فدلّ على أن الماء والسلالة لهما، والنطفة منهما، وبأن المرأة تُمني كما يُمني الرجل... وقد قال في قصة نوح: ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾،^(٣) وإنما أراد ماء السماء وماء الأرض، لأن الالتقاء لا يكون إلا من اثنين، فلا ينكر أن يكون ﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ويريد ماعين. " أ هـ. " ^(٤)

ولعل الذي جعل كثيراً من المفسرين يقولون إن السلالة نطفة الرجل (وتابعهم في ذلك كثير من الأطباء) هو اعتقادهم أن كلمة (المهين) الواردة في الآية الكريمة تعني الممتن الحقيير الذي لا يُعتنى به. وهذا حملهم على تفسير الماء المهين على أنه صفة للنطفة بالإشارة إلى مسار

(١) النسفي، تفسير النسفي، (٣ / ٢٩٠).

(٢) سورة المرسلات، آية ٢٠.

(٣) سورة القمر، آية ١٢.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٦ / ٢٢٤).

المنى عبر الإحليل، أي مسار البول من مكان واحد. و هذا التفسير - والله تعالى أعلم - بجانب
للصواب للأسباب التالية:

أولاً: حرف الميم في كلمة مهين (بفتح الميم) أصلية، وهو فعيل من مَهَنَ إِذَا ضَعُفَ، وليس هو
من مادة هان أو هَوَّنَ. أما كلمة مُهين (بضم الميم) فهو من مادة هَوَّنَ مأخوذ من الهوان^(١). و
القرآن قد فرق بين اللفظين. فالمهين من الرجال الضعيف والفاجر، وقد وردت كلمة مهين في
القرآن بالمعنيين:

(١) قال تعالى عن خلق الإنسان: ﴿ ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ﴾^(٢).

(٢) وقال سبحانه: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾^(٣).

(٣) وقال سبحانه على لسان فرعون: ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾^(٤)

فمعنى مهين في هذه الآيات ضعيف،^(٥) والله تعالى أعلم.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤ / ٤٣٠)، بتصرف.

(٢) سورة السجدة، آية ٨.

(٣) سورة المرسلات، آية ٢٠.

(٤) سورة الزخرف، آية ٥٢.

(٥) قال أبو هلال العسكري: المهين هو المستضعف، وفي القرآن: ﴿ لم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ وفيه ﴿ من سلاله من ماء مهين ﴾. قال أهل التفسير: أراد الضعيف. [أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص: ٢٧٧]، وقال ابن حبان: * ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ أي ضعيف، هو مني الرجل والمرأة. [أبو حبان، البحر المحيطة، (٣٩٧/٨)]، وروي هذا المعنى عن مجاهد وقتادة، [الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٩٥/٢١)]، واختاره أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، (٣٠١/٥)]، والنسفي في تفسيره (٣ / ٢٧٨)، والبيهقي [أبو محمد، الحصين بن مسعود، (ت. ٥١٦)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، (ط٢، ١٤٠٧-١٩٨٧) (٤٩٨/٣)، (٤٩٨/٣)، وسأشير إليه فيما بعد بـ البيهقي، تفسير البيهقي). والشوكاني [فتح القدير، (٣٥٧/٥)]، وانظر: [جلال الدين المحلي، محمد بن أحمد، وجمال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت. ٩١١هـ)، تفسير الجلالين (وبذيله أسباب النزول للسيوطي)، دار المعرفة، بيروت، (٥٤٨/١)]، وجاء في كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم: أن المهين من الرجال: الضعيف، والمهين: التليل، وقوله تعالى: (من ماء مهين)، أي من ماء قليل ضعيف، ومثله قوله تعالى: ﴿ لم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾. [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٤)، ص: ٦١٩]

(٤) وقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ ولا تطع كل حلافٍ مهين ﴾^(١) ومعنى

مهين هنا فاجر،^(٢) والله أعلم.^(٣)

أما لفظ (مهين) فقد وردت في آيات كثيرة وكلها جاءت مقترنة بالعذاب، أي (عذاب مهين).

ثانياً: يفسر معنى كلمة (مهين) قوله تعالى: ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد

ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾.^(٤)

وقال الزمخشري: وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: (من ماء مهين).^(٥)

قال القرطبي: ومعنى (من ضعف) من نطفة ضعيفة.^(٦)

وقال الشوكاني: ومعنى (من ضعف) من نطفة.^(٧)

ثالثاً: أما من الناحية العلمية، فإنّ الجهاز التناسلي يكون محتقناً كله عند قذف السائل المنوي فسي

المهبل عند الجماع، وتكون إفرازات البروستاتة محضرة جاهزة، وعندها يصبح الصمام البولي

للمثانة، تحت تأثير الإشارات العصبية القوية، مغلقاً بأحكام وحزم، ولا يأذن للبول بالمرور إلا

بعد بضع دقائق.

(١) سورة القلم، آية ١٠.

(٢) قال مجاهد: هو ضعيف القلب، وقال ابن عباس: هو الكذاب والكذاب مهين، وقال الحسن وقتادة: هو المكثار في الشر، وقال الكلبي: المهين: الفاجر، وقال عبد الله: هو الحقيير، وقال الرماني: هو الوضع لإكثاره من القبيح. [ابن عادل دمشقي الحنبلي، أبو حفص، عمر بن علي، (ت. ٨٨٠ هـ)، الباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٨١٨-١٩٩٨، (١٩/٢٧٥)، بتصرف].

(٣) المعلمي، يحيى عبد الله، كلمات قرآنية أو مفردات القرآن، دار المعلمي للنشر، (١٤٠٧-١٩٨٧)، ص: ٤٤٢ بتصرف.

(٤) سورة الروم، آية ٥٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف، (٣/٤٩٣).

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٤/٣٢).

(٧) الشوكاني، فتح القدير، (٤/٢٣١).

ف نجد أنّ هناك عمليتين تحدثان في لحظة واحدة هما: غلق ممر البول وفتح قناة البروستاتة. ولا يمكن أن يختلط البول والسائل المنوي، فلا يفتح المجريان في لحظة واحدة كما لا ينغلقان في الوقت نفسه. (١)

وبناء على ذلك أرجح - و الله تعالى أعلم - أنّ معنى (المهين) الضعيف. ووصف الماء بالمهين - لا شك - يحمل الإنسان على التواضع لله، ولعلّ ذلك ما كان يقصده المفسرون. ومن الناحية العلمية فإنّ ماء الرجل وماء المرأة يمكن وصفهما في مرحلة ما بالضعف مقارنة مع ما كانا عليه سابقاً.

أمّا المني عند الرجل: فالسائل المنوي عند خروجه يكون متماسكاً على هيئة جلطة أو علق (مثل خثرة اللبن) وذلك لوجود مادة الفيبرينوجن الذي تفرزه الحويصلات المنوية، و يتحول إلى جلطة بسبب وجود مواد التخثر التي تفرزها البروستاتة. والغرض من هذه الجلطة هو ضمان وصول أكبر عدد من الحيوانات المنوية إلى عنق الرحم. و بعد ١٥-٣٠ دقيقة تتحرر الحيوانات المنوية بسبب إفرازات البروستاتة التي تحتوي على أنزيم يسمى برو- فيبرينوسين الذي يحل هذه الجلطة، وبذلك تتطلق الحيوانات المنوية بسرعة (١-٤ ملليمتر /دقيقة) في اتجاه مستقيم.

يقول الدكتور حامد أحمد: كان تفسير الماء المهين على أنه صفة للنطفة بالإشارة إلى مسار المني عبر الإحليل -أي مسار البول - في نفس الوقت. ولكن بعد أن تبين لنا أن الحيوانات المنوية تكون مقيدة الحركة في جلطة السائل المنوي، ثم تتحرر بعد تحلل الجلطة،

(١) الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، ص: ٣٩، بتصرف.

نستطيع القول إنّ (المهين) تعني حالة السائل المنوي متميعاً بعد أن كان مختراً بفضل الإنزيمات السابق ذكرها. (١)

وأما ماء المرأة: ففي يوم الإباضة عندما تنطلق البيضة من حويصلة جراف (أي اليوم الرابع عشر من الدورة)، يتضاعف لعشرة أضعاف إفراز المادة المخاطية من عنق الرحم المفتوحة تحت تأثير هرمون الاستروجين، وتصبح طبيعتها أكثر سيولة، بما يسمح للحيوانات المنوية بالعبور عبر قننويات تتخلل المخاط، بينما قبل فترة التبييض وبعده يكون عنق الرحم جافاً مغلقاً ويقل إفراز المادة المخاطية وتزداد ثخانتها بما يعوق عبور وصول الحيوانات المنوية إلى قناة فالوب. (٢)

فلاحظ أن الماء الدافق عند الرجل يتطلب أن يكون ثخيناً عند خروجه بينما الماء الدافق عند المرأة يستلزم كونه رقيقاً وقليل اللزوجة. فالثخانة هي ما تساعد ماء الرجل على الدفق بينما السيولة والرقة تلعب دوراً كبيراً في تدفق ماء المرأة. وعندما يتميع ماء الرجل من أجل تحرر الحيوانات المنوية، ويتميع ماء المرأة من أجل دخول الحيوانات المنوية إلى قناة فالوب فلا شك إن هذا التميع بالنسبة لما كانا عليه من الثخانة يعتبر ضعفاً والله تعالى أعلم. وقد يكشف العلم في المستقبل تفسيرات أخرى لوصف ماء الرجل والمرأة (بالمهين).

(١) حامد ، الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، ص: ٧٦-٧٧ ، بتصريف.

(٢) المصدر السابق، ص: ٧٦، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٣٧، ٣٨٥، بتصريف.

ملخص ما يحدث في مرحلة السلالة:

عندما تصل الحيوانات المنوية بعددها المحدود إلى المكان الذي تنتظر فيه الببيضة داخل قناة فالوب، يحاول كل حيوان منوي إيجاد مكان يستطيع بوساطته التثبيت بسطح الببيضة، فإذا ما تحقق له ذلك بدأ في إفراز أنزيمات تعمل على تحليل الطبقة الخارجية المحيطة بالببيضة - والتي تسمى التاج المشع- ليتأني له الدخول والالتحام بمحتويات الببيضة. ^(١) [انظر

الشكل ١٢.]

وبما أن هناك مئات الحيوانات المنوية التي تحاول دخول الببيضة، فإن ذلك يؤدي إلى دوران الببيضة والحيوانات التي حولها قبل التلقيح ببطء. وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تدور الحيوانات المنوية حول الببيضة سبع دورات في الاتجاه المعاكس لعقارب الساعة. والغريب حقاً أنها حركة الطائف بالبيت الحرام نفسها حيث يجعل الحجر الأسود على يساره ثم يطوف بالبيت سبعاً. وهكذا تتحرك الذرات كما تتحرك الإلكترونات حول النواة، وبالطريقة نفسها تدور الأرض حول الشمس، كذلك الأفلاك ^(٢) ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾. ^(٣)

ثم تتدخل يد القدرة لتختار واحداً من هذه الأعداد الهائلة من الحيوانات المنوية. ولكن ما الذي يحدد أي الحيوانات المنوية هو الذي ينال السبق في إخصاب الببيضة؟ عند هذا الحد يقف العلم عاجزاً أمام سر هذا الاختيار الذي لا يعلم بكنهه إلا الله، ولذلك فالقول بأن الحيوانات المنوية الأقوى هي التي تقوم بالإخصاب - كما ذهب إلى ذلك داروين وأتباعه - غير صحيح،

^(١) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٩٤، (بتصرف)، والرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٥، (بتصرف).

^(٢) طيفور، روعة الخلق، ص: ٤٦ (بتصرف)، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٦٤ (بتصرف).

^(٣) سورة يس، آية ٤٠.

بدليل أنه في أحيان كثيرة يحدث الإخصاب بواسطة حيوانات منوية بها خلل ما في تركيبها، مما قد يؤدي إلى ولادة جنين به بعض التشوهات^(١) الخلقية.^(٢)

وأياً كانت الطريقة التي يتم بها الاختيار، فإن الذي يدخل عادة حيوان منوي واحد. وقبل أن يدخل هذا الحيوان المنوي، يزيل عن رأسه غطاء يكون فوقه والذي يسمى (كساء رأس الحيوان المنوي)، وبذلك يصبح مهياً لاختراق الغشاء الشفاف المحيط بالبيضة. وبمجرد دخول حيوان منوي، يبقى جسم الحيوان المنوي والذنب اللذان رافقا الرأس في رحلته خارج البيضة، [انظر الشكل ١٢] وتحصل تغيرات في جدار البيضة، حيث تتغير نفاذية الغشاء الشفاف للبيضة (Zona Pellucida)، وتتطلق أنزيمات من حبيبات القشرة تمنع دخول المزيد من الحيوانات المنوية، بل ويصدر عنها رجفة كهربائية تصعق ما تبقى من حيوانات منوية خارج البيضة، وبذلك تحتضن البيضة حيواناً منوياً واحداً فقط.^(٣)

يقول الدكتور حمد الرقعي: "ومن عظيم إعجازه سبحانه في خلق الجنين أن جسم الأم لا يقوم بأي رد فعل مضاد لطرد الحيوان المنوي رغم أنه يعتبر جسماً غريباً من الناحية المناعية. فلو قمنا بأخذ أية خلية من جسد ما ونقلنا هذه الخلية إلى جسد شخص آخر، فإن الجهاز المناعي لهذا الأخير سيقوم برفض الخلية المعطاة لإدراكه أنها خلية غريبة عنه، الأمر الذي يضطر الأطباء إلى اعتماد سلسلة من العلاجات لمن تنقل لهم أعضاء من آخرين كالكلبي

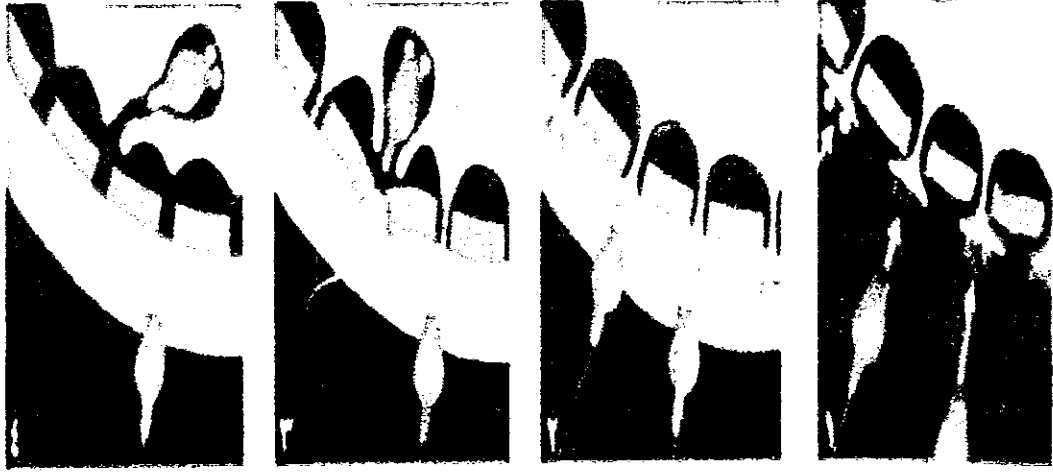
(١) نحن لا نرى كثيراً من التشوهات والمشوهين في الأطفال في حياتنا العملية، ذلك لأن أكثر التشوهات الخلقية التي تحصل للطفل وهو جنين تؤدي إلى وفاته في أواره الكثيرة المتعددة في بطن أمه أو بعد الولادة بزمن قصير. فما يقارب ١٥% من الأجنة بعد الإخصاب تنتهي بالإسقاط، وعدم نجاح الحمل بحد ذاته لطف من الله لتقليل نسبة المشوهين خلقياً، وتقليل معاناتهم ومعانات آبائهم، أما ما ندر من المشوهين الأطفال خلقياً الذين ينجحون في البقاء أحياء بعد الولادة، لا يقدر على الإلتجاب وهذا أيضاً لطف من الله. [النعمي، مطبقة علم الأجنة لما في القرآن والمسنّة، ص: ٦٠ (بتصرف)، والرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٦٣-٦٤ (بتصرف)].

(٢) توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٩٥، (بتصرف)، وحامد، الآيات العجائب في رحلة الإلتجاب، ص: ٨٥، ٧٩ (بتصرف)، والموسوعة الطبية (١١٧٢/٧)، (بتصرف).

(٣) توفيق، دليل الأنفس، ص: ٩٥، بتصرف.

أو الكبد أو غيرها. هذه الأدوية تعمل على الجهاز المناعي للشخص المنقول إليه العضو لتكبح

جماع رغبته في رفض العضو الغريب عنه".^(١)



الشكل ١٢: (٢) صور تبين عملية الإلقاح بين البيوضة والحيوان المنوي وفق آلية معينة.

١. تقترب عدة نطاف من البيوضة

٢. تخترق إحداها البيوضة

٣. تترك النطفة ذيلها في الخارج

٤. تجري في البيوضة تحولات حيوية تغير من طبيعة الغشاء بحيث يصير غير قابل لاستقبال

نطاف أخرى.

وهنا قد يثور تساؤل: إن كان إخصاب البيوضة لن يتحقق إلا لحيوان منوي واحد، ألا يعتبر

خلق الملايين من الحيوانات المنوية تبذيراً لا طائل من ورائه؟^(٣)

(١) الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٤٥.

(٢) الموسوعة الطبية، (١١٧٣/٧).

(٣) الرقعي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٤، بتصرف.

يمكن أن تتضح بجلاء فائدة وجود هذا العدد الكبير من الحيوانات المنوية إذا فهمنا القاعدة التالية التي لا تشذ في الوجود كله وهي أنه: (كلما كانت الحياة أقصر ومحفوفة بالمخاطر ووسائل الدفاع قليلة عوضها الله بكثرة عددها ووفرة نسلها).^(١)

فهناك مخاطر وعوائق كثيرة تقابل هذه الحيوانات المنوية، لذا كان لازماً أن يكون عددها كافياً بما يضمن التغلب على هذه العقبات.^(٢) نذكر على سبيل المثال:

١. أن ملايين الحيوانات المنوية التي يتم قذفها قد هلك معظمها نتيجة لما تتعرض له من ظروف، وهي في طريقها إلى البيضة، إذ تعترضها البكتيريا والطفيليات والأحماض المختلفة. وتشكل كريات الدم البيضاء عقبة أخرى إذا كانت المرأة تعاني من التهاب ماء، حيث تقتل هذه الكريات كل ما هو غريب بداخل جسم المرأة، وحتى الحيوانات المنوية. و هذا الأمر استلزم إنتاج الملايين من الحيوانات المنوية.

٢. كما أن المئات أو الآلاف التي تصل إلى البيضة يعتبر وصولها هاماً جداً في حدوث عملية الإخصاب، إذ أنها تتعاون معاً بما تملك من أنزيمات في إذابة الجدار الخارجي للبيضة، الأمر الذي يحقق لأحدها الدخول، ولو ترك هذا الأمر لحيوان منوي واحد لما تحقق له الدخول أبداً، لأن ما يملكه من أنزيمات غير كافٍ لإذابته ولو جزءاً بسيطاً من جدار البيضة.^(٣)

٣. هناك عقبات أخرى مثل التشعبات والطرق المسدودة في الرحم والتي قد يضيع فيها بعض الحيوانات المنوية، وبالأخص إذا كان ضعيفاً.^(٤)

(١) البار، محمد، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٦٨.

(٢) حامد، الآيات العجيب في رحلة الإحجاب، ص: ٧٥ (بتصرف).

(٣) الرقي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٤، (بتصرف)، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص:

١٦٧ (بتصرف)، وطيفور، روعة الخلق، ص: ٤٥، (بتصرف).

(٤) طيفور، ماجد، روعة الخلق، ص: ٤٤ (بتصرف).

٤. وأهم من ذلك كله، لا ننسى أن نصف هذا العدد تقريباً لا يصلح للإخصاب بسبب بعض التشوهات الحاصلة فيه. ^(١) وهكذا نلاحظ أن الله حكيم في تدبير شؤون خلقه ولا يمكن أن يخلق شيئاً أو بعض شيء جزافاً. ^(٢) وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ^(٣).

(١) المصدر السابق، ص: ٢٩ (بتصرف).

(٢) الرافعي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٤.

(٣) سورة القمر، آية ٤٩.

المرحلة الثالثة من مراحل طور النطفة: مرحلة النطفة الأمشاج

يذكر القرآن الكريم هذه المرحلة في قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج

نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾^(١)

ومعنى أمشاج: أخلاط، يقال: مشج الشيء مَشْجاً إذا خلطه، ومَشَجَ بينهما أي خلطه، والمَشِج

والمشيج: كل شينين مختلفتين، أو كل لونين اختلطا.^(٢) يقال إن الواحد مَشَجٌ (بسكون الشين)

ومَشَجٌ ومَشِجٌ.^(٣)

وقد ذهب أغلب المفسرين قديماً وحديثاً^(٤) إلى أن معنى (النطفة الأمشاج) النطفة

المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة (أي البيضة المخصبة)^(٥). "وروي هذا القول عن الحسن

وعكرمة. وقيل: إن الأمشاج الألوان، قاله ابن عباس، وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء

وحمر، ونطفة المرأة خضراء وصفراء. وروى سعيد عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله

(١) سورة الإنسان، آية ٢.

(٢) المعجم الوسيط، (٢ / ٨٧٠).

(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت. ٨٣٩٥)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (٥/٣٢٦). (وسأشير إليه فيما بعد في ابن فارس، معجم مقاييس اللغة).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩ / ٢٠٣)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٤٥٣).

(٥) يرى الدكتور مورييس بوكاي والدكتور حمد الرقعي أن المقصود بالنطفة في هذه الآية هو السائل المنوي وليس البيضة المخصبة. وقد أتدا ما جاء في المنتخب في تفسير القرآن الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر من أن النطفة الأمشاج تشير إلى العناصر العديدة التي يتركب منها المني، ثم أخذوا بعدد عناصر المني المختلفة. وهذا التفسير بعيد لأن الآية الكريمة ذكرت أن الجنين يُخلق من هذه النطفة الأمشاج، والرسول ﷺ قد بين لنا أن الإنسان يخلق من نطفة الذكر ونطفة الأنثى، وبالتالي المقصود بالنطفة في هذه الآية البيضة المخصبة لأن الإنسان منها يخلق، لا من ماء الرجل (أي السائل المنوي) وحده، والله تعالى أعلم. [انظر: بوكاي، مورييس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، (ط٤، ١٩٧٧) دار المعارف، لبنان، ص: ٢٢٩، (وسأشير إليه فيما بعد في بوكاي، مورييس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم). والرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٥٠-٥٢، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: ٩٣٧.]

﴿إِنَّ مَاءَ الرَّجْلِ غَلِيظٌ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه.﴾^(١)

وقيل: إن الأمشاج الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم يكسى العظم لحماً، قاله قتادة.

وقال ابن مسعود: إن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة.^(٢)

ولو توقفنا قليلاً أمام التعبير القرآني (نطفة أمشاج) من الناحية اللغوية، لوجدنا أن كلمة (نطفة) مفردة، فما وجه مجيء الصفة وهي (أمشاج) في صيغة الجمع، مع أن الأصل أن الصفة تابعة للموصوف في الإفراد والتنثية والجمع؟^(٣)

بعد البحث والتدقيق نجد أن هناك قولين في المسألة:

١. ذهب المبرّد^(٤) والفراء^(٥) وابن السكيت^(٦) إلى أن أمشاج صيغة جمع، فهي إما جمع مشج

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، برقم ٣١١، (١/٢٥٠).

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت. ٤٥٠ هـ)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٦٢/٦-١٦٣) (بتصرف قليل)، وانظر: البيضاوي، ناصر الدين، تفسير البيضاوي، (٩/٣٥١).

(٣) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٧٨ (بتصرف قليل).

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد. قال الزبيدي: المبرّد بفتح السراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر. كان إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة سنة (٢١٠ هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٢٨٥ هـ). من تصانيفه الكثيرة: (المقتضب في النحو)، (الاشتقاق)، (احتجاج القراء) و(إعراب القرآن)، (المقصود والممدود)، و(نسب عدنان وقحطان). [الزركلي، الأعلام، (٧/١٤٤)، (بتصرف)]

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي، أبو زكريا. كان أنبياً، نحويًا، لغويًا، مشاركاً في الفقه وأيام العرب، وأشعارها. ولد بالكوفة سنة (١٤٤ هـ) صلف للمأمون كتاب (الحدود في النحو)، واجتمع لإملائه خلق كثير. توفي سنة (٢٠٧ هـ)، من آثاره: (المصادر في القرآن)، (آلة الكتاب)، (الوقف والابتداء) (المقصود والممدود)، و(اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف). [كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٨/١٣) (بتصرف)]. قال الفراء: الأمشاج: الأخلط [الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار السور، (٣/٢١٤)].

(٦) هو يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، أبو يوسف. كان إماماً في اللغة والأدب، عالماً بالقرآن والشعر. ولد عام ١٨٦ هـ، أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس). تعلم ببغداد، وصحب الكسائي، واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجملة في عداد نمائمه، ثم قتلته لسبب مجهول سنة (٢٤٤ هـ)، ودفن ببغداد، - من كتبه: (إصلاح المنطق) (قال المبرّد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن منه.)، و(غريب القرآن)، و(شرح-

(بكسر الميم وسكون الشين) مثل ذَبِح، أو جمع مَشِج (بفتح الميم وكسر الشين) مثل كَتِف
وأكتاف. (١)

٢. وذهب الزمخشري إلى أن (أمشاج) مفرد كقولهم: (بُرمة أعشار وبُرْد أكياش) (٢)، وهي
ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات لأفراد. قال: ولا يصح (أمشاج) أن يكون
تكسيراً له، بل هما مثلان في الأفراد لوصف المفرد بهما. والمعنى: من نطفة قد امتزج فيها
الماءان. (٣)

وبناء على ذلك:

١. إن كان (أمشاج) في هذه الآية مفرداً على صورة الجمع، كما في الكشاف، فوصف نطفة به
غير محتاج إلى تأويل.

٢. وإذا كان جمعاً كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكيت والمبرد، كان وصف النطفة به
باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص (فلذلك يصير كل جزء من النطفة
عضواً). فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة، أي شديدة الاختلاط. (٤)

قال البيضاوي: " وصف النطفة به (أي بأمشاج) لأن المراد بها مجموع مني الرجل
والمرأة، وكل منهما مختلف الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما
مادة عضو". (٥)

- المعلمات)، (القلب والإبدال)، (معاني الشعر)، (المقصور والممدود)، (الأضداد)، (و) المنكر والمؤنث). [الزركلي،
الأعلام، (٨/ ١٩٥) (بتصرف)، وكحالة، معجم المؤلفين، (٢٤٣/١٣) (بتصرف)].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٧٤/١٤)، (بتصرف).

(٢) البُرمة: قِدر من حجارة [ابن منظور، لسان العرب، مادة (برم)، (٣٩٢/١)] وقِدر أعشار: مكسرة على عشر قطع.
[المعجم الوسيط (٢/ ٦٠٢)] برد أكياش: الذي أعيد غزله مثل الخنز والصوف، أو هو الرديء. [الفيروزآبادي،

القاموس المحيط، مادة (كيش)، فصل الكاف، ص: ٥٤٣.]

(٣) الزمخشري، الكشاف، (٦٦٦/٤-٦٦٧)، (بتصرف).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٧٤/١٤).

(٥) البيضاوي، تفسير البيضاوي، (٣٥١/٩).

وقال الشهاب الخفاجي تعليقاً على كلام البيضاوي: "والحاصل أنه نزل منزلة الجمع

ووصف بصفة أجزائه".^(١)

ولو تأملنا التعبير القرآني (نطفة أمشاج) من الناحية العلمية لأدركنا أن كلمة (نطفة) تصف المظهر الخارجي للبيضة الملقحة وصفاً علمياً دقيقاً، إذ أن البيضة بعد التلقيح تأخذ شكل القطرة، وهو ما يتفق مع المعنى اللغوي للنطفة.^(٢) [انظر الشكل ١٣] وبالرغم من انقسام النطفة في الداخل إلى خلايا، فإن طبيعتها ومظهرها لا يتغير عن النطفة لأنها تملك غشاءً سميكاً يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها. وكذلك الصفة (أمشاج) من الناحية العلمية دقيقة أيضاً، إذ أن هذا التعبير ينطبق على النطفة من كل النواحي، فهو من ناحية كائن واحد يتكون من سلالة الرجل وسلالة المرأة، ومن ناحية أخرى فإن كلاً من سلالة الرجل وسلالة المرأة مشيج حيث يحمل كل منهما نصف عدد الكروموسومات، وعند التلقيح تلتحم السلالتان لتكوّنا معاً خلية بشرية من ٤٦ كروموسوماً هي النطفة الأمشاج.^(٣)

وقد أشار إلى هذا المعنى سيد قطب رحمه الله حيث قال: "الأمشاج الأخلاط. وربما كانت هذه إشارة إلى تكوّن النطفة من خلية الذكر وبيضة الأنثى بعد التلقيح. وربما كانت هذه الأخلاط تعني الوراثة الكامنة في النطفة والتي يمثلها ما يسمونه علمياً (الجينات) وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولاً وللصفات الجينية العائلية أخيراً، وإليها يُعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين إنسان لا جنين أي حيوان آخر، كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة ولعلها هي هذه الأمشاج المختلطة من وراثات شتى.^(٤)

(١) الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (٣٥١/٩).

(٢) إن من معاني النطفة القطرة.

(٣) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، من: ٧٥، بتصرف.

(٤) قطب، سيد، في ضلال القرآن، (٣٧٧٩/٦-٣٧٨٠).

وانظر مرة أخرى إلى عبارة (النطفة الأمشاج)، تجده اصطلاحاً قرآنياً لا يدانيه أي اصطلاح وضعي، في دلالته على شركة متساوية للذكر والأنثى في تكوين المخلوق الجديد. جاء في كتاب (تشريح غراي) وهو أشهر مرجع في علم التشريح، أنه يبدو من اصطلاح البيضة المخصبة (Fertilized Ovum) وكان بيضة الأنثى هي الأصل وأن الحيوان المنوي لا يلعب إلا دوراً هامشياً، أي دوراً محفزاً وحسب، في تكوينها، ولذلك فإن هذا المرجع قد اعتبر (البيضة المخصبة) اصطلاحاً مضللاً غير مرغوب فيه.^(١)

(١) السعدي، العجائب في الصلب والترائب، ص: ٨٠، بتصرف.



الشكل ١٣ (١)

الكرة الجرثومية (٤ أيام) وهي تتحسس طريقها على جدار باطن الرحم، بعد أن تركت قناة فالوب تبحث عن أنسب مكان للانغراز، وهذا المنظر يشبه منظر سفينة الفضاء وهي تسبح في الفضاء حتى تهتدي إلى سطح القمر لتهبط عليه بسلام.

(١) حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ٩٤.

الإعجاز القرآني في ذكر الأمشاج

ومن الجدير بالذكر هنا أنه في الوقت الذي كان المسلمون يعلمون أن الجنين يتكون بامتشاج واختلاط نطفة الذكر مع نطفة الأنثى، فإن البشرية آنذاك لم تكن تعرف شيئاً عن النطفة الأمشاج. وقد مرت الإنسانية بعلمها التجريبية في مراحل عدة حتى توصلت في النهاية إلى ما جاء في كتاب الخالق عز وجل قبل أكثر من ١٤٠٠ عام.

١. فقد كان الاعتقاد السائد لدى الفلاسفة والأطباء أن الجنين الإنساني يتكوّن من ماء الرجل، وأن رحم المرأة ليس إلا محضناً لذلك الجنين. وشبّهوا ذلك بالبذرة ترمى في الأرض فتأخذ منها غذاءها وتخرج شجرة يافعة يانعة الثمار. فليس للمرأة عند هؤلاء دور في إيجاد الجنين سوى رعايته وتغذيته.

٢. ثم جاء أشهر فلاسفة اليونان (أرسطو) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وقد لخص في بحثه عن الأجنة معتقدات أهل زمنه ورأيه فيها واعتبرها تدرج تحت نظريتين: الأولى: وهي أن الجنين يكون جاهزاً في ماء الرجل فإذا دخل ماء الرجل الرحم انعقد ثم نما كما تنمو البذرة في الأرض يستمد غذاءه من الرحم.

الثانية: أن الجنين يتخلق من دم الحيض حيث يقوم المنى بعقده مثلما تفعل الإنفحة^(١) باللبن فتعقده وتحولّه إلى جبن، وليس للمني في إيجاد الولد دور قط وإنما هو دور مساعد مثل دور الإنفحة في إيجاد الجبن.^(٢)

(١) الإنفحة: بكسر الهمزة، وقد تشدد الحاء، وقد تكسر الفاء، وهو شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر فيُنصنر في صوفة فتغلط كالجبن، [الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نفح)، ص: ٢٢٣].

(٢) رفض ابن حجر المسقلاني نظرية أرسطو التي كانت سائدة في عصره ولمصور كثيرة تلبه حيث قال: ' زعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إما يتكون من دم الحيض... وأحاديث الباب تبطل ذلك.' [ابن حجر المسقلاني، فتح الباري، (١١ / ٥٨٦-٥٨٧)، (بتصرف)].

و قد أيدَ أرسطو أن الجنين يتخلق من دم الحيض لأنه كان من المؤيدين لنظرية التخلق الذاتي^(١) التي تقول بتولد الدود والمخلوقات من العفونة والمواد المتحللة.

٣. أما نقطة التحول الجذرية فتمثلت في اختراع المجهر، وهو الأداة التي توجت تقدم علم الأجنة وفتحت الطريق أمام ظهور الحقيقة بأكملها. فقد أدى التطور إلى إعلان كل من هام (Hamm) وفان لوفينهوك (Van Leeuwen-Hoek) اكتشاف الحيوان المنوي. ولكن يبدو أن اكتشاف المجهر في تلك الأثناء لم يكن كافياً لتوضيح تفاصيل تكوين الحيوان المنوي. ترتيياً على ذلك فقد قام العلماء بإكمال الصورة من خيالهم، وعادوا إلى التعبير عن الفكرة السائدة لديهم وهي أن الإنسان يكون مخلوقاً تاماً في الحيوان المنوي في صورة قزم. ونجد تجسيداً لهذه الحقيقة في الرسم الذي قدمه هارتسوكر (Hartsoeker) للحيوان المنوي عام ١٦٩٤ بعد اكتشاف الميكروسكوب بفترة. [انظر الشكل ١٤].

٤. وبينما كان فريق من العلماء يقرر أن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في الحيوان المنوي، كان هناك فريق آخر يقرر أن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في بيضة المرأة، وذلك عندما اكتشف العالم بونيه (Bonnet) أن بويضات الحشرات تنمو إلى أجنة كاملة دون الحاجة مطلقاً إلى الذكر. وتدعى هذه الطريقة "الولادة دون أب".

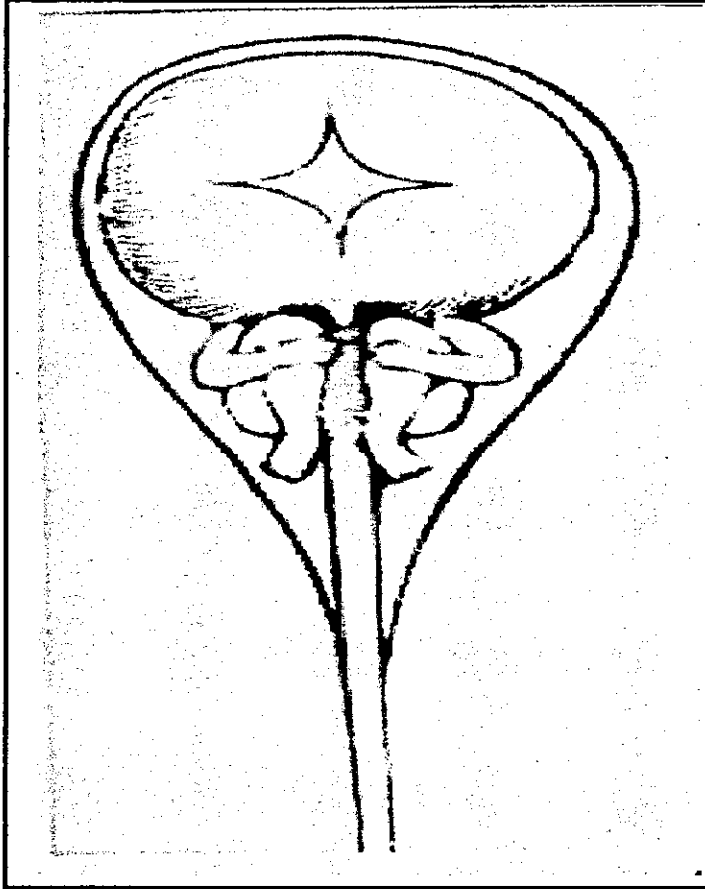
(١) نظرية التولد الذاتي هي نظرية إحادية تقوم على أن الأشياء تتولد من أشياء أخرى. يضرب مثلاً على ذلك حتى تتضح النظرية. نلاحظ أن روث الحيوانات بعد أسبوعين تكون مليئة بالدود. يقول أصحاب هذه النظرية إن السروث تفاعل تفاعلاً طبيعياً وكيميائياً فأخرج دوداً، فنود الروث تولد من الروث وهكذا. وقد ظلت هذه النظرية سائدة ربحاً من الزمن حتى جاء لويس باستور العالم الفرنسي المشهور، وقضى عليها عام ١٨٦٤ حيث أثبت أن العفونات مصدرها مخلوقات دقيقة جداً تدعى الميكروبات. [الزندانى، عبد المجيد، يا أبناء الإسلام دين الحق وكل آية في القرآن إعجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، ص: ٢٤-٢٧ (بتصرف)، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٨٦ (بتصرف)].

٥. وقد استمرت المعارك الطاحنة بين أنصار النظريتين حتى ظهر سبالانزاني

(Spallanzani) (١٧٢٩-١٧٩٩) وولف (Wolff) (١٧٣٣-١٧٩٤) اللذان أظهرتا

بتجارب عديدة أن الذكر والأنثى يساهمان جميعاً في تكوين الجنين. (١)

٥٨٧٧٦٣



الشكل ١٤ (١)

رسم هارتسوكر الذي يوضح فكرته بأن الإنسان يكون مخلوقاً

تماماً في الحيوان المنوي في صورة قزم.

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٨٥-١٩٠ (بتصرف)، وفياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق

الإنسان، ص: ٢٧-٣١ (بتصرف).

(١) Human Development as Described in the Quran and Sunna , pg. ٢٤

هذا في الوقت الذي نجد فيه أن هذه القضايا قد حسمت بشكل قاطع في القرآن الكريم قبل ذلك بمئات السنين، مؤكدة أن التخلق هو عملية مشتركة بين الذكر والأنثى،^(١) حيث قال تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾^(٢) وقال سبحانه: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾^(٣).

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٣١.

(٢) سورة الإنسان، آية ٢.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٣.

ملخص ما يحدث في مرحلة النطفة الأمشاج:

"حالما يتم التخصيب وتتكون النطفة الأمشاج من الحيوان المنوي والبيضة تصنع يد القدرة الإلهية للبيضة الملقحة جداراً سميكاً مصمتاً لا يمكن لأي حيوان منوي آخر اختراقه، كما أنها تخلع عنها تاجها المشع (Zona Pellucida) الذي كان يُغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها." (١)

ومنذ تلك اللحظة تبدأ بالعمل الجاد الطويل، فالنطفة الأمشاج الآن أمام سفر يدوم قريباً من أسبوع من مكان التلقيح في الثلث الوحشي لقناة الرحم (قناة فالوب) إلى مكان القرار في الرحم مليئة أمر ربها: ﴿ و نقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾. (٢)

تتحرك النطفة الأمشاج بوساطة الأهداب المبطننة لقناة الرحم وتقلصات جدار الرحم التي تدفع البيضة الملقحة وتمنعها من التراجع إلى الوراء. والنطفة الأمشاج في أثناء اتجاهها نحو الرحم، تغتتم أيام السفر الستة لتتجز جزءاً من المهمة الكبيرة التي تنتظرها، وأي مهمة، إنها بناء إنسان بقدره الله تعالى. (٣) فالجزء من المهمة الكبيرة التي تنجزها النطفة الأمشاج يمكن أن تلخص في خطوتين هما:

الاندماج: الحدث الذي يعتبر نقطة البداية في تكوين الجنين.

والانقسام: الذي يعتبر من أساسيات تطور الجنين ونموه. (٤)

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٠.

(٢) سورة الحج، آية ٥.

(٣) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٢، وتوفيق، دليل الأئمة بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٣، بتصرف قليل.

(٤) الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٤٤-٤٥.

الخطوة الأولى: الاندماج: (Fusion)

توطئة:

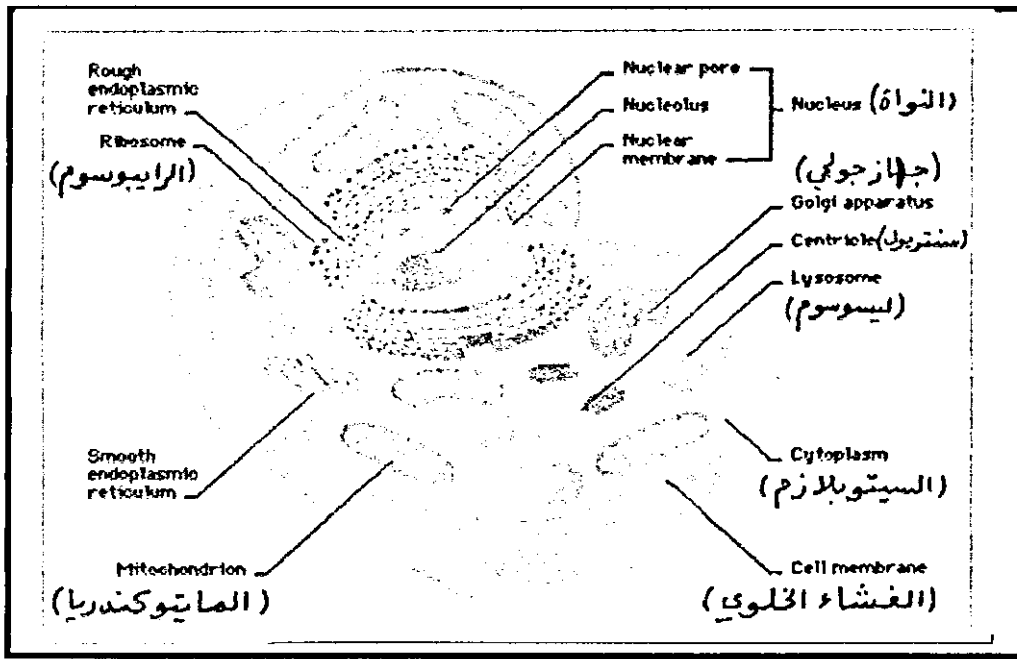
إن كل ما يحتويه هذا الكون من كائنات يتكوّن من وحدات صغيرة تجتمع إلى بعضها بعضاً، فكما أن البيت الذي نسكنه يتكون من قوالب ينتظم بعضها إلى بعض فوحدته هي القالب، كذلك الكائن الحي يتكون من وحدات تنتظم إلى بعضها بعضاً في نسق بدعي. هذه الوحدات هي الخلايا. فالخلية هي وحدة الكائن الحي، منها يتكوّن وعن طريقها يؤدي وظائفه كافة. ومن أهم مكونات الخلية: [انظر الشكل ١٥]

١. الغشاء الخلوي (Cell Membrane): وهو غشاء يحيط بمحتويات الخلية ليوفر لها الحماية من المؤثرات الخارجية، وليعبرَ عن طريقه الغذاء إلى داخل الخلية.
٢. السيتوبلازم (Cytoplasm): وهو سائل هلامي^(١) يوجد بداخل الغشاء الخلوي وظيفته توفير وسط مناسب تسبح فيه مكونات الخلية المختلفة مثل:

- الميتوكوندريا (Mitochondria) المتخصصة في إنتاج الطاقة اللازمة للخلية.
- النواة (Nucleus) التي تحاط بالغشاء النووي وتتم بداخلها تفاعلات حيوية تحفظ للخلية حياتها وبالتالي تكفل الاستمرار للكائن الحي. و تحتوي كل نواة بداخلها على الكروموسومات (Chromosomes)، وهي الصبغيات المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية كالطول ولون العينين وغيرها من الصفات من جيل إلى آخر. (٢)

(١) هلامي: الهلام مادة بروتينية شفافة تستخرج من الأنسجة المختلفة مثل الجلد والعظم، وتكون جامدة عند جفافها ولكنها تتحول إلى سائل بالرطوبة. (المعجم الوسيط، (١٩٢/٢)).

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٩-٦٠.



الشكل ١٥: (١) صورة للخلية الحيوانية

وبعد هذا التمهيدي البسيط أقول: إن النطفة الأمشاج عبارة عن خليتين هما البيضة والحيوان المنوي. فبعد عشرين دقيقة تقريباً من دخول الحيوان المنوي إلى البيضة يتم الاتحاد بين الخليتين، وتعرف الخلية المتشكلة عن اتحاد البيضة والحيوان المنوي علمياً بالزيجوت (Zygote). ويحقق هذا الاتحاد دمجاً لنواتي الحيوان المنوي والبيضة، مما يؤدي إلى التقاء الصفات الوراثية القادمة من الأب مع الصفات الوراثية القادمة من الأم. وينتج عن هذا الاندماج الأمور التالية: (٢)

الأمر الأول الناتج عن عملية اندماج البيضة بالحيوان المنوي: الخلق

يقول تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه

فقدره ﴾. (٣)

(١) Microsoft Encarta Reference Library, ٢٠٠٢

(٢) نكر هذه النتائج المترتبة على تكون النطفة الأمشاج الدكتور عبد المجيد الزداني ومجموعة أخرى من العلماء الأفاضل

في كتاب: Human Development as Described in the Quran and Sunna , pgs. ٤٣-٤١

(٣) سورة عبس، آية ١٧-١٩.

والخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إيداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.^(١)

والمقصود بالخلق هنا أن خلق الإنسان على مستوى الجينات^(٢) مقدر مرسوم، أما على مستوى الخلايا والأنسجة فهو متطور عبر أطوار متعددة.^(٣)

فعد اندماج حيوان منوي بالبيضة تبدأ حياة الكائن الحي الذي أصبح يتكون من ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموسومات (يعني ٤٦ كروموسوماً)، وهذا هو العدد المعتاد في كل خلايا الجسم الإنساني.

ولولا الانقسام الاختزالي^(٤) الذي حصل في كل من البيضة والحيوان المنوي، لكانت نتيجة الاندماج ستة وأربعين زوجاً (يعني ٩٢ كروموسوماً). وهذه الخلايا لا يمكن أن يأتي منها نسل يحفظ صفات النوع. فلذلك يأتي الانقسام الاختزالي إجراء استثنائي في الخلايا الجنسية لتفادي تضاعف عدد (الكروموسومات) عند الاندماج.^(٥)

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٦٣.

(٢) الجينات بالنسبة للكروموسومات كالصفحات بالنسبة للمجلات. [توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٩٨].

(٣) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٤٩.

(٤) كل خلية من خلايا الجسم تحتوي على ٤٦ كروموسوماً، وهذه الكروموسومات ترى في الخلية العادية مكممة في النواة دون تمييز، فإذا ما بدأت مرحلة الانقسام والتكاثر تميزت في النواة هذه الصبغيات ووجدت على شكل أزواج كل اثنين ملتصقين ببعضهما. وهناك نوعان من الانقسامات التي تحدث في خلايا الجسم:

النوع الأول: الانقسام العادي (Mitosis): وهذا الانقسام يحدث في كل خلايا الجسم ما عدا الخلايا الجنسية، و ينتج عنه خليتان كل خلية تحتوي على ٤٦ كروموسوم ويكونان متشابهين بل متطابقين تماماً. وبهذا الانقسام يعوض الجسم ما يفقده من ملايين الملايين من الخلايا. ففي كل ساعة يخلق الله ويميت آلاف الملايين من الخلايا. فمثلاً يخلق الله ويميت في كل ثانية مليونين ونصف من كرات الدم الحمراء.

النوع الثاني: الانقسام الاختزالي (Meiosis): وهذه الطريقة في الانقسام استثنائية، وخاصة بالخلايا الجنسية، حيث إن خلايا الخصية ستتحول إلى حيوانات ملوية، وخلايا المبيض ستتحول إلى بويضات، وإذا قدر الله لأحد هذه الحيوانات المنوية أن يلقح البيضة كان حاصل الجمع بعد التفرق خلية سوية تحتوي على ٤٦ كروموسوم وهي البيضة الملقحة أو النطفة الأمشاج. ولذلك يحدث في الخلايا الجنسية انقسام اختزالي حيث تنقسم الخلية فيذهب نصف الكروموسومات إلى خلية، ويذهب نصفها الآخر إلى خلية أخرى، فتحتوي كل خلية جديدة على ٢٣ كروموسوم بدلاً من ٤٦. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٣١، بتصرف].

(٥) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ٧٩، بتصرف.

يقول الدكتور عدنان الشريف: " لماذا من بين ما يقرب من مائة خلية متخصصة في جسم الإنسان لا يحصل الانقسام الاختزالي في الصبغيات إلا في الخلية الجنسية ١٢ لعله التطور أو الصدفة أو ربما الضرورة؟ لا، بل يد الله الصانع التقديراً " (١)

الأمر الثاني الناتج عن عملية اندماج الببيضة بالحيوان المنوي: التقدير التقدير: تبيين كمية الشيء، وتقدير الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة.

والثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة. وذلك أن فعل الله تعالى ضربان: ضرب أوجده بالفعل، ومعنى إيجاده بالفعل أن أبدعه كاملاً دفعة لا تعتربه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء أن يفتنيه أو يبده كالسموات وما فيها. ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزائه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى منه غير ما قدره فيه، كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون، وتقدير مني الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات.

فتقدير الله على وجهين:

أحدهما: بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا، إما على سبيل الوجوب وإما على سبيل الإمكان، وعلى ذلك قوله: ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ (٢).

والثاني: بإعطاء القدرة عليه

وقوله: ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ (٣) إشارة إلى ما أوجده فيه بالقوة فيظهر حالاً إلى الوجود

(١) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ١٥٠.

(٢) سورة الطلاق، آية ٣.

(٣) سورة عبس، آية ١٩.

"ونعني بالتقدير هنا على سبيل التحديد: برمجة صفات الجنين في عالم النطف، فلسون الشعر، ولون الجلد، وطول القامة وفصيلة الدم، وقابلية النكاه، وجميع الصفات الإنسانية الموروثة كلها عن الأبوين لابد أن تكون مسجلة في النطفة على حاملات الوراثة (الصبغيات) (٢) على شكل جينات." (٣) "ومن هنا نلاحظ أن الاندماج بين الصبغيات لحظة حاسمة يقدر فيها التصميم العام الذي سيسير عليه تكوّن الجنين في كل صغيرة وكبيرة." (٤)

وعندما ننظر ونتأمل بشيء من التأملي إلى قوله تعالى: ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ نجد أن التقدير جاء بعد الخلق مباشرة بوصفها عمليتين متعاقبتين في أول تطورات النطفة الأمشاج، وهذا هو ما يحدث بالضبط، فبعد ساعات من تخلق إنسان جديد، تبدأ عملية أخرى تتحدد فيها الصفات التي ستظهر على الجنين. (٥)

وقد كشفت العلوم الطبية وعلم الوراثة في القرن العشرين أنه ما من إنسان يشبه الآخر من الوجهة البيولوجية إلا التوائم الصحيحة. (٦) [انظر الشكل ١٦] .

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) الصبغيات: هي الترجمة العربية لكلمة (الكروموسومات)، سميت بذلك لأن مكتشفها قد رآها بعد أن صبغوا الخلية، فبنت في أشكال مصبوغة. والكلمة (كرومو) تعني اللون. [السدي، داود، المعالج في الصلب والترائب، ص: ٧٥ بتصرف] .

(٣) النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٢٤.

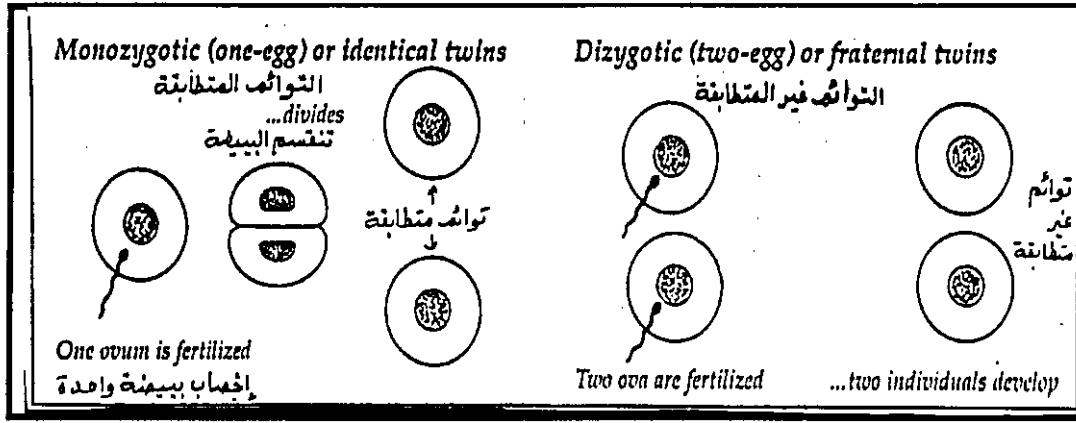
(٤) توفيق، دليل الأتلس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٠.

(٥) الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، ص: ٤٩، وفاض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٧٩.

(٦) هناك نوعان من التوائم:

الأول: التوائم غير المتطابقة: (Dizygotic Twins)، وهي تنتج عن انبثاق أكثر من بويضة واحدة من المبيض، ونظراً لتوفر عدد كافٍ من الحيوانات المنوية، فإنه يتم إخصاب هاتين البويضتين في وقت واحد. ولا يلزم أن تكون التوائم الناتجة عن مثل هذا الحمل متشابهة.

الثاني: التوائم المتطابقة: (Monozygotic Twins): وهي تنتج عن بويضة واحدة، إذ تنقسم هذه البويضة بمد إخصابها إلى جزئين، يتطور كل منهما ليتنج جنيناً منفصلاً، ويكون هذان الجنينان متطابقين في كل صفاتهما (حتى في البصمات)، ولهذا يوصف هذا النوع من الحمل بالتوائم المتطابقة أو الصحيحة، وقد لا يكتمل انقسام البويضة إلى-



الشكل ١٦: (١) الفرق بين التوائم المتطابقة والتوائم غير المتطابقة.

وقد كشف علم الوراثة، منذ سنوات، المورثة أو الناسلة التي تحكم اختلاف الأشكال عند الإنسان، وفي القرآن الكريم نجد إشارة غير مباشرة إلى هذا المبدأ الوراثي في قوله تعالى: ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾^(٢)

والناسلات (Genes) نوعان:

النوع الأول: الناسلات المسيطرة (Dominant Genes): وهي الناسلات التي تحمل الصفات التي تظهر في النسل المباشر.

- جزئين فينتور كل من هذين الجزئين ليكون جنيناً مع استمرار الالتصاق بينهما، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ولادة توأمين ملتصقين، ويعرف هذا النوع من التوائم بالتوائم السيامية نسبة إلى سيام (والتي تعرف بتايلاند اليوم) التي سجلت فيها أشهر هذه الحالات سنة ١٨١١، ويكون الالتصاق بين الجنينين في العادة عند منطقة الصدر أو البطن، وقد يكون بين الجمجمتين. [الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٤٥-٤٦، بتصرف، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٤٦٩-٤٧٢، بتصرف.]

(١) Kitzinger , Sheila , The New Pregnancy and Childbirth , Penguin Books ,London, (١٩٩٧), pg. ٨٦

(٢) سورة آل عمران، آية ٦.

(٣) سورة الانفطار، آية ٨.

والنوع الثاني: الناسلات المتتحة أو الخاضعة (Recessive Genes): وهي الناسلات التي تحمل الصفات التي لا تظهر بالضرورة في النسل المباشر، وربما بقيت هذه الصفات أجيالاً قبل أن تظهر في النسل القريب أو البعيد.

وقد أشار حديث الفزاري إلى المورثات المتتحة، وفيه أن رجلاً من بني فزارة جاء إلى النبي ﷺ فقال: ولدت امرأتى غلاماً أسود، وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه، فقال رسول الله ﷺ: هل لك من إيل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورك؟^(١) قال: نعم، إن فيها لورقاً. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق^(٢). قال: فهذا عسى أن يكون نزعه عرق. ولم يرخص له في الانتقاء منه.^(٣)

ولا شك أن الناسلات التي تتحكم في اختلاف ألوان المخلوقات الحية هي معجزة في تركيبها وطريقة عملها.^(٤) وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾.^(٥)

الأمر الثالث الناتج عن عملية اندماج الببيضة بالحيوان المنوي: تحديد الجنس:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن تحديد جنس الجنين يتم على ثلاثة مستويات:

(١) الأورق: الأسمر، والورقة: السمرة، يقال: جمل أورك، وناقة ورقاء، [ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت. ٥٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار إحياء الكتب العربية، (١٧٥/٥).]
(٢) نلاحظ أن الحديث الشريف قد رمز هنا إلى الناسلة بكلمة (العرق).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين، وقد بين النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل، برقم ١٦٨٨٤، (٢٦٦٧/٦).
(٤) الشريف، عدنان، من علم الطب للقرآني، ص: ١٦٩-١٧٠ (بتصرف).
(٥) سورة الروم، آية ٢٢.

١. المستوى الصبغي (الكروموسومي):

ويحدد ذلك بأمر الله تعالى في اللحظة الأولى من التلقيح. ويدل على ذلك الفاء في قوله تعالى:

﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾^(١).

٢. المستوى الغدي:

وفيه تتكوّن الغدة الجنسية للجنين (الخصية عند الذكر والمبيض عند الأنثى)، ويبدأ هذا العمل في الأسبوع الخامس منذ تلقيح البويضة. وفي هذه الفترة التي تسبق تمايز الغدة التناسلية، يكون جنس الجنين غير معلوم، وهو ما يسمّى في الطب بـ "الجنس غير المميز".

وفي بداية الأسبوع السابع تبدأ الغدة التناسلية في التمايز وتظهر بوضوح. ويشير إلى ذلك حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ... ثم قال يا رب أنكر أم أنثى؟" ^(٢) فمن هذا الحديث نفهم أن تحديد جنس الجنين على المستوى الغدي لا يكون إلا في الأسبوع السابع بعد دخول الملك حينما تُعلم الغدة التناسلية هل هي مبيض أو خصية.

٣. مستوى الأعضاء التناسلية:

تبدأ الأعضاء التناسلية الباطنة^(٣) والظاهرة^(٤) في التمايز في الأسبوع التاسع، إلا أن فترة التكوين تطول حتى الأسبوع الثاني عشر عندما يمكن تمييز الجنين الذكر عن الأنثى بأعضائه التناسلية،

(١) سورة القيامة، آية ٣٩.

(٢) سبق تخريجه ص: ٤٩.

(٣) الأعضاء التناسلية الباطنة عند الذكر هي الحبل المنوي، والحوصلة المنوية، والبروستاتة، وغدد كوبر، وعند الأنثى: المبيضان، الرحم، قناتا الرحم، والمهبل. (البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٤٩٤).

(٤) الأعضاء التناسلية الظاهرة عند الذكر هي القضيب، والخصيتان، والبربخ، والقناة الناقلة للمني، وكيس الصفن، وعند الأنثى: الشفران الكبيران والصغيران، والبظر، والفرج. (البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٤٩٤).

بمعنى أنه يمكن معرفة جنس الجنين منذ الشهر الرابع للحمل^(١) وذلك لأن الأعضاء التناسلية الخارجية إنما تتشأ عن نتوءات بالجلد، ولا يتم تكوين الجلد إلا فيما بين الأسبوع العاشر والثاني عشر. ومن دلائل النبوة هاهنا أن يذكر الحديث الشريف تكون الجلد قبل ظهور أعضاء التناسل الخارجية لأن الجلد يسبق ظهورها، بل ومنها تتكون تلك الأعضاء التناسلية الخارجية.^(٢)

^(١) قد يسأل سائل فيقول: أليس في هذا معرفة للغيب، والله قد استأثر بعلم الغيب عنده، وذكر أن مفاتيح الغيب خمسة وهي المذكورة في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيُعَلِّمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان، آية ٣٤] خاصة وأنه في بعض التجارب الفردية أمكن معرفة جنس الجنين منذ بدء الحمل بحسب تلقيح سلالة المرأة بسلالة رجل مذكورة أو مؤنثة؟

أجاب الدكتور عدنان الشريف عن هذا التساؤل في النقاط التالية:

أولاً: ما تفيد العموم، إذن ليس المقصود جنس الجنين فحسب، بل كل ما يتعلق بالجنين. فأين علمنا اليوم بالجنين؟ وهو علم سيظل ناقصاً - مهما بلغ من تقدم - النسبة لعلم الله الأزلي الجامع، والمحيط بجميع ما سيطرأ على الجنين من قبل أن يتخلق، وخلال تخلقه، وبعد تسويته، وخلال حياته وموته وبعثه؟ وهل اقتصر علم ما في الأرحام على معرفة جنس الجنين وبضعة أمراض وراثية من آلاف الأمراض التي قد تصيب الجنين؟ إن علم الله بالأرحام هو كلي محيط بجميع الموجودات مرئياً ومغيباً. وفي الآية الكريمة التالية: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّهُنَّ مِنْ عِلْمٍ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَرْجُوْنَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الرعد، آية ٨] تفصيل لمعنى قوله تعالى: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لا نفهمه بأنه يمنع الإنسان من معرفة ما في الأرحام. فلو أراد المولى أن لا يعلم الإنسان شيئاً عما في الأرحام لما أنزل في كتابه الكريم عشرات الآيات التي وصفت مختلف أطوار الجنين. كما أنبأنا سلفاً بأنه سيرينا مضمون هذه الآيات لاحقاً، وهو الحاصل اليوم: ﴿من فيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [سورة فصلت، آية ٥٣].

ثالثاً: إن معرفة ما في الأرحام، سواء كانت معرفة لجنس الجنين أو للأمراض الوراثية أو للشبهات الخلقية، ليست معرفة غيبية. فهذه الأشياء هي مقدره وموجودة في البيضة الملقحة، ولكن العلم كشفها في الجنين.

رابعاً: أما كيف يعرف الملك المولج بالنطفة عمر الجنين وأجله ورزقه - وهي أمور غيبية لخص المولى بها نفسه، فإننا نورد له نص الآيات الكريمة التالية وفيها الجواب المقنع: يقول سبحانه ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ [مسورة الجن، ٢٦-٢٧] ولكل عموم خصوص ولكل قاعدة استثناء. [الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٩٨-١٠٠ (بتصرف)].

ويقول الدكتور محمد البار: علم ما في الأرحام يشبه علم التنبؤات الجوية، تصدق حيناً وتخطئ لآخرى، وقد يخلب الصواب فيها بناء على الخبرة والمعرفة والعلوم الحديثة، واستخدام الوسائل التقنية البارعة، ولكن ذلك كله لا يخرجها إلى علم اليقين المطلق، تظل كما هي في حدود البشرية قابلة للخطأ، قابلة للنقص، قابلة للتبديل، قابلة للتحريف، وكذلك علم ما في الأرحام. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٠٠].

^(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٩١، ٢٩٤-٢٩٥، ٤٩٢-٤٩٤ بتصرف.

ففي إطار عملية التقدير التي تحدث في النطفة الأمشاج، يتم تحديد الذكورة والأنوثة، أي تحديد الجنس على مستوى الكروموسومات منذ اللحظة الأولى من التلقيح. وهذا ما يشير إليه قول الحق تعالى: ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ أحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفةً من منى يمى * ثم كان علقةً فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾^(٢)

وقد فهم بعض من تعرض لتفسير هاتين الآيتين أن في الآية إشارة غير مباشرة إلى كون الرجل وحده هو المسؤول عن تحديد الجنس دون المرأة، ووجهوا قولهم هذا بتوجيهين اثنين:

الأول: أن كلمة (تمنى) تعني تراق وتتصب،^(٣) والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل لأنه يصب في أرحام النساء، فالإنماء هو صفة لماء الرجل دون ماء المرأة. وحملوا كلمة (نطفة) الواردة في الآية على نطفة الرجل، وكلمة (منى) على ماء الرجل.

الثاني: قالوا إن علم الطب أثبت أن ببيضة الأنثى لا دخل لها في تكوين الذكر أو الأنثى، وما يحدد نوع الجنين ذكراً أو أنثى هو الحيوان المنوي. فبيضة الأنثى تحمل دائماً كروموسوم الجنس (X) المتعادل، أما الحيوانات المنوية من الذكر فنصفها يحمل كروموسوم (Y) الذكورة

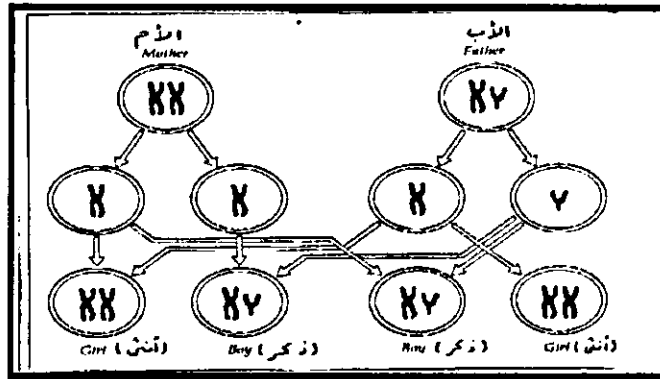
(١) سورة النجم، آية ٤٥-٤٦.

(٢) سورة القيامة، آية ٣٦-٣٩.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧/١٤٠)، والشوكاني، فتح القدير، (٣٤٢/٥)، والزمخشري، الكشاف، (٤٢٨/٤).

ونصفها الآخر يحمل كروموسوم (X) الأنوثة. ^(١) فعند الإخصاب إذا أخصب الحيوان المنوي الذي يحمل كروموسوم (Y) الذكورة البيضة فإن الجنين سيكون ذكراً (XY)، أما إذا أخصب الحيوان المنوي الذي يحمل كروموسوم (X) الأنوثة البيضة، فسيكون الجنين أنثى (XX). ^(٢)

[انظر الشكل ١٧]



الشكل ١٧: (٣) جنس جنين

^(١) هناك نوعان من الخلايا الجنسية عند الرجل:

النوع الأول: الخلية الجنسية المذكرة؛ وراثتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية جنسية يرمز إليها بالحرف (Y)، وهي مسيطرة إذا اجتمعت مع الصبغية الجنسية المؤنثة (X). ويمتاز الحيوان المنوي المنكر (Y) بأن له وميضاً ولمعاناً في رأسه، وبأنه أسرع حركة وأقوى شكيمة في الغالب من زميله حيث يسير حثيثاً وينطلق كالصاروخ حتى يصل إلى موضع البيضة في ٦ ساعات تقريباً، ويقصر عمره حيث يمكن أن يعيش أربعاً وعشرين (٢٤) ساعة فقط.

النوع الثاني: الخلية الجنسية المؤنثة؛ وراثتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية جنسية يرمز إليها بالحرف (X)، وهي متحبة أو خاضعة إذا اجتمعت مع الصبغية الجنسية المؤنثة (X). ويختلف الحيوان المنوي المؤنث (X) عن الحيوان المنوي المنكر (Y) بأن ليس له لمعان ونور، وبأنه يسير ببطء في الغالب ولا يصل إلى موضع البيضة إلا بعد أكثر من اثنتي عشرة ساعة، وربما وصل في أربع وعشرين ساعة، وأطول عمراً حيث يمكن أن يعيش اثنتين وسبعين (٧٢) ساعة.

لما عند المرأة فهناك نوع واحد من الخلايا الجنسية وهي الخلية الجنسية المؤنثة وراثتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية واحدة جنسية يرمز إليها بالحرف (X)

[البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٣٣ (بتصرف)، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ١٢٧-١٢٩ / ١٣٣-١٣٤ (بتصرف)]

^(٢) الحبال، محمد جميل عبد الستار، والعمرى، وميض بن رمزي، الموضوعات الطبية في القرآن الكريم - منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية، دار الأرقم، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٥)، ص: ٣٨.

^(٣) Kitinger, Sheila, The New Pregnancy and Childbirth, pg. ١٥

وهذا ما اختاره صاحب المفردات حيث قال: "الْمَنِيُّ التَّقْدِيرُ، يُقَالُ مَنَى لَكَ الْمَانِي أَي قَدَرَ لَكَ الْمُتَقَدَّرُ ... قَالَ: (ألم يك نطفة من منى يمني... من نطفة إذا تمنى) أي تقدر بالعزة الإلهية ما لم يكن منه" (١)

ثالثاً: القرآن الكريم لم يخصص النطفة في هذه الآيات بالرجل. يقول ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نَظْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى﴾: "لكل من الذكر والأنثى نطفة وإن كان المتعارف عند الناس قبل القرآن أن النطفة هي ماء الرجل، إلا أن القرآن يخاطب الناس بما يفهمونه، ويشير إلى ما لا يعلمون إلى أن يفهمه المتدبرون." (٢)

رابعاً: القرآن الكريم لم يخصص المنى بماء الرجل. وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي بأن المرأة تمنى كما يمني الرجل. و من الخطأ أن نخص المنى بالرجل كما يظن بعضهم. فالمولى يخاطب المرأة والرجل على حد سواء في الآية الكريمة التالية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾. (٣) فالخطاب في هذه الآية للرجل والمرأة وليس للرجل فقط. و الذكر والأنثى يتخلقان من المنى، أي من منى الرجل ومنى المرأة. فالنتيجة إذاً أن هذه الآيات تشير إلى عملية تحديد الجنس ولكن لا تحصر هذه العملية في نطفة الرجل دون المرأة. وأما دليلهم الثاني فيمكن الرد عليه بما يلي:

نحن لا ننكر الدور الذي يلعبه الحيوان المنوي في تحديد الجنس ولكن المرأة لها دور أيضاً في تحديد الجنس، والحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم يثبت ذلك. يقول المصطفى ﷺ لليهودي الذي سأله عن الولد: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٧٨.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٣/١٤٥-١٤٦).

(٣) سورة الواقعة، آية ٥٨-٥٩.

فعلا مني الرجل مني المرأة أنكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله. قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي. (١)

فهذا الحديث الشريف تضمن عدة قضايا أهمها قضية الذكورة والأنوثة حيث أرجعها الرسول ﷺ إلى أي الماعين علا فالإنكار والإيناث تبع له. (٢)

يقول الدكتور عدنان الشريف عند شرح معنى العلو الواردة في الحديث الشريف: "من الوجهة الوراثية من ميزات ماء الرجل أنه يحوي خصائص التذكير من خلال صبغية (Y) وكذلك التأنيث من خلال صبغية (X). أما ماء المرأة فإنه يحمل فقط خصائص التأنيث من خلال صبغية (X). و هذه الصبغية خاضعة أي متنحية (Recessive) إذا اجتمعت مع الصبغية المذكورة (Y). و هكذا فنحن نفهم الحديث الشريف أعلاه - و الله أعلم- كما يلي:

إذا علا مني الرجل مني المرأة أنكرا بإذن الله بمعنى: تحمل المرأة ذكراً إذا أصبحت خصائص ماء الرجل لدى امتشاجه مع ماء المرأة مسيطرة. ويكون ذلك باجتماع سلالة رجل مذكورة ومسيطرة هي (Y) مع سلالة المرأة ذات الصفات المؤنثة والخاضعة (X).

وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله: أي أن الحامل تتجب أنثى إذا أصبحت خصائص مائها مسيطرة (٣) لدى امتشاجه بماء الرجل، ولا يكون ذلك إلا باجتماع ببيضة ذات صبغية مؤنثة وخاضعة (X) مع حيوان منوي ذي صبغية مؤنثة وخاضعة أيضاً (X). حينئذ

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، برقم ٣١٥، (٢٥٢/١-٢٥٣).

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ١٣٦-١٣٧، بتصرف.

(٣) نلاحظ أن الدكتور عدنان الشريف يرى أن معنى العلو الغلبة والسيطرة، فإذا كانت الغلبة للحيوانات المنكرة كان ذكراً، وإن كانت للمؤنثة كان أنثى بإذن الله. وقد أثبت العلم أن إفرازات المهبل حامضية وقاتلة للحيوانات المنوية، وأن إفرازات عنق الرحم قلوية ولكنها لزجة في غير الوقت الذي تفرز فيه الببيضة، مما يؤثر في حركة الحيوانات المنوية، واتجاه الحيوان المنوي الذي سيلقح الببيضة. [عبد الصمد، محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام - السنة النبوية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (ط٤)، ١٤١٧-١٩٩٧)، ص: ١٠١، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨٥.]

فقط تعلق، أي تظهر الصفة المونثة ويكون الجنين أنثى (بمعنى أن ماء المرأة يعلو أي تظهر خصائص المونث فقط عند اجتماع صبغتي (XX) في أي جنين هو من صفات التأنيث الوراثة".^(١)

يقول السيد الجميلي: " لا يمكن أن تكون (المرأة) مسؤولة عن ذكورة اللائحة رغم أنها تسهم فيها بأمشاجها. ذلك لأن كروموسوم الذكر (XY) ولكن كروموسوم الأنثى (XX)، فإن الصبغي (Y) يوجد في الذكر ولا يوجد في الأنثى".^(٢)

أختم موضوع تحديد الجنس بما قاله العلامة ابن القيم: " ومع هذا كله فهذا جزء سبب وليس بموجب. والسبب الموجب مشيئة الله، فقد يسبب بصد السبب، وقد يترتب عليه ضد مقتضاه، ولا يكون في ذلك مخالفة لحكمته كما لا يكون تعجيزاً لقدرته. وقد أشار في الحديث إلى هذا بقوله: " أنكرا وأنا بإذن الله"، وقد قال تعالى: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير ﴾^(٣) فأخبر سبحانه أن ذلك عائد إلى مشيئته، وأنه قد يهب الذكور فقط والإناث فقط وقد يجمع للوالدين بين النوعين معاً، وقد يخليهما عنهما معاً، وأن ذلك راجع إلى مشيئته، فهو متعلق بعلمه وقدرته".^(٤)

الخطوة الثانية: الانشقاق والانقسام في النطفة الأمشاج (Cleavage)

الحيوان المنوي الذي قام بعملية الإخصاب يعطي شفرة^(٥) خاصة للبيضة تجعلها من بعد إخصابها مستعدة للانقسام، فتتعرض هذه البيضة خلال رحلتها التي تستغرق أسبوعاً كاملاً

(١) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ١٢٩-١٣٠.

(٢) الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، ص: ٥٠.

(٣) سورة الشورى، آية ٤٩-٥٠.

(٤) ابن القيم، التبيين في أقسام القرآن، ص: ٣٩٤.

(٥) الشفرة هي رسالة خفية مختصرة. [السعدي، المعانيب في الصلب والترائب، ص: ٦٨].

للعديد من التغيرات نتيجة الانقسامات المتكررة التي تحدث بها.^(١) والهدف من وراء هذه الانقسامات هو:

أولاً: زيادة عدد الخلايا بحيث تستطيع الانغراس في بطانة الرحم.

ثانياً: تمايز هذه الخلايا لتكون أعضاء الجنين ونسجه المختلفة القادرة على تأمين حياته خارج الرحم.^(٢)

بعد ست وثلاثين (٣٦) ساعة من الإخصاب يحدث الانقسام الأول الذي تكون نتيجته انقسام النطفة الأمشاج إلى خليتين،^(٣) وهذا الانقسام الأول أشبه بإشارة الإنطلاق للبدء في عملية البناء التي لن تتوقف بعد ذلك حتى يُورث الإنسان في التراب.^(٤) ثم تنقسم هاتان الخليتان بعد ستين (٦٠) ساعة لتكوّن أربع خلايا، وبعد ثلاثة أيام يحدث الانقسام الثالث لتتكون ثماني خلايا، ويستمر الانقسام لنجد بعد أربعة أيام أن النطفة الأمشاج أصبحت تحتوي على ما يقرب من مائة وعشرين (١٢٠) خلية تجتمع إلى بعضها بعضاً مكونة ما يسمى في الاصطلاح العلمي بالتوتية أو Morula تشبيهاً له بثمرة التوت،^(٥) وفي الوقت الذي يطلق العلم على هذه المرحلة "التوتية"، نلاحظ أن القرآن الكريم ما زال يطلق عليه مصطلح (النطفة الأمشاج) وهو اللفظ الأنسب لأنها:

١. هي نطفة من حيث إنها ما زالت تأخذ شكل القطرة بالرغم من انقسامها في الداخل إلى

خلايا، وهذا يرجع إلى أمرين اثنين هما:

(١) الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٦٦.
(٢) الموسوعة الطبية، ص: ١١٨٧ (بتصرف).
(٣) الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٦٦، بتصرف.
(٤) توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٤.
(٥) الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٦٦، بتصرف.

أولاً: الغشاء السميك المحيط بها والذي يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها. (١)

وثانياً: صغر حجم الخلايا الناتجة عن هذه الانقسامات، نتيجة حدوث الانقسامات بشكل سريع جداً بحيث لا يوجد وقت كافٍ لكي تنمو هذه الخلايا بين كل انقسام والآخر، ولذلك تكون أبعاد النطفة الأمشاج بعد هذه الانقسامات لا تتجاوز إلا قليلاً (٢) ما كانت عليه قبل الانقسام مما يحفظ لها شكل النطفة.

٢. هي أمشاج لأنها تحمل أخلطاً كثيرة، سواء أكانت هذه الأخلط ماءي الرجل والمرأة، أم الكروموسومات، أو حتى لاحتوائها على خلايا كثيرة نتيجة الانقسامات. وبعد خمسة أيام من حدوث الإخصاب، يظهر أول تخصص في الخلايا (٣) ، حيث تنقسم إلى قسمين:

١. الطبقة الداخلية (Inner Cell Mass): وهي عبارة عن تجمع من الخلايا يمثل الجزء الذي سينتكون منه جسم الجنين. وبالتالي فوظيفتها تكوين الجنين وأغشيته.

٢. الطبقة الخارجية (Outer Cell Mass): وهي التي تمثل ما يسمى بالأرومة الغذائية (Trophoblast) والتي تتحول فيما بعد إلى المشيمة (٤) (Placenta).

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٧٥، بتصرف.

(٢) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٨، بتصرف.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٠٨.

(٤) المشيمة عبارة عن نسيج إسفنجي دائري الشكل، يبلغ قطرها ٢٠ سنتيمتراً وسمكها حوالي ٣ سنتيمترات. تتصل المشيمة من أحد جانبيها بالجنين عن طريق الحبل السري (Umbilical Cord) الذي يبلغ طوله ٥٠ سنتيمتراً ويحتوي شرياني (Umbilical Arteries) ووريداً واحداً (Umbilical Vein). وتتصل من الجانب الآخر ببطانة الرحم، وذلك عن طريق عدد كبير من الأوعية الدموية الصغيرة الممتدة من جدار الرحم. ووظيفة المشيمة:

١- هي حلقة الوصل التي يتم من خلالها انتقال الغذاء والماء والأكسجين من الأم إلى الجنين عن طريق الوريد السري.

٢- تعمل كمضو إخراج يتم بواسطته التخلص من ثاني أكسيد الكربون والفضلات التي يتم جمعها من دم الجنين لتنتقل بعد ذلك إلى المشيمة عبر الشريان السري لتعمر منها إلى دم الأم، حيث يتم التخلص من هذه المواد عن طريق الجهاز التنفسي والكليتين.

تتميز الطبقة الخارجية بوجود العديد من الزوائد والتي تساعد على التعلق بجدار الرحم ليتسأتى للجنين الاستقرار في هذا المكان. ووظيفتها قضم خلايا الرحم والاتصال المباشر بالبرك الدموية الرحمية لامتنصاص الغذاء منها. (١)

ومع النمو المتزايد للخلايا تفرز خلايا الأرومة الغازية سائلاً يتجمع في تجويف داخل التوتية، وتحول بذلك إلى كرة جرثومية (٢) أو بلاستولة (Blastocyt) (٣) وتتكوّن هذه الكرة الجرثومية بعد (١٢٣-١٤٧) ساعة من التلقيح، وتتألف من حوالي ٦٠ خلية، معظمها (٩٠٪) على هيئة خلايا الأرومة الغازية، والباقي (١٠٪) طبقة الخلايا الجنينية الداخلية. (٤)

٣- تعمل كحاجز يمنع من انتقال الأمراض المعدية من دم الأم إلى دم الجنين، باستثناء مرض الحصبة الألمانية (Rubella) ومرض التهاب الكبد الفيروسي (Hepatitis) ومرض نقص المناعة المكتسبة (Aids) حيث يمكن لهذه الأمراض أن تنتقل من دم الأم إلى دم الجنين.

٤- تفرز العديد من الهرمونات التي تعمل على تثبيت الحمل وتساعد في نمو الرحم أثناء الحمل. [الرقي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٣-٧٤ (بتصرف)].

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٨-٢٠٩، والموسوعة الطبية، ص: ١١٨٧، وحامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ٨٨. (بتصرف).

(٢) جرثومية مقصود بها أول الشيء أو أصله (لأنها تنشأ عنها الأعضاء فيما بعد) وليس المقصود منها الجرثومة المعهودة المسببة للأمراض. ومنعاً للاكتباس أستعير عن كلمة جرثومية باللفظ أرومة، وفي اللغة الإنجليزية يشار إلى هذا المعنى بالمقطع (Blast). [حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ٨٨ بتصرف، البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٧.]

(٣) حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص: ٩١.

المرحلة الرابعة من مراحل طور النطفة: مرحلة الحرث

تبقى النطفة متحركة، وتظل كذلك حين تصير أمشاجاً، ولكن في مرحلة الحرث تبدأ مرحلة الاستمرار. وفي نهاية مرحلة النطفة الأمشاج تنفوس النطفة في بطانة الرحم بما يشبه انفراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض، وبهذا الانفراس يبدأ طور الحرث، ويكون عمر النطفة حينئذ ستة أيام. ^(١) والحرث: إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزرع. ^(٢) وإلى هذه العملية تشير الآية في قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾. ^(٣)

قال الطبري في معنى هذه الآية: " نساؤكم مزدرع أولادكم، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم، وأين شئتم، وإنما عني بالحرث - وهو الزرع - المحترث والمزدرع، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثاً، إذ كان مفهوماً معنى الكلام. " ^(٤) وذلك على سبيل التشبيه، فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان، كما أن بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم. ^(٥)

هذه الآية الكريمة كانت رداً على مقولة يهود في ذلك الوقت، حيث كانوا يقولون أن من أتى زوجته من الخلف يأتي الطفل أحوال. ^(٦) وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن صحة هذا الكلام، فنزلت هذه الآية الكريمة رداً واضحاً علمياً، بأن الفرج هو مكان الزرع مهما كانت وضعية الجماع، وأنه لا علاقة لوضعية الجماع على صفة المولود، وأن مني الرجل مثل بذور الزرع، والرحم مزرعته. ونلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة أن عملية الزرع للبيضة

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٠، بتصرف.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١١٩.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢ / ٣٩١).

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٢٠.

(٦) السيوطي، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت، (٣ط، ١٤٢١-٢٠٠٠)، ص: ٤٧.

المخصبة (النفطة الأمشاج) تتطابق بالكامل مع تسمية القرآن الكريم عندما اعتبر الرحم (الحرث) أي مكان الزرع.^(١)

واللافت للنظر أن علماء الأجنة يستخدمون مصطلح (انغراس) (Implantation)

في وصف هذا الحدث، وهو يشبه كثيراً في معناه كلمة (الحرث) في اللغة العربية.^(٢)

وهذه المرحلة مهمة جداً لأنه قد يحدث الإخصاب والتزاوج لكن لا تتجح في الانزراع

لأسباب كثيرة قد يعلم منها الطب، ولكن كثير من هذه الأسباب لا يعلمها إلا الله فتغيض خارجة.

ومن جهة أخرى قد يحدث الإخصاب وتعلق النفطة الأمشاج في جدار الرحم ، وقد تزداد وتكبر

وقد تسقط لاحقاً فتغيض إلى الخارج. لا يعلم مستقبلها ودقائق أمورها إلا الله، كما لا يعلم

المستقبل، ومستقبل هذه النفطة بالذات إلا الله.^(٣) يقول تعالى: ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما

تغيض الأرحام وما تزداد^(٤) وكل شيء عنده بمقدار ﴾.^(٥)

ومرحلة الحرث هي آخر مرحلة في طور النفطة، وبنهايتها تنتقل الكسرة الجرثومية

من شكل النفطة وتتعلق بجدار الرحم، لتبدأ مرحلة جديدة في اليوم الخامس عشر، وهي مرحلة

العلقة.^(٦)

(١) النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٣٧، بتصرف.

(٢) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٠، بتصرف.

(٣) النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٣٦.

(٤) يرى محمد قطب أن قوله تعالى (كل أنثى) لا تشمل إناث الإنسان وحده، بل السياق يشمل كما يحدد اللفظ بالضبط (كل

أنثى) إناث الإنسان وإناث الحيوان وإناث الطير، وإناث الأسماك، وإناث الحشرات... وهكذا. كما أنه أفسر قوله تعالى:

﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ بأن كل رحم تنتفخ بالحمل وتغيض بالوضع.

[قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، ص: ١٦١-١٦٢، بتصرف]. ويرى بعض المتخصصين في الطب

أن الآية تشير إلى معنى أبعد من ذلك كما سنبين لاحقاً بإذن تعالى عند الكلام عن مخلص ما يحدث في مرحلة

الحرث .

(٥) سورة الرعد، آية ٨.

(٦) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٠.

والكلام عن مرحلة الحرث يبقى ناقصاً ما لم نتكلم عن مكان الحرث (أي رحم المرأة)^(١). فقد أعطى الله لهذا المكان وصفين جامعين في قوله تعالى: ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون ﴾^(٣).

نلاحظ من خلال هذه الآيات أن النطفة تدخل الرحم بوصفها نطفة لا علقة، وتحفظ بهذا الوصف فترة من الوقت، قبل أن تتجح في التعلق، فتأخذ اسم العلقة. فهناك فترة زمنية تستغرقها النطفة بعد دخولها إلى الرحم وهي طافية لم تتشبث بعد، ثم تشرع في التعلق بعد ذلك. فالآية الكريمة تقول: ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة ﴾. فلما حلت به تمكّنت من التعلق ولكتساب الوصف الجديد.^(٤) ونلاحظ أيضاً أن وصف الرحم بالقرار المكين بعد ذكر النطفة يشير إلى معنى دقيق هو: لولا أن الرحم قرار مكين ما تمكّنت النطفة من التعلق

(١) يقول الدكتور عدنان الشريف: 'هناك ٢٤ حالة حمل منشورة في المجلات الطبية لنساء استؤصلت أرحامهن وبالرحم من ذلك حصل لهن حمل. وقد وضعت واحدة من هذه النسوة طفلاً طبيعياً بعد أن أجريت لها عملية قيصرية. (وهي عملية تنسب إلى يوليوس قيصر لأنه أول من ولد بهذه الطريقة، حيث أن أمه ماتت أثناء الطلق، وقام الطبيب عندئذ بشق بطنها وأخرجها منها، وعاش يوليوس ليصبح إمبراطور روما، وأطلق عليه لقب قيصر، ونسبت إليه العملية المنكورة، وهي الآن تجري ببسر وبمهارة فائقة إذا دعت إليها الحاجة. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٤٥١]) وهناك ألف حالة نادرة في العالم حصل الحمل فيها خارج الرحم أي في أحشاء البطن. وفي تسعين حالة منها نما الجنين نمواً طبيعياً وخرج حياً من بطن أمه بواسطة عملية قيصرية.' أمـ [الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٨٦، ١٧١-١٧٢ (بتصرف)]. ويقول الدكتور محمد البار: لقد سجلت حالة حمل بعد عملية استئصال للرحم، ويكون الحمل في هذه الحالة خارج الرحم وغالباً ما يكون في كيس دوجلاس، ومن النادر أن ينمو، ومن النادر أن ينمو الجنين إلى شهره التاسع، وغالباً ما تصاب الأم بالأم حادة ونزيف في الشهر الثالث مما يستدعي إجراء عملية سريعة لإنقاذ حياة الأم. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٨٣، بتصرف].

(٢) سورة المؤمنون، آية ١٣.

(٣) سورة المرسلات، آية ٢٠-٢٣.

(٤) توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٨، بتصرف قليل.

به، وما أخذت بالتالي اسم العلقة. فالرحم كان قراراً مكيناً قبل أن تحل به النطفة، فلما حلت به
تمكنت من التعلق واكتساب الوصف الجديد. (١)

فالرحم هو مكان لاستقرار الجنين، ومعنى (قرار) في قواميس اللغة (استقر
واستراح). (٢) يقال قرّ في مكانه إذا ثبت ثبوتاً جامداً، وأصله من القر وهو البرد وهو يقتضي
السكون والحر يقتضي الحركة. (٣) وهو أيضاً (مكان يستقر فيه الماء ويتجمع) (٤) يقول ابن كثير
في تفسير معنى القرار الواردة في الآية: يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل
والمرأة، والرحم معد لذلك، حافظ لما أودع فيه من الماء. (٥) ولهذا اختار القرآن الكريم تعبير
(القرار) وصفاً للمكان الذي تستقر فيه النطفة وهو الرحم.

أما التعبير الجامع الآخر، وهو (مكين)، فيعني مثبت بقوة، وهذا يشير إلى علاقة الرحم
بجسم الأم وموقعه المثالي لتخلق ونمو كائن جديد. (٦) كلمة (قرار) تشير إلى ما يوفر للعلقّة
الاستقرار، بينما كلمة (مكين) تشير إلى ما يوفر لها الحماية.

والرحم قرار يناسب استقرار الجنين من أول يوم إلى آخر يوم من الحمل، (٧) فالرحم
للنطفة ولمراحل الجنين اللاحقة سكن لمدة تسعة أشهر، وبالرغم من أن طبيعة الجسم أن يطرد
أي جسم خارجي فإنّ الرحم يأوي الجنين ويغذّيه. (٨) فالبيضة بعد تلقيحها تتألف بشكل كبير من
البروتينات (الغريبة)، ولكنّ الرحم يستقبل هذا الجسم الغريب، رغم أنه سيحملته أتعاباً ومشاقاً

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٨ بتصرف قليل.

(٢) الزبيدي، أبو الفيض، محمد مرتضى، (ت. ١٢٠٥)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت،
لبنان، (لا يوجد سنة طبع)، (٣ / ٤٩٠).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٩٨.

(٤) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (قر)، (٥ / ٧).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٤٦٠).

(٦) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٢.

(٧) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٩.

(٨) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٢.

كثيرة، وسينال من دمه وغذائه وقوته. ولكن بفضل بعض الخلايا في النطفة التي تفرز مواداً كيميائية من نوع فريد، فإن أجهزة المناعة في الأم لا تتعرف إليه، وبذلك لا يتم لفظ الجنين المتباين نسيجياً مع أمه لما يحمله من كروموسومات الأب الغريبة على الأم، بل تتأى بنفسها عن الرفض وتجد لها مكاناً آمناً. فمن الذي دبّر هذا كله؟ إنه الله العليم الحكيم. (١) ﴿ قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾. (٢)

والرحم يشهد خلال فترة الحمل العديد من التغيرات في تركيبه ووظيفته ليكون أكثر

ملاءمة لاحتياجات الجنين الذي يحتويه:

١. فنجدّه يزداد في وزنه إلى حوالي الكيلوجرام بعدما كان لا يتعدى ستين غراماً قبل الحمل.
٢. ونجدّه أيضاً يتمدد بدرجة كبيرة ليتلاءم مع نمو الجنين، لتوفر له هذه التغيرات من الاتساع ما يكفل احتواءه ٥ لترات. والمدهش أنه كلما اتسع في حجمه، ازداد سمك جداره (٣)، ولو كان يتمدد دون أن يزداد سمك جداره، لرقّ الجدار وضعف فيتمزق أو يعجز عن التقصص عند الولادة. ولو كان غير قابل للاتساع لضاق بالجنين قبل اكتمال نموه.
٣. وفي سبيل إمداد الجنين باحتياجاته من الأكسجين، والمغذيات الأخرى، يزداد معدل سريان الدم في الرحم ليبلغ ٥٠٠ مليلتر/دقيقة. وربما وصل هذا إلى اللتر للدقيقة الواحدة في حالة الحمل بالتوائم. (٤)

(١) توفيق، دليل الأئمنس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١١٣، بتصريف، وحامد، الآيات المعجبات في رحلة الإنجاب، ص: ٩١، بتصريف، وطيفور، روعة الخلق، ص: ٦٤، بتصريف.

(٢) سورة طه، آية ٤٩-٥٠.

(٣) تزداد ثخانة المنطقة من باطن الرحم التي تمّ فيها انغراس النطفة نتيجة لوفرة الأوعية الدموية التي تركت إليها، ووفرة مخزون خلاياها من الجليكوجن (وهو السكر الذي يخترن في خلايا الكبد والمضلات عادة) لتمتد النطفة بالغذاء وتساعد في الانغراز في باطن الرحم. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣١، بتصريف، وحامد، الآيات المعجبات في رحلة الإنجاب، ص: ٩٧، بتصريف].

(٤) الرقمي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٦-٧٧، وتوفيق، دليل الأئمنس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٠٩.

والرحم مكين، وهناك عدة عوامل تتضافر من أجل حفظ الرحم في مكانه منها:

١. الحوض العظمي: فالرحم يقع في وسط الجسم، وفي مركز الحوض، ويتكون الحوض من مجموعة من العظام متصلة ببعضها بعضاً اتصالاً دقيقاً محكماً. ويحفظ الحوض في الأنثى أجهزتها التناسلية الهامة وهي الرحم والمبيض وقناتي الرحم والمهبل. فالحوض العظمي يحفظ الرحم بداخله بحيث لا يصله شيء من الهزات التي تتعرض لها المرأة، بل لو أصيبت المرأة في حادث أو سقطت من شاهق وتكسرت عظامها فإننا نجد الرحم في أغلب الأحوال سليماً لم يمسه أي ضرر. والحوض على متانته له مفاصل أربعة يمكن من خلالها أن يتحرك قليلاً حتى يزداد اتساعه وخاصة عند الحمل والولادة.

٢. مساندة الأعضاء الأخرى في تجويف الحوض: إن امتلاء الحوض بالأعضاء مثل المثانة ومتعلقاتها ونهاية القناة الهضمية (المستقيم والقناة الشرجية) والأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب كلها تساهم في حفظ الرحم في مكانه.

٣. أربطة الرحم: للرحم جملة أربطة يتعاون بعضها مع بعض في جهاتها المختلفة لحفظ الرحم في موضعه الطبيعي، ولكنها في الوقت نفسه تسمح له بالحركة الحقيقية كما تسمح له بالنمو الهائل في فترة الحمل بحيث يتضاعف حجم الرحم في نهاية الحمل عما كان عليه قبيل الحمل، وبحيث يملأ الرحم تجويف البطن. فكأنما الرحم جسر معلق تربطه مجموعة محكمة من الأربطة والأعمدة المتينة المحكمة.

٤. توازن الضغط الموجود في تجويف البطن وتجويف الحوض: يتولد ضغط في تجويف البطن نتيجة تلتصقات عضلات الحجاب الحاجز وعضلات جدار البطن حيث يدفع ذلك الضغط أعضاء الحوض ومنها الرحم إلى أسفل، ويقابل ذلك الضغط من أعلى ضغط من أسفل

نتيجة تقلص عضلات العجان مثل العضلات الرافعة للشرح فتدفع الرحم إلى أعلى. ونتيجة لتوازن هذا الضغط يبقى الرحم في مكانه.

٥. عنق المهبل: يتصل الرحم بوساطة عنقه بالمهبل، ونتيجة لهذا الاتصال يبقى الرحم في مكانه. (١)

٦. أغشية الرحم والجنين: أثناء نمو الجنين نجد أن هناك ثلاثة أغشية محيطة به وهي:

أولاً: غشاء السلى أو الأمينون: ويحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه، وفي مائه يتحرك الجنين، ويسمى هذا الماء السائل الأمنيوسي. (٢) [انظر الشكل ١٨]
ثانياً: الغشاء الكوريوني أو الغشاء المشيمي.

ثالثاً: الغشاء الساقط: وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض، وسمى بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية. (٣)

وهذه الأغشية الثلاثة "صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة، والغشاء الذي لا ينفذ منه الضوء والحرارة والماء يدعى باللغة العربية ظلمة"، (٤) وقد قال سبحانه في كتابه: ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾. (٥)

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٥٥-٦٧ بتصرف.

(٢) السائل الأمنيوسي له فوائد كثيرة منها:

أولاً: يمنع هذا السائل إلتصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي مباشرة تجنباً للتشوهات الخلقية.
ثانياً: يمنع هذا السائل أيضاً تعرض الرحم، الذي يرتفع عن مستوى الحوض بعد نهاية الشهر الثالث، إلى خطورة التصادمات والرضوض.

ثالثاً: يحافظ هذا السائل على درجة حرارة ثابتة للجنين.

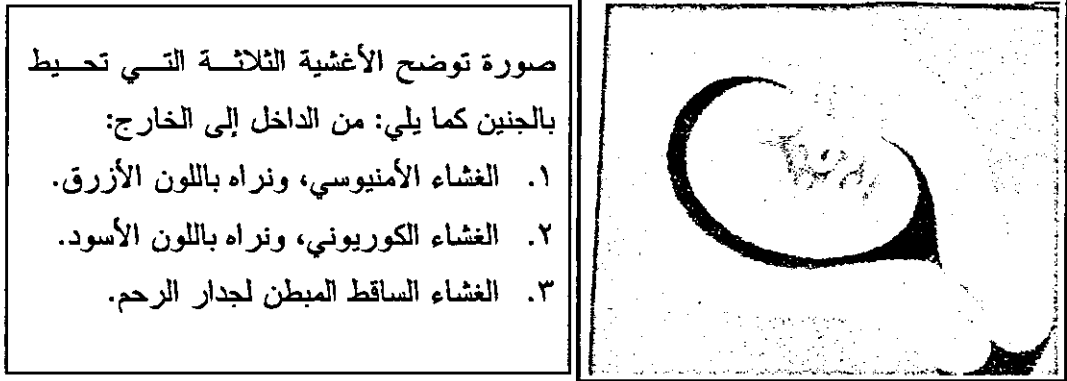
رابعاً: يوفر هذا السائل الظلام اللازم لنمو الجنين. فقد وُجد أن الضوء يعوق مراحل النمو، فمثلاً تتلف شبكية العين إذا تعرضت للضوء في الأسابيع الأخيرة من الحمل، ولهذا تبقى الجفون التي تتكون في الأسبوع الخامس والسادس مغلقة حتى الشهر السابع والثامن. [حامد، الآيات العجيب في رحلة الإنجاب، ص: ١١٨، بتصرف قليل.]

(٣) اللوح، د. عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص: ١٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص: ١٨٨.

(٥) سورة الزمر، آية ٦.

فهناك من يرى أنّ كلمة (ظلمات) في الآية الكريمة قد أشارت إلى هذه الأغشية المحددة بالعدد ثلاثة. (١) وهناك من يرى أنّ الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة (أي الأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين). (٢) وهذا القول هو أقوى الوجوه في الآية، والله تعالى أعلم لأنّ الآية قد حددت أنّ تخلق الجنين يمر في ظلمات ثلاث، في بطون أمهاتنا، وليس في أرحام أمهاتنا. والرحم جزء من البطن وليس البطن كله، كما أنّ الأغشية المحيطة بالجنين تكوّن ظلمة واحدة وليس ظلمات ثلاث. (٣)



الشكل رقم ١٨ (٤)

وهكذا نجد أن كلمتي (قرار) و(مكين) تعبران تعبيراً تاماً عن حقيقة الرحم ووظائفه الدقيقة، وعن العلاقة الحميمة بين الرحم وجسم الأم. وذلك إعجاز في التعبير والوصف لا يدرك أهميته إلا المتخصص الذي له علم بحاجات نمو الجنين، وحاجات الرحم، لمواكبة هذا النمو حتى يخرج سليماً. (٥)

(١) مثل الدكتور عبد السلام حمدان في كتابه: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص: ١٨٨، والدكتور حامد أحمد حامد في كتابه: الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١١٨.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، (١١٦/٤)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٥٣/١٥)، وابن جزي، التمهيل لطوم التنزيل، (١٩١/٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٦/٤)، والشوكاني، فتح القدير، (٤٥٠/٤).

(٣) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٨٢.

(٤) حامد، حامد أحمد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١١٦.

(٥) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٣.

يقول الدكتور مأمون شقفة في كتابه (القرار المكين) والذي خصصه لهذا الموضوع:

"والله إن هذه العبارة - أي القرار المكين - وحدها كافية كدليل لا يرقى إليه الشك على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وعلى أن قائلها هو نفسه الذي خلق الرحم وأحاط بوظائفها جميعاً علماً، بل إن خلق الرحم وجعلها قراراً وجعلها مكيناً، وما وظائفها التي ندرسها في كتب الطب إلا تجسيد لهاتين الكلمتين. فمهما استعرضنا الخدمات المختلفة التي تقدمها الرحم للمخلوق الجديد فإنها جميعاً تتدرج تحت هاتين الكلمتين، ولن نجد شيئاً تقوم به الرحم خدمة للولد يخرج عن هذه العبارة... فأبي إعجاز هنا ١٢" (١)

وبعد أن استعرضت أسباب وصف الرحم بالقرار المكين - وهذا مما يتفق عليه العلماء ولا ينكره أحد - يبقى سؤال هو: هل يمكن حمل معنى القرار المكين أيضاً على مبيض المرأة والحوصلة المنوية عند الرجل؟

يرى بعض الأطباء مثل الدكتور خالص جليبي، والدكتور نعمت صدقي، والدكتور عدنان الشريف أنه يمكن حمل معنى (القرار المكين) أيضاً على مبيض المرأة والحوصلة المنوية عند الرجل. فعلى اعتبار أن معنى القرار المكين هو مبيض المرأة، يجب أن نحمل معنى الماء المهين أو النطفة على أنه ماء المرأة. وعلى اعتبار أن معنى القرار المكين هو الحوصلة المنوية عند الرجل يجب أن نحمل معنى الماء المهين أو النطفة على ماء الرجل. واستدلوا لرأيهم بما يلي:

أولاً: يعتبر كل من المبيض والحوصلة المنوية قراراً لأنه من الوجهة العلمية يستقر ماء المرأة أي نطفها في المبيض عندها منذ الشهر الرابع من حياتها، ثم تخرج النطفة دورياً من المبيض

(١) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، ص: ١٠٨ نقلاً عن كتاب القرار المكين للدكتور مأمون شقفة.

مرة في كل شهر بعد بلوغها سن النضوج الجنسي، والمبيض يحفظ البويضات من الموت إذ أن الببيضة إذا خرجت من جرابها لا تعيش إلا ساعات قليلة.

ومن الوجهة العلمية أيضاً يستقر ماء الرجل الذي تفرزه خصيتاه بصورة دائمة منذ بلوغه سن النضج الجنسي، في الحويصلة المنوية، ويخرج منها وقت فوران الشهوة. ووجود الحيوانات المنوية داخل الحويصلة المنوية يحفظها من الموت إذ أن الحيوان المنوي لا يمكن أن يعيش خارج الحويصلة المنوية أكثر من أربعة أيام. ومن هنا فإن المبيض والحويصلة المنوية مكانان آمان لاستقرار النطف التي تبقى في هذين العضوين لوقت معلوم محدد يعرفه علماء الأحياء.

ثانياً: يعتبر كل من المبيض والحويصلة المنوية مكيناً لأن الرحم والمبيضين عند المرأة والحويصلة المنوية عند الرجل تقع في الحوض (Pelvis)، وهو تصفيح عظمي يحيط بها من جميع الجهات، كما أنها معلقة بأحزمة وأربطة متينة ومرنة في الوقت نفسه إلى مختلف العضلات والأعضاء الموجودة في الحوض. (١)

والذي أرجحه - والله تعالى أعلم - أنّ المقصود (بالقرار المكين) الرحم فقط، ولا يمكن حمل معناه على الحويصلة المنوية عند الرجل ومبيض المرأة، بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ (٢) فهذه الآية تدل على أن مستقر الأجنة هو الرحم، وأن الأجل المسمى هنا هو موعد الولادة، وهو ما قد أجمع عليه المفسرون. ومثله قوله

(١) صدقي، معجزة القرآن، ص: ١٤٣ بتصرف، وخالص جلي، الطب محراب للإيمان، (١ / ٦٢، ٦٥-٦٦، ٦٨)،

بتصرف، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٤٠-٤١.

(٢) سورة الحج، آية ٥.

تعالى: ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين • فجعلناه في قرار مكين ﴾^(٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى مبيض المرأة والخصية عند الرجل في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾^(٣).

يقول الدكتور السعدي: لاحظ كيف جمعت الآية الكريمة الجهاز التناسلي للإنسان في كلمتين: المستقر (وهو الرحم) والمستودع (وهو الخصيتان أو المبيضان). فالأنطاف الذكرية تستودع في الخصيتين والأنطاف الأنثوية في المبيضين. ومن المستودع أو المخزن تخرج نطفة الذكر والأنثى وتلتقيان ثم تتحدان مكونتين النطفة الأمشاج التي تجد لها في الرحم مقراً مكيناً يحفظها ويمدها بأسباب الحياة والنمو حتى تستوي إنساناً كاملاً.^(٤)

وأشار الدكتور السعدي إلى أن العلماء سابقاً قد اعتقدوا بأن الحيوانات المنوية تخزن من بعد تكوينها في الحويصلات المنوية، ثم اتضح لهم خطأ ما قد ذهبوا إليه، إذ أن الخصية هي المخزن والمستودع عند الذكر لا الحويصلات المنوية.^(٥)

(١) سورة المؤمنون، آية ١٣.

(٢) سورة المرسلات، آية ٢٠-٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية ٩٨.

(٤) السعدي، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والتراتيب، ص: ١١١، بتصرف قليل.

(٥) المصدر السابق، ص: ١١٠، بتصرف.

ملخص ما يحدث في مرحلة الحرث:

تسير الكرة الجرثومية وهي تتحسس طريقها على جدار باطن الرحم (Endometrium) بعد أن تركت قناة فالوب لتبحث عن أنسب مكان للانغراس، ولعل ذلك يشبه منظر سفينة الفضاء وهي تسبح في الفضاء حتى تهتدي إلى سطح القمر لتهبط عليه بسلام. (١) وقبل أن تتمكن الكرة الجرثومية من الانغراس فلا بد من تحقيق أمرين اثنين:

الأول: هدم خلايا غشاء الرحم من أجل فتح تجويف صغير تستطيع أن تعلق فيه. وهذه المهمة تقوم بها الخلايا الجانبية من النطفة (التروفوبلاست)، وتستعين في التعلق بإفراز إنزيم خاص يذيب نسيج الغشاء المخاطي للرحم، وهذه الخلايا هي التي تشكل الزغابات التي تصبح نواة المشيمة الأولية فيما بعد. (٢)

الثاني: التخلص من الغشاء الشفاف المحيط بها، ذلك لأن النطفة لا تستطيع أن تغرس نفسها في جدار باطن الرحم نظراً لشكل غلافها الشبيه بالبيضة. فقط بعد أن تتحرر من هذا الغلاف يصبح بإمكان مجموعة الخلايا أن تتوسع وترتبط نفسها إلى الغشاء الرطب والكثيف. (٣) ولذلك نلاحظ أن النطفة في مرحلة الحرث تبدأ تفقد شكل القطرة لتتحول إلى شكل علقه. (٤)

في اليوم السادس من الإخصاب يبدأ إنغراس الكرة الجرثومية في باطن الرحم. (٥) وفي اليوم الثامن من الإخصاب تكون طبقة الخلايا الخارجية بالكرة الجرثومية قد تميّزت إلى طبقتين:

(١) طبقة داخلية وتسمى هذه الطبقة بالأرومة الاغتائية الخلوية (Cytotrophoblast).

(١) حامد، الآيات المعجزة في رحلة الإنجاب، ص: ٩٤، بتصرف.

(٢) توفيق، دليل الأئمة بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١١٢-١١٣، بتصرف.

(٣) طيفور، روعة الخلق، ص: ٦٣، بتصرف.

(٤) Human Development as Described in the Quran and Sunna , pg. ٦٩

(٥) المصدر السابق، ص: ٤٣.

(٢) طبقة خارجية وتسمى هذه الطبقة بالأرومة الاغتذائية المخلاوية (Syncytiotrophoblas)

وتتميز طبقة الخلايا الداخلية الجنينية بالكرة الجرثومية إلى كل من:

(١) الطبقة البرآنية أو طبقة الأكتودرم الخارجية: (Epiblast).

(٢) الطبقة التحتانية أو طبقة الأنتودرم الداخلية: (Hypoblast).

وفي اليوم التاسع من الإخصاب تكون الكرة الجرثومية قد انغرست بأكملها تقريباً داخل الرحم. ثم تقوم بقتل الفتحة التي دخلت منها بواسطة جلطة دموية تسد فوهة الاختراق. (١) وفي هذا اليوم تختفي الكرة الجرثومية تماماً عن الأنظار. وقد اعتبر بعض العلماء كالأستاذ عبد المجيد الزنداني (٢) والدكتور حامد أحمد ظاهرة اختفاء النطفة في داخل الرحم بأنها مرحلة الغيض التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾. (٣)

يقول الدكتور حامد أحمد تعقيباً على هذه الآية الكريمة: تشير (أي الآية) إلى الإنغراس للكرة الجرثومية وهو ما يعني الغور في كلمة (وما تغيض)، كما أن اللفظ (وما تزداد) قد يعني زيادة ثخانة بطانة الرحم ووفرة الأوعية الدموية ووفرة مخزون الخلايا من الجليكوجين... والله أعلم بمراده. (٤)

ويزداد انغراز الكرة الجرثومية عمقاً داخل باطن الرحم إلى أن تكون الكرة الجرثومية قد أكملت انغرازها وانغمدت بأكملها في اليوم الرابع عشر من الإخصاب، وهذا اليوم يصادف

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٠ بتصرف، وحامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٠٠، و

Sadler , T.W.,Langnan's Medical Embryology-Seventh Edition ,pg. ٤١ ,Williams & Wilkins, ١٩٩٥,

(٢) نقل هذا الرأي الدكتور محمد البار في كتابه خلف الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٠.

(٣) سورة الرعد، آية ٨.

(٤) حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٠٥.

اليوم الذي تنتظره المرأة للدورة الشهرية، وعلى الأغلب لا يمكن أن تعرف المرأة أنها حامل قبل هذه الفترة. (١)

وعندما تستقر النطفة تبدأ المهمة الثانية للخلايا الجانبية (التروفوبلاست) التي قامت بالإنفراز، وهذه المهمة هي إفراز هرمون (H.C.G.) الذي يواصل إصدار الأوامر إلى المبيض، وبدقة إلى الجسم الأصفر، ليستمر في إفراز هرمون البروجسترون (Progesterone) الذي يحث غشاء الرحم على الاستمرار في التماسك، ولولا هذا الهرمون لتهدم الغشاء وذهبت جهود النطفة هباء كما يحدث في نهاية الدورة الطمثية عندما لا يكون تلقيح. وما دام هرمون البروجسترون في الدم، فإن المبيض يكف عن إطلاق بويضات جديدة. (٢)

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٢ و

Human Development as Described in the Quran and Sunna , pg. ٤٧

(٢) توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١١٣-١١٤، بتصرف.

المبحث الثالث: طور التخليق

نحن الآن نسير مع مرحلة جديدة من مراحل الخلق هي مرحلة التخليق. ويشمل هذا الطور أربع مراحل هي: العلق، المضغة، العظام، واللحم. تمتد هذه المرحلة من بداية الأسبوع الثالث حتى نهاية الأسبوع الثامن، وأهم ما يميّزها هو التكاثر السريع للخلايا ونشاطها الفائق في تكوين الأجهزة. وهنا نجد أنّ وصف التخليق يأتي وصفاً دقيقاً معبراً عن طبيعة التغيرات للعمليات الخارجية، وعن المظهر الخارجي للجنين، حيث ينتقل من مظهر غير متميز إلى مظهر إنساني متميز في الأسبوع السابع نتيجة لانتشار الهيكل العظمي، ثم بناء العضلات في الأسبوع الثامن.

ونظراً لأنّ العمليات التخليقية تتم بسرعة كبيرة، وتتلاحق فيها الأحداث خلال هذه الفترة، فالملاحظ أنّ القرآن الكريم قد استعمل حرف الفاء للربط والانتقال بين مراحل هذا الطور. ^(١) يقول تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾. ^(٢)

المطلب الأول: مرحلة العلق

العلق في اللغة تطلق على عدة معانٍ منها:

١. التشبث بالشيء، يقال: علق الصيد في الحُبالة، وعلق دم فلان بزبد إذا كان زيد قاتله. ^(٣)
٢. دويبة تكون في الماء، تعلق بحلق الشارب. ^(٤)

^(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٥، بتصرف.

^(٢) سورة المؤمنون، آية ١٤.

^(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٤٧.

^(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (علق)، (١٢٦/٤)، بتصرف.

٣. الدم الجامد الغليظ^(١)

وقد ورد ذكر العلقة في القرآن الكريم ست مرات في خمسة مواضع على النحو التالي:

١. قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة

ثم من علقة ﴾^(٢).

٢. وقال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين *

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ﴾^(٣).

٣. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم

طفلاً ﴾^(٤).

٤. وقال سبحانه: ﴿ ألم يك نطفة من منى يمى * ثم كان علقة فخلق لسوى ﴾^(٥).

٥. وقال عز وجل: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق ﴾^(٦).

والمتتبع لأقوال أغلب المفسرين القدامى وكثير من المحدثين مثل الشهيد سيد قطب

وابن عاشور يجد أنهم فسروا العلقة بالدم الجامد الغليظ، وإليك طائفة من أقوالهم:

قال الشوكاني: والعلقة الدم الجامد، والعلق الدم العبيط^(٧)، وقيل الشديد الحمرة، والمراد الدم

الجامد المتكون من المنى^(٨).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (علق)، (٩ / ٣٦١).

(٢) سورة الحج، آية ٥.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١٢ - ١٤.

(٤) سورة غافر، آية ٦٧.

(٥) سورة القيامة، آية ٣٧ - ٣٨.

(٦) سورة الملئق، آية ٢-١.

(٧) يقال: لحم عبيط بئِن العبيطة، أي: طري، وكذلك الدم والزعفران [ابن منظور، لسان العرب، (٩ / ٢١)، بتصرف قليل]

وقال الأزهري: يقال لحم عبيط ومعبوط إذا كان طرياً لم يَنْتَب فيه سَبَع ولم تصبه علة.

[الأزهري، تهذيب اللغة، (٢ / ١٠٩)]

(٨) الشوكاني، فتح القدير، (٣ / ٤٣٦)، بتصرف.

وقال الرازي: العلقة قطعة الدم الجامد، ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة. (١)

وقال سيد قطب: هي قطعة من دم غليظ. (٢)

وقال ابن عاشور: والعلقة القطعة من الدم الجامد اللين. (٣)

ولكن ... من المعروف علمياً أن الإنسان لا يمر بمرحلة جلطة الدم، (٤) فما الذي حملهم على هذا التفسير؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتفق هذا التفسير مع العلم الحديث؟ إذا عرفنا أن حجم العلقة عند انغرازها لا يزيد عن ربع مليمتراً أدركنا على الفور لماذا أصر المفسرون القدامى على أن العلقة هي الدم الغليظ. فالعلقة لا تكاد ترى بالعين المجردة وهي مع ذلك محاطة بالدم من كل جهاتها. (٥)

إذن تفسير العلقة بالدم الغليظ ناتج عن المشاهدة حيث عاينوا الدم المجتمع حول العلقة فظنوا أن العلقة قطعة دم جامد. وهم يُعذرون في ذلك لعدم توفر أجهزة الفحص الدقيقة في زمانهم، ومع ذلك فإنهم لم يبعدوا عن الحقيقة كثيراً.

فبعد اكتشاف الميكروسكوب تمكن علماء الأجنة من رؤية العلقة، فوجدوا أن المظهر الخارجي للجنين في هذا الطور وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ، لأن القلب الأولي وكيس المشيمة ومجموعة الأوعية القلبية تظهر في هذه المرحلة. وتكون الدماء محبوسة في الأوعية الدموية المقنولة وإن كان الدم في الحقيقة سائلاً، ولا يبدأ الدم في الدوران حتى نهاية

(١) الرازي، التفسير الكبير، (١١/٢٣٥).

(٢) قطب، في ظلال القرآن، (٤/٢٤١٠).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٧/١٩٧).

(٤) بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص: ٢٣١.

(٥) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٦.

الأسبوع الثالث، وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دماً رطباً.^(١) ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى قول المفسرين أن العلق هو "الدم العبيط"^(٢).

وبعد أن تقدم العلم لاحظ العلماء أيضاً أن الجنين في هذه المرحلة يفقد شكله المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل دودة العلق^(٣) (Leech). [انظر الشكل ١٩] وإذا أمعنا النظر قليلاً نجد أن هناك تشابهاً بين دودة العلق والجنين^(٤) في مرحلة العلق من حيث أن:

١. كلاهما متطفل، بمعنى الاعتماد في غذائه الجاهز على المصدر الذي يقتات منه.
٢. وأن غذاء كل منهما هو الدم، فالجنين يمتص غذاءه من دم أمه بواسطة شعيرات، بينما العلق تمتص دماء المخلوقات.
٣. أنهما يتعلقان، تلك على جسد المخلوق، وهذا على بطانة الرحم بواسطة الحبل السري.
٤. العلق يعيش في الماء، وكذلك الجنين منذ هذه المرحلة من حياته وحتى ولادته يعيش في

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٩، بتصريف قليل.

(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير، (٤٣٦/٣).

(٣) من هنا نلاحظ أن تسمية هذا الطور من تخلق الجنين بالعلق هي تسمية تشريحية ومجهرية لا يمكن أن تصدر إلا ممن هو بكل خلق عليهم، أي المولى سبحانه وتعالى. [الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥١، بتصريف] وقد لاحظنا دقة اصطلاحات القرآن أيضاً عند الكلام عن النطفة حيث قلنا إن تسمية الطور الأول من تطور الجنين بالنطفة هي تسمية كيميائية. انظر صفحة: ٥٥.

(٤) يرى الدكتور نعمت صدقي أن المقصود بالعلق الحيوانات الملوية التي تسبب الحمل أو التلقيح، وبأن هناك تشابهاً ما بين الحيوان المنوي ودودة العلق في الأمور التالية:

أولاً: الحيوان المنوي يشبه دودة العلق.

ثانياً: العلق تسبح في الماء وهو سائل، وكذلك الحيوان المنوي يسبح في السائل المنوي.

ثالثاً: تمتص العلق دم الإنسان أو الحيوان الذي تعلق به، كذلك الحيوان المنوي إذا اتحد مع البويضة امتص غذاءه.

[صدقي، معجزة القرآن، ص: ١٣١-١٣٢ بتصريف].

وهذا الكلام غير صحيح لأن الله تعالى قد جعل (العلق) المرحلة الثانية من مراحل الجنين حيث قال: "فلخلقنا النطفة علقاً". فعلى رأي الدكتور نعمت صدقي لا يستقيم معنى الآية الكريمة.

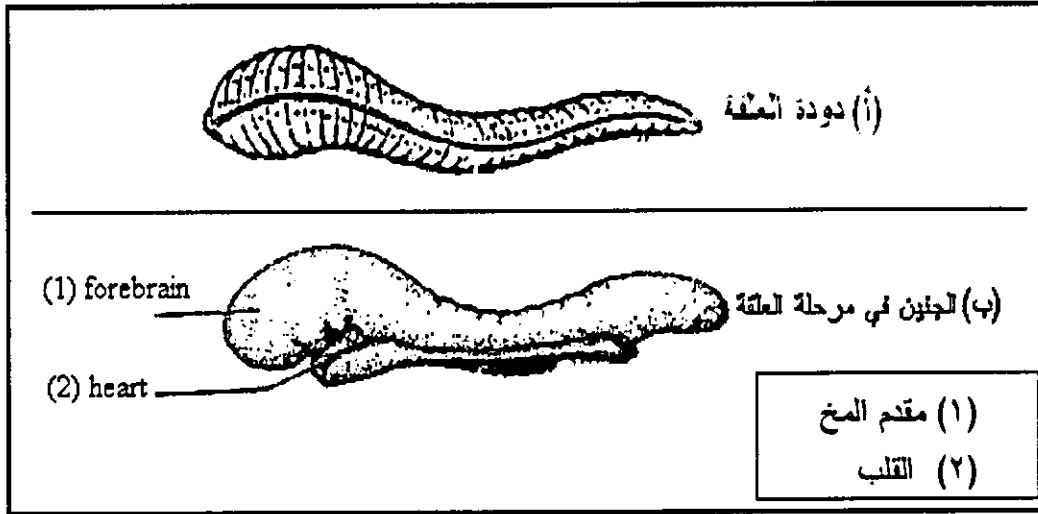
محيط مائي يسمى ماء أغشية الجنين (Amniotic Fluid)^(١)

ومن دقة التعبير القرآني أن الآية قالت: ﴿ من علق ﴾ بالتكثير، ولو قالت من (العلق)

بالتعريف، لكان المعنى أن الله قد خلق الإنسان من دودة العلق وهي دودة معروفة كانت

تستعمل قديماً في الطب لاستخراج الدم من الإنسان، وإنما قالت ﴿ من علق ﴾ موحية بأن

الإنسان يخلق من شيء يشبه العلق المعروف في صفات مهمة.^(٢)



الشكل ١٩:٣) صورة توضح تشابه الجنين في مرحلة العلق مع دودة العلق.

وفي هذه المرحلة يتشبث^(٤) الجنين بالمشيمة البدائية بوساطة ساق موصلة

(Connecting Stalk) تصبح فيما بعد هي الحبل السري (Umbilical Cord).^(٥)

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٦، بتصرف، والنعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٣٩، بتصرف، والشريف، عنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥١، بتصرف، والسعدي، المعجائب في الصلب والترائب، ص: ٧٨، بتصرف.

(٢) الثقلي، محمد عادل، نظرات جديدة في القرآن المعجز، دار الجيل، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧)، ص: ٧٢-٧٣. بتصرف.

(٣) Human Development as Described in the Quran, Sunna, and Modern Science, pg. ٣٥. (٣)

(٤) ذكر الدكتور موريس بوكاي أن تفسير (علق) بالانصاق غير صحيح، وأن المعنى الذي يستجيب تماماً للواقع الثابت اليوم هو التشبث. [بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص: ٢٣١، بتصرف.]

(٥) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٦، بتصرف.

وبهذا نلاحظ أن لفظة (علقة) قد جاءت مطلقة في القرآن الكريم لتشتمل على كل

المعاني اللغوية للعلقة، حيث إن اسم (علقة) يتسع فيشمل وصف الهيئة العامة للجنين كدودة العلق، كما يشمل الأحداث الداخلية مثل تكوّن الدماء والأوعية المقفلة. و يشمل لفظ (علقة) أيضاً تشبّث الجنين بالمشيمة.^(١)

ولفت نظرنا في قوله تعالى: ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ أمران اثنان هما:

الأول: لماذا جاءت كلمة (علق) بصيغة الجمع دون نظائرها في القرآن الكريم؟

الثاني: لماذا أثرت الآية ذكر العلق من بين كل أطوار الخلق، أي لماذا لم تقل الآية الكريمة خلق الإنسان من نطفة أو مضغة مثلاً؟

أما صيغة الجمع التي وردت مرة واحدة، يقابلها خمسة مواضع ورد فيها مفرداً، فقد

انتبه بعض المفسرين إلى هذا الأمر:

يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم قال (من علق) على الجمع، وإنما خلق من علق، كقوله: (من

نطفة ثم من علق) ^(٢) قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله: (إن الإنسان لفي

خسر) ^(٣) ^(٤)

وقال أبو السعود: " وإيراده بلفظ الجمع بناء على أن الإنسان في معنى الجمع، لمراعاة

الفواصل، ولعلّه هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية، مع كونه

النطفة والتراب أدلّ منه على كمال القدرة، لكونه أبعد منه بالنسبة للإنسانية." ^(٥)

(١) المصدر السابق، ص: ٨٦، ٨٩، بتصرف.

(٢) سورة غافر، آية ٦٧.

(٣) سورة المص، آية ٢.

(٤) الزمخشري، التكميل، (٧٨١/٤).

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٤٤٩ / ٦).

وتعليل الزمخشري لا يذهب إلى أبعد من صحة التعبير بالجمع نظراً لما في الإنسان من معنى الجمع. ويبقى السؤال: لماذا خص هذا الموضع بالجمع دون غيره من المواضع التي أفردت فيها العلقه، وهي جارية على الإنسان أيضاً في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةَ مِنْ مَنِي مَعْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ (١)، وقوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مِضْغَةً ﴾ (٢)؟

أما قول أبي السعود، فلا شك أن رعاية الفاصلة حين يكون الإفراد والجمع جائزين، جريباً على مراعاة التناسب بين الصيغ والأوزان هو إلف عربي لا نقلل من شأنه، لكن أن يقال إنه وحده السرّ في الإتيان بصيغة الجمع فهو ما لا أسلم به. و يمكن الإجابة عن هذا التساؤل بما يلي:

نلاحظ أن سورة العلق بُنيت على الإيجاز في اللفظ والإطناب في المعنى، كما هو واضح من حذف المفعول في فاصلة الآية الأولى: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾، (٣) وكما هو واضح في الاقتصار على طور واحد من أطوار الخلق وهو العلق. ولما كان الجمع أقل حروفاً من مفرده، مع زيادته عليه في المعنى بما يتضمنه من الكثرة، كان هو الأليق بمقام الإيجاز الذي انبنت عليه هذه السورة. (٤)

(١) سورة القيامة، آية ٣٧-٣٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١٤ .

(٣) سورة العلق، آية ١.

(٤) الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ - دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، (ط١، ١٤١٣-١٩٩٣)، ص: ٢٢٩-٢٣٢، بتصرف. (وسأشير إليه فيما بعد في الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ).

أما سبب إيثار (العلق) من بين أطوار الخلق، فيقول الدكتور محمد الأمين الخضري:
 "ليس لمجرد الفاصلة كان إيثاره، ذلك أن مطلع السورة ينبئ عن مقاصدها، فافتتاحها بالأمر
 بالقراءة باسم الرب الموحى بفيوضات الرحمة التي أسبغها على الإنسان منذ بدء تكوينه، وتكرار
 هذا الأمر مشفوعاً بوصف الله بأبلغ الكرم ومنتهاه، حيث ميّز الإنسان بنعمة الفكر والعلم، كل
 ذلك مفصح عن مقاصد السورة وأهدافها في توجيه الإنسان إلى الأخذ بأسباب العلم والتقرب إلى
 الله بتأمل أسرار صنعته. وأعظم ما صنع تعالى هو الإنسان نفسه، فاكتشافه لما أودع الله تعالى
 فيها من أسرار الخلق، أول خطوة على طريق اكتشافه لحقائق الكون، وما تشهد به من عظمة
 صانعها ومبدعها. ومن ثمّ كان اختيار (العلق) وهو مرحلة مجهولة لا تكشف أستاذها إلا بالعلم
 والمعرفة، وهي البداية الحقيقية للمجهول من أطوار الإنسان، إذ التراب والنفطة من الأمور
 الظاهرة المعلومة للناس كافة، فكانت العلق بمادتها وصيغتها أمسّ رحماً بمقام تستنفر فيه طاقات
 الإنسان للبحث والتعلم، والعلم في نظر الإسلام هو الوسيلة لمعرفة الله والتقرب إليه، لذا بدئت
 السورة بالدعوة إلى القراءة واختتمت بالعبادة والتقرب إلى الله: ﴿واسجد واقترب﴾^(١) (٢)
 ولي رأي آخر في سبب إيثار (العلق) من بين أطوار الخلق هو: أن اليوم هناك ما
 يعرف بالتلقيح الصناعي حيث يتم إخصاب البيضة بالحيوان المنوي خارج الرحم (عن طريق
 أنابيب مثلاً). فمرحلة النفطة قد تتم خارج الرحم وبطريقة اصطناعية. أما مرحلة العلق، فلا
 يمكن أن يتشبث الجنين إلا داخل الرحم. فالعلم الحديث - إن تمكّن من الاستغناء عن الطريق
 الطبيعي للتلقيح، فإنه لن يتمكّن من الاستغناء عن مكان التشبّث، وهو الرحم، والله تعالى أعلم.

(١) سورة العلق، آية ١٩.

(٢) الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، ص: ٢٣٣.

ملخص ما يحدث في طور العلقة:

يمكن أن أخص أهم ما تتميز به هذه المرحلة في النقاط التالية:

أولاً: التعلق

ذكرنا سابقاً أن النطفة الأمشاج في طور الحرث تنغرز في جدار الرحم بواسطة غشاء يسمى الغشاء المشيمي (Chorion)، والذي بوساطته يتغذى الجنين. وفي اليوم الخامس عشر تقريباً من الإخصاب (أي بعد نحو أسبوع منذ بداية الحرث [اليوم السادس] ^(١)) يتكون المعلق أو الساق الموصل (Connecting Stalk) والتي تصبح فيما بعد الحبل السري (Umbilical Cord). ^(٢) وأهمية هذا المعلق تأتي من أنه:

(١) حلقة الاتصال الأولى بين الجنين وما يحمله من كيس السلى (Amnion) وكيس المح ^(٣) (Yolk Sac) وبين الغشاء المشيمي والذي سيكون المشيمة في المستقبل.

(٢) هو المهد الأول الذي تتشأ فيه الأوعية الدموية السرية المغذية للجنين، حيث أن هذا المعلق يستطيل حتى ليصبح الحبل السري الذي يربط ما بين الجنين والمشيمة. وعبر أوعيته الدموية تتم تغذية الجنين بالأغذية المناسبة، كما يحمل إليه الأوكسجين ومواد المناعة، ويحمل من الجنين إلى الأم المواد الضارة مثل ثاني أوكسيد الكربون. وعندما يتكون المعلق ينفصل غشاء السلى عن الخلايا الأكلة مما يسمح له بالتعلق بشكل واضح، ويسمح لغشاء السلى بالنمو السريع كما يسمح للجنين بحرية الحركة في كيس السلى. ^(٤)

^(١) نلاحظ هنا أن حرف المعطف (ثم) الوارد في آيات القرآن الكريم يوفر دلالة واضحة على الفترة التي تتحول فيها النطفة إلى علقة، حيث يدل هذا الحرف على انقضاء فترة زمنية حتى يتحقق التحول إلى المرحلة الجديدة، لأن حرف (ثم) يفيد الترتيب والترخي. [فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٨٩].

^(٢) Human Development as described in the Quran and Sunna , pages ٧٢-٧٣.

^(٣) كيس المح: هو كيس يجمع فيه الغذاء الذي تمتصه الخملات، ومنه يذهب إلى الجنين، ولا يستمر إلا فترة قصيرة، ثم يضم عندما تنمو المشيمة والحبل السري. [توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١١٦].

^(٤) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٢٣، بتصرف.

وينبغي الإشارة هنا إلى قضية مهمة وهي: أن كثيراً من الكتب الطبية تسمي مرحلة العلقه (الإنبات) أو (Implantation) تشبيهاً له بالنبات الذي يبدأ بضرب جذوره في الأرض، ولكن هذا المصطلح يصدق على مرحلة الحرث حيث فيها يتم عملية تعشش الببيضة وانغرازها في جدار الرحم، لا على مرحلة العلقه. (١)

ثانياً: التحول إلى شكل دودة العلقه

لاحظنا أن النطفة تكون مستديرة مثل قطرة الماء، ولكنها في هذا الطور يصبح شكلها كدودة العلقه. ويمكن أن نتبع خطوة خطوة كيف يتغير الجنين من هذا الشكل المستدير إلى شكل دودة العلقه.

قلنا سابقاً إن كتلة الخلايا الداخلية Inner Cell Mass التي يخلق الله منها الجنين قد تمايزت في مرحلة الحرث من طور النطفة إلى طبقتين: خارجية (Epiblast) وداخلية (Hypoblast). وتكون كل طبقة مثل القرص، فكأنهما قرصان متلاصقان. يكون القرصان أول الأمر مستديرين تماماً، لكن ما يلبنا أن يستطيلاً في نهاية الأسبوع الثاني حتى يأخذ شكل الكمثرى (الإجاص). (٢)

ويبدأ القرصان بالاستطالة شيئاً فشيئاً نتيجة عمليتين تحدثان في الطبقة الخارجية (Epiblast):

الأولى: ظهور الشريط الأولي (Primitive Streak)

مع بداية الأسبوع الثالث من التلقيح يظهر حز على سطح الطبقة الخارجية يزداد وضوحاً في اليوم الرابع عشر أو الخامس عشر، فيبدو كتجويف ضيق جوانبه بارزة ينمو من مؤخرة

(١) القضاء، متى تنفخ الروح في الجنين، ص: ٥٤، بتصرف.

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٢، ٢٣٤، بتصرف.

القرص الجنيني، وينتهي بعقدة تسمى العقدة الأولية (Primitive Node)، عند النقرة الأولية (Primitive Pit) ويسمى هذا الحز الابتدائي بالشريط الأولي (Primitive Streak).

فما يلبث أن يتكون الشريط الأولي حتى نجد أن خلايا الطبقة الخارجية تبدأ في الهجرة من الجزء المؤخر من الطبقة الخارجية في اتجاه الشريط الأولي لتتغمد وتغور تحت الطبقة الخارجية، حتى إن شكلها يتغير وتصبح كالتقارورة، وينتج عن ذلك أمر آخر هو في غاية الأهمية، وهي الطبقة الأولى من خلايا التخليق وهي طبقة الأندودرم (الوريقة الداخلية). وتستمر هجرة الخلايا حتى تتكون طبقة خلايا جديدة بين طبقة الإندودرم السابق تكوينها وبين الأدمة البرانية، وتسمى طبقة الميزودرم (الوريقة المتوسطة)، وهي الطبقة الثانية من خلايا التخليق، وما تبقى من خلايا الأدمة البرانية تصبح الطبقة الثالثة من خلايا التخليق وهي الإكتودرم (الوريقة الخارجية).^(١)

والشريط الأولي هو إيدان ببداية الحياة الإنسانية^(٢)، ويستمر نشاطه حتى نهاية الأسبوع الرابع حيث يبدأ في الضمور والاندثار،^(٣) ولا يبقى منه أثر إلا في العظم العصصي، وهو ما سماه الرسول ﷺ "عجب الذنب".^(٤)

(١) حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٢٤، ١٢٦، بتصرف.

(٢) بناء على ذلك منعت لجنة وارنك (Warnock) في البرلمان البريطاني إجراء التجارب وتنمية الأجنة في المختبرات بعد اليوم الرابع عشر، أي قبيل ظهور الشريط الأولي. [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٨ بتصرف]

(٣) نادراً قد يتبقى بقايا من الشريط الأولي مما يؤدي إلى حدوث أورام في المنطقة العجزية العصصية. [حامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٢٦].

(٤) سبق تعريف (عجب الذنب) في اللغة ص: ٦٤.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب " [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وشروط الساعة، باب ما بين النفتين، برقم ٢٩٥٥، (٤/٢٢٧١)، وفي رواية: "وليس من شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة "] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وشروط الساعة، باب ما بين النفتين، برقم ٢٩٥٥، (٤/٢٢٧٠)] وفي رواية البخاري: "ما بين النفتين أربعون. قال الروي لأبي هريرة: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيت. قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال أبو هريرة: أبيت. (أي أنه رفض أن يحدد مدة الأربعين هل هي بالأيام أو الأشهر أو-

والثانية: تكون الحبل الظهرى البدائى (Notochord)

ينمو من خلايا الأدمة البرانية وبالذات من العقدة الأولية شريط آخر يعرف بالحبل الظهرى (Notochord)^(١) والذي يشكل المحور الذي سيتم عليه بناء الهيكل العظمى. وهكذا أصبح لدينا جنين من ثلاث طبقات تخليقية^(٢) ومحور يتكون عليه الهيكل العظمى وذلك في تمام اليوم الثامن عشر.^(٣)

وفي اليوم السادس عشر تقريباً - عندما يبدأ تكون الحبل الظهرى - يبدأ شكل الجنين

يتحول إلى شكل العلقه^(٤) كما لاحظنا في الشكل ١٨.

- السنين) قال أبو هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ: " ثم نزل الله من السماء ماء فلبثتوا كما بنيت البقل. ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة. " [صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة الزمر وسورة النبأ، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) زمراً، برقم ٤٦٥١، (٤/١٨٨١)]. يقول الدكتور محمد البار: " وهذه الأحاديث الصحيحة المروية عن خير البرية صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله معجزة من معجزاته إذ أن علم الأجنة لم يوضح أهمية الشريط الأولي البالغة في تكوين الجنين وأنه منه ينشأ إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو أمر لا يعرفه إلى اليوم إلا المختصون بهذا الفرع من العلوم الطبية ". [البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٩-٢٤٠].

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٣٦، بتصرف.

(٢) تحول اللوح الجنيني ذي الطبقتين (Bilaminar Disc) إلى لوح جنيني ذي ثلاث طبقات (Trilaminar Disc) هو من أهم ما يميز مرحلة العلقه ذلك لأن أعضاء الجنين ستتكون من هذه الطبقات الثلاث: فمِن الطبقة الخارجية (Ectoblast) يتخلق لاحقاً الجلد ومحتوياته، والجهاز العصبي، والنسيج المخاطي للنفم والشفتين والثثة وشبكة العين، وغيرها من الأعضاء. ومن الطبقة الوسطى (Mesoblast) ومنها يتخلق لاحقاً الهيكل العظمى، والمضلات، والجهاز البولي، والتناسلي، والدم، وغيرها من الأعضاء. ومن الطبقة الداخلية (Endoblast) يتخلق لاحقاً الكبد، والبنكرياس، والأغشية المبطننة للجهاز الهضمي والتناسلي، وغيرها من الأعضاء. [الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥٢، وانظر: دليل الأنفس، ص: ١١٤، وطيفور، روعة الخلق، ص: ٧٨، البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٥٩-٢٦١].

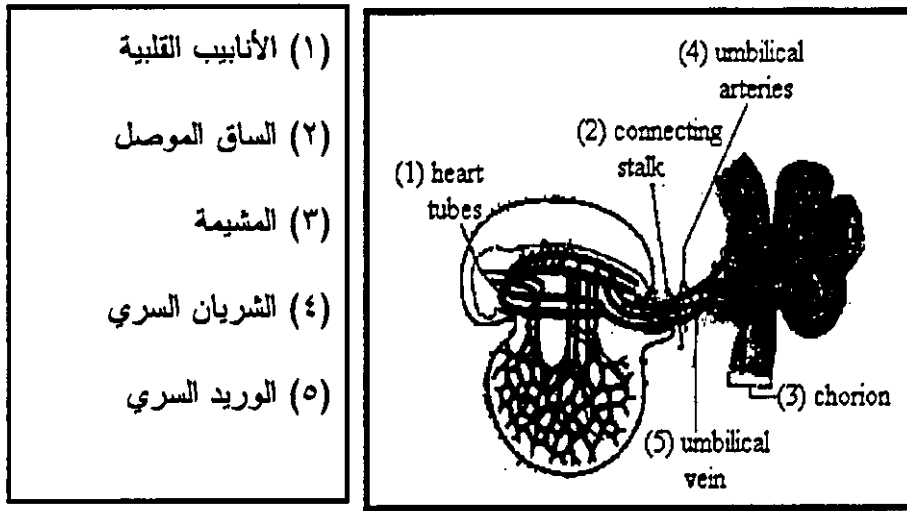
(٣) حامد، آيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٢٦، بتصرف قليل.

(٤) (بتصرف) pg.٧٣ Human Development as Described in the Quran and Sunna ,

ثالثاً: يبدأ القلب ينبض:

القلب والأوعية الدموية من الأعضاء الأولى التي تنمو في الجنين، ففي المراحل الأولى لظهور الطبقات الثلاث في الورقة الجنينية يكون أول ما يظهر في الجنين صفيحة القلب البدائية. (١)

وقد اعتبرت الموسوعة الأمريكية أهم ما يميز الأسبوع الرابع هو التطور الذي يحصل في تكوين جهاز القلب. تقول الموسوعة إن القلب الذي رغم بداءته، فهو جهاز عامل بنهاية الأسبوع. ويمكن أن يرى القلب كأنبوبة بسيطة فيها انبساط وانقباض، مؤكدة بوضوح التطور المبكر لغرف القلب، فالقلب ينبض في هذا الوقت، والدم يجري خلال الجنين، عبر أوعية بدائية في المشيمة والكيس المحي. (٢) [انظر الشكل ٢٠]



الشكل ٢٠: (٣) صورة تبين الدم وهو يجري خلال الجنين

في مرحلة العلقة عبر أوعية بدائية في المشيمة

(١) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٢٣.

(٢) المصدر السابق نقلاً عن Encyclopedia Americana ، (١٠/٢٩٢).

(٣) Human Development as Described in the Quran, Sunna, and Modern Science, P٩. ٣٥.

وفي اليوم الثاني والعشرين من الإخصاب تقريباً يبدأ القلب في النبض، ومما يثير الدهشة والعجب، بالإضافة إلى هذا الوقت المبكر الذي بدأ ينبض فيه قلب الجنين، أن عضلة القلب الصغيرة جداً، تبدأ في النبض حتى " قبل أن يستكمل الدماغ تكوينه، وهو العضو الذي سيحتوي على مركز توجيهه بالإبطاء والإسراع." (١)

والحقيقة أنه لا يوجد أي تفسير لهذه الظاهرة الغريبة، التي تمثل واحدة من ظواهر استثنائية كثيرة يقف عليها العلم في عالم الحياة دون أن يهتدي إلى تفسيرها.

وبهذا يدق القلب دقته الأولى، ثم تتابع دقاته في عد تنازلي لا يعلم رقمه النهائي الذي يكون عنده التوقف والسكون إلا الله. (٢) ويترتب على هذا الكلام أمر هو في غاية الأهمية وهو: أن الجنين قبل نفخ الروح فيه، هو كائن حي إذ أنه يتغذى وينمو منذ التلقيح، وقبل أن يصل إلى الرحم، ويعمل قلبه وينبض منذ الأسبوع الرابع تقريباً. (٣)

يقول ابن القيم: كان فيه (أي الجنين قبل نفخ الروح) حركة النمو والاعتذاء كالنبات، ولم تكن حركة نموه واعتذائه بالإرادة، فلما نفخت الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واعتذائه. (٤)

أخلص من ذلك إلى النتيجة التالية وهي أن الحياة موجودة في الجنين منذ التلقيح (أي قبل نفخ الروح)، لكنه لا روح فيه قطعاً كما تبين ذلك النصوص الشرعية، ولذلك فهو غير قادر

(١) المصدر السابق نقلًا عن كتاب الطريف والممتع في علم وظائف الأعضاء للكاتب الروسي سرغيف، ص: ١٣٨ بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٢٣-١٢٤ بتصرف.

(٣) القضاء، متى تنفخ الروح في الجنين، ص: ٢٤، بتصرف.

(٤) ابن القيم، التبيين في أقسام القرآن، ص: ٥١٣ بتصرف.

على أن يتحرك حركات إرادية، إذ أن الحركات الإرادية دليل على وجود الروح.^(١)

رابعاً: نشوء الجهاز العصبي:

يمكن أن نوجز بشكل مبسط خطوات نشوء الجهاز العصبي في النقاط التالية:

أولاً: بعد أن يتكون الحبل الظهري تنشط خلايا الإكتودرم وتتكثف وتزداد ثخانتها، فتصبح على

هيئة صفيحة عصبية سرعان ما يظهر في قاعها ميزاب في اليوم التاسع عشر.

ثانياً: تتطوي جوانب الميزاب للداخل حتى تتقابل كلتا الحافتين الجانبيتين للميزاب فتتكون طيبتان

عصبيتان.

ثالثاً: تلحم الطيبتان العصبيتان فيتكون الأنبوب العصبي.

رابعاً: ينتهي الأنبوب العصبي وتظهر ثلاثة انتفاخات تمثل الحويصلة المخية الأولية وهي المخ

الخلفي والأوسط والأمامي.

خامساً: يتمدد الطرف الخلفي للأنبوب العصبي ويصبح النخاع الشوكي.^(٢) [انظر الشكل ٢١]

خامساً: يبدأ جهاز الدوران في التخليق بصورة بدائية:

ففي هذه المرحلة تتخلق الأوردة والشرايين الذاهبة والآتية إلى الزغابات المشيمية.^(٣)

يقول الدكتور عدنان الشريف: "هذا ما فصله وبينه العلم لاحقاً في القرن العشرين، وهذا ما

أجمله المولى في قوله عز وعلا: ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾، أي أن بدء تخلق أعضاء الإنسان

يبدأ منذ طور العلق، وهذا إعجاز علمي قرآني، فالعلم لم يعرف إلا في القرن العشرين أن بدء

تخلق الأعضاء في الجنين كالجهاز العصبي والقلب، والأوعية الدموية، والدم، يبدأ في طور

^(١) انظر: البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٤٥، وابن القيم، التبيين في أقسام القرآن، ص: ٣٣٩، ٣٥١.

^(٢) حامد، الآيات المعجزة في رحلة الإحجاب، ص: ١٢٩-١٣٠، بتصرف.

^(٣) النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٤٢.

العلة ثم تكتمل لاحقاً في مرحلة التسوية. من هنا ندرك لماذا سمى المولى أول سورة من كتابه

الكريم بالعلق، ربما لتتوقف عند المعاني الإعجازية لطور العلة، والله أعلم." (١)



الشكل ٢١ (٢)

بفحص الجنين في هذه المرحلة وعمره ثلاثة أسابيع نجد أن هناك انتفاخاً في مقدمة التجويف العصبي ويمثل مستقبلاً المخ الأمامي ويقع تحته منطقة القلب والأفواس البلعومية التي سوف ينشأ منها الوجه والعنق والأذن الداخلية. وبفحص الأنبوب العصبي نجده مفتوحاً عند المقدمة والمؤخرة ولكنه مصمتاً في الوسط وذلك لأن الظهر وجذع الجسم ينشأ في هذه المنطقة.

(١) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥٣.

(٢) حامد، الآيات العجيب في رحلة الإنجاب، ص: ١٣٢.

المطلب الثاني: مرحلة المضغة

قد ورد ذكر المضغة في القرآن الكريم ثلاث مرات في موضعين على النحو التالي:

١. قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة

ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى

أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل

العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ (١).

٢. وقال سبحانه: ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا

العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٢).

وحسب المراجع العربية، نجد أن كلمة (مضغة) لها عدة معانٍ:

الأول: هو شيء لاكته الأسنان. (٣)

والثاني: هو الشيء الصغير من المادة، مأخوذ من قولنا: مضغ الأمور، أي صغارها. (٤)

والثالث: هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ. (٥)

فأي هذه المعاني هو المراد من المصطلح القرآني (مضغة)، ولأي مدى يمكن أن تتطابق هذه

المعاني اللغوية مع ما توصل إليه علم الأجنة؟

الصحيح - والله تعالى أعلم - أن كل هذه المعاني اللغوية تتطابق مع المصطلح القرآني. وقد

أوضح علم الأجنة الحديث مدى دقة اختيار القرآن الكريم لتسمية (مضغة) من حيث ارتباطها

(١) سورة الحج، آية ٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٥ / ٣٣٠).

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مضغ)، (١٣ / ١٣٠).

(٥) المصدر السابق، مادة (مضغ)، (١٣ / ١٣٠).

بالشكل الخارجي للجنين، وتركيباته الداخلية الأساسية. وهذه مجموعة من النقاط تبين لنا مدى تطابق تعبير (مضغة) مع المعاني اللغوية:

أما المعنى الأول وهو: شيء لاكته الأسنان، فنجد ما يلي:

١. أنه بعد تخلق الجنين والمشيمة، فإن الجنين يتلقى الغذاء والطاقة، وبذلك تتزايد عملية النمو بسرعة، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسماة الفلقات (Somites)، والتي تتكون منها العظام والعضلات. ونظراً لتعدد الفلقات التي تتكون، فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها طبقات أسنان واضحة، وتبدو أنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبخ الأسنان في شكل مادة تمضغ حين لوكها، وذلك للتغير السريع في شكل الجنين، ولكن آثار الطبخ أو المضغ تستمر ملازمة، فالجنين يتغير شكله الكلي، ولكن التركيبات المتكونة من الفلقات تبقى.

٢. كما أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث بها انتفاخات وتنتيات، فإن ذلك يحدث للجنين تماماً.

٣. كما أن المادة الممضوغة تستدير قبل أن تُبلع، فإن ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوساً شبيه مستدير مثل حرف (C) بالإنجليزية.

وأما المعنى الثاني وهو: الشيء الصغير من المادة، فإن هذا المعنى ينطبق على الحجم الصغير للجنين. ففي نهاية هذه المرحلة يكون طول الجنين حوالي (١ سم)، وبالرغم من أن جميع أجهزة الجنين تتخلق في مرحلة المضغة، فإن ذلك يكون في صورة برعم.

وأما المعنى الثالث للمضغة وهو: اللحم^(١) الصغيرة قدر ما يمضغ، فهذا المعنى ينطبق على

(١) يقول الدكتور شرف القضاة: " لا صحة لما قيل إن المضغة هي قطعة لحم، لأنه لا يوجد نص في القرآن أو السنة الصحيحة يفسر المضغة بذلك، ولأن مرحلة اللحم مرحلة متأخرة، وتتصل الآية على أنها تأتي بعد المضغة وبعد العظام، فهي في المرحلة السادسة وليست الرابعة." [القضاة، د. شرف، متى تلتفخ الروح في الجنين، ص: ٥٥-٥٦]. فالمضغة وإن كانت تشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ، إلا أنها ليست لحماً. إنما هي خلايا متلاصقة وظرفيتها تكوين اللحم والعظم والجلد والشعر والأسنان وكل ما يكون الجنين من أعضاء وأعضاء. [صدقي، نعمت، معجزة القرآن، ص: ١٤٤-١٤٥، بتصرف].

الجنين أيضاً إذ أن الجنين في نهاية هذه المرحلة يكون طوله (١ سم) كما ذكرنا، وهذا تقريباً هو أصغر حجم لمادة يمكن أن تلوكها الأسنان. أما في المرحلة السابقة (مرحلة العلقه) فقد كان حجم الجنين صغيراً (٣,٥ ملم) طويلاً، وهو حجم لا يتيسر مضغه. (١)

أطوار المضغ:

يقول تعالى: ﴿ يا أيها الناس أن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مما نشاء إلى أجل مسمى ﴾. (٢)

توضح لنا هذه الآية الكريمة أن هناك طورين للمضغ هما:

١- طور المضغ المخلقة ٢- طور المضغ غير المخلقة

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾، ويمكن أن

نلخص أقوال العلماء في معنى هذه الآية فيما يلي:

المذهب الأول: قال بعضهم: هي من صفة النطفة، فيصير معنى الآية: فإنا خلقناكم من نطفة مخلقة وغير مخلقة. أما النطفة المخلقة فهي ما كان خلقاً سوياً، وأما غير المخلقة فما دفعته الأرحام من النطف وألقته قبل أن يكون خلقاً. وإنما دعا بعض المفسرين إلى القول بهذا الوجه، ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك الأرحام بكفه، فقال: يا رب مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قيل غير مخلقة، لم يكن نسمة وقذفها

(١) فياض، الآيات العجيب في رحلة الإنجاب، ص: ٩١-٩٤، بتصرف.

(٢) سورة الحج، آية ٥.

الرحم نماءً، وإن قيل مخلقة قال: يا رب، ذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ وما الأثر؟ وما الرزق؟
وبأي أرض تموت؟" (١)

وقد وجد الألوسي لهذا القول تأويلاً فقال: " والمراد أنهم خلقوا من جنس هذه النطفة
الموصوفة بالتامة والساقطة، لا أنهم خلقوا من نطفة تامة ومن نطفة ساقطة، إذ لا يتصور الخلق
من النطفة الساقطة وهو ظاهر. " فالآية تخاطب أناساً تم خلقهم فمضغتهم بالتأكيد لم تكن
سقطاً. (٢)

المذهب الثاني: ومنهم من قال إنها من صفة المضغة لكنهم اختلفوا في تأويل (مخلقة وغير
مخلقة).

١. قيل: المخلقة المستبينة الخلق، أي مضغة مستبينة الخلق مصورة، ومضغة لم يستبن خلقها
وصورتها بعد، والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من
الأعضاء، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً. (٣) وهذا القول اختاره الألوسي، والقرطبي، (٤)
والشوكاني، (٥) وأبو السعود، (٦) وابن عاشور، (٧) والصابوني، (٨) وعفيف طبارة، (٩) وغيرهم.

(١) أخرجه الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، (١ / ٢٦٧-٢٦٨).

(٢) الألوسي، روح المعاني، (١٧٣/١٧).

(٣) المصدر السابق، (١٧٣/١٧).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨/١٢).

(٥) الشوكاني، فتح القدير، (٤٣٦/٣).

(٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ٣٦٧).

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٧٨/١٧).

(٨) الصابوني، صفوة التفاسير، (٢٥٧/٢).

(٩) طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح القرآن - تفسير جزء الأنبياء، دار العلم للملايين، (ط١، ١٩٩٦)، ص: ٥٦.

- قال ابن الأعرابي^(١): (مخلّقة): قد بدأ خلقها، و(غير مخلّقة): لم تصوّر.
- وقال ابن زيد^(٢): المخلّقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير المخلّقة التي لم يخلق فيها شيء.
- وقال ابن العربي^(٣): إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلّقة، لأن الكل خلق الله تعالى، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى: «ثم أنشأناه خلقاً آخر»، فذلك ما قال ابن زيد. وقد رد القرطبي على كلام ابن العربي حيث قال: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقاً بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق، ولهذا قال تعالى: «ثم أنشأناه خلقاً آخر» والله أعلم.^(٤)
- يقول ابن عاشور: أشار إلى أطوار تشكّل تلك المضغة، فإنها في أول أمرها تكون غير مخلّقة، أي غير ظاهر فيها شكل الخلقة، ثم تكون مخلّقة. والمراد تشكّل الوجه ثم الأطراف. ولذلك لم يذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة. وإذا قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق تعيّن أن كلا

(١) هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله مولى بني هاشم، من أهل الكوفة، ولد سنة ١٥٠، صاحب اللغة، قال أحمد بن يحيى: انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً، وكان ثقة، توفي سنة ٢٣١. [الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، (ت. ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت. (٢٥٢/٥-٢٥٣)، بتصرف.]

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد، شهاب الدين، أبو العباس، فاضل دمشقي من علماء الحنابلة، له (محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي)، و(تحفة الساري إلى زيارة تميم الداري) و(ديوان كتب) و(اختصار سيرة ابن هشام). [الزركلي، الأعلام، (٢٣٠/١)].

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربي، من حفاظ الحديث، ولد في اشبيلية سنة ٤٦٨، برع في الأنب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنغ كتباً في الحديث والفقه والأنب والتفسير والتاريخ، ولي قضاء لشبيلية ومات سنة ٥٤٣. [الزركلي، الأعلام، (٢٣٠/٦)].

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨/١٢).

الوصفين لازمان للمضغة. فلا يستقيم تفسير من فسر غير المخلّقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت. والتخليق صيغة تدل على تكرير الفعل، أي خلقاً بعد خلق، أي شكلاً بعد شكل.^(١)

٢. وقيل: المخلّقة: التامة الخلقة، وغير المخلّقة: السقط قبل تمام خلقه. وهذا القول اختاره الإمام الطبري وابن جزّي والثعالبي. قال أبو جعفر بن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلّقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير المخلّقة: السقط قبل تمام خلقه لأنّ المخلّقة وغير المخلّقة من نعت المضغة، والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير، وذلك هو المراد بقوله: «مخلّقة وغير مخلّقة» خلقاً سوياً، وغير مخلّقة: بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوير، ولا ينفخ الروح.^(٢)

وقال الثعالبي: قوله (مخلّقة) معناه متممة، و(غير مخلّقة) غير متممة، أي: التي تسقط، قاله مجاهد، فاللفظة بناء مبالغة من خلق، ولما كان الإنسان فيه أعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق، حسن في جملته تضعيف الفعل لأن فيه خلقاً كثيراً.^(٣)

٣. وقال الزمخشري: المخلّقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب. يقال: خلق السواك والعود، إذا سواه وملسه، من قولهم: صخرة خلقاء إذا كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المضع متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم.^(٤) قال الشنقيطي: وهذا المعنى الذي ذكره الزمخشري معروف في كلام العرب،

^(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٨/١٧).

^(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١١٧/١٧).

^(٣) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي"، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر)، (٧١/٣).

^(٤) الزمخشري، الكشاف، (١٤٥/٣).

تقول العرب: حجر أخلق: أي أملت مصمت لا يؤثر فيه شيء وصخرة خلقاء بينة الخلق:
أي ليس فيها صم، ولا كسر. (١)

المذهب الثالث: ومنهم من قال إنها من صفة السقط.

قال مجاهد: هو السقط مخلوق وغير مخلوق. (٢)

وقال ابن كثير: "... ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصوّر منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقّيتها وقد صارت ذات شكل وتخطيط، ولهذا قال تعالى: ﴿ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾، أي: كما تشاهدونها ﴿لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾، أي: وتارة تستقر في الرحم لا تلقّيتها المرأة ولا تسقطها. (٣)

رابعاً: وقيل إن قوله تعالى: (المخلقة وغير المخلقة) يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط، أي منهم من يتم الله سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع، ومنهم من يكون خديجاً ناقصاً غير تام. (٤)

وقيل: المخلقة أن تلد المرأة لتتمام الوقت، وغير المخلقة السقط. ذكره البغوي. (٥)

(١) الشنقيطي، محمد بن الأمين بن المختار الجكني، (ت. ١٣٩٣)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥-١٩٩٥)، (٢٤/٥).

(٢) مجاهد بن جبر المخزومي التابعي، أبو الحجاج، تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحم الطاهر، المنشورات العلمية، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر)، (٤١٩/٢).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٠٦/٣).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨/١٢).

(٥) البغوي، معالم التنزيل، (٢٧٥/٣).

وقيل: إن المخلّقة ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حياً لتمام. وغير المخلّقة ما أسقط غير حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه. ^(١) هذا معنى قول ابن عباس: المخلّقة ما كان حياً، وغير المخلّقة السقط. وأنشد:

أفي غير المخلّقة البكاء فأين الحزم ويحك والحياء ^(٢)

المناقشة والترجيح:

والراجح - والله تعالى أعلم - أنّ (مخلّقة وغير مخلّقة) من صفات المضغّة لا النطفة، إذ لا يتصور أن يُخلق الإنسان من النطفة الساقطة، ثمّ إنّ الآية الكريمة قالت: (مخلّقة) وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خُلق خلقاً بعد خلق، والنطفة لا يمكن وصفها بكلمة (مخلّقة) وإنّما يمكن وصفها بكلمة (مخلوقة).

ثمّ إنّ التفسيرات العلمية الحديثة للمخلّقة وغير المخلّقة تشترك في شيء واحد وهو وصف المضغّة الواحدة بالوصفين معاً باعتبارين، وهذا يُسقط قول من فسّر المضغّة غير المخلّقة بالسقط.

ويمكن إجمال التفسيرات العلمية الحديثة للمخلّقة وغير المخلّقة فيما يلي:

المعنى الأول: أنّ المخلّقة إشارة إلى الجزء من المضغّة الذي يتكوّن منه الجنين الفعلي وهو الورقة الجنينية، وغير المخلّقة هو الجزء الآخر الذي يتكون منه الحبل السري والمشيمة (الذين يكتمل تكوينهما في طور المضغّة)، فهو يساهم في تخلق الجنين لوظيفته الغذائية، لكن لا يتخلّق

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت. ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤، (٤٠٦/٥-٤٠٧).

(٢) المصدر السابق، (٤٠٧/٥)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨/١٢).

منه أي شيء من الجنين.^(١) ويرى الدكتور نعمت صدقي أن سبب تقديم الله تعالى المضغة المخلّقة على غير المخلّقة لأنها الجنين.^(٢)

المعنى الثاني: أن المخلّقة هي الخلايا التي تم تخلّقها في المرحلة الجنينية، وغير المخلّقة هي تلك الخلايا التي تبقى في المضغة كخلايا خام. ففي طور المضغة تتمايز الخلايا، فتظهر خلايا متخصصة كالخلايا العصبية والقلبية والدموية وغيرها، لتشكل الخلايا المخلّقة التي ستكون مختلف أعضاء الجنين، وتبقى خلايا غير متخصصة، هي الخلايا غير المخلّقة أو ما ندعوه علمياً بخلايا الاحتياط، وعملها أن تتحول إلى خلايا متخصصة، تحل محل المتخصصة عندما تموت هذه.^(٣)

المعنى الثالث: أن بعض أجزاء المضغة يظهر فيها التخليق قبل الأجزاء الأخرى، فتكون المضغة في أولى مراحلها، مخلّقة في أجزاء وغير مخلّقة في أجزاء، ثم يعم التخليق بعد ذلك كل الأجزاء.^(٤) فلو نظرنا إلى الجنين خلال مرحلة المضغة لوجدنا أن الطبقات التخليقية الثلاث التي يتكوّن منها الجنين تبدأ في هذه المرحلة في التشكل إلى الأعضاء والأجهزة المختلفة،^(٥) وهذا لا يحدث في وقت واحد، بل إنه يستغرق بعض الوقت، ولهذا سيكون-في أي وقت نراقب

(١) توفيق، دليل الأنفس، ص: ٣٥٥ (بتصرف)، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥٥ (بتصرف).

(٢) صدقي، معجزة القرآن، ص: ١٤٦-١٤٧، بتصرف.

(٣) توفيق، دليل الأنفس، ص: ٣٥٥، والشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥٥، وانظر: النعيمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٤٣ وحامد، الآيات العجائب في رحلة الإنجاب، ص: ١٥٤، والبار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠٩.

(٤) توفيق، دليل الأنفس، ص: ٣٥٥.

(٥) لذلك يعتبر أول شهرين من الحمل فترة حساسة جداً بالنسبة لنمو الجنين وذلك لما يمكن أن يحدث من أضرار نتيجة العوامل الخارجية التي قد يتعرض لها الجنين خلال هذه الفترة التي يبدأ خلالها تكوين أعضاء الجسم المختلفة. فإذا ما تعرض الجنين لأي مواد ضارة تتناولها الأم أو تتعرض لها، أدى ذلك إلى عدم تكون أعضائه بالصورة السليمة مما قد يؤدي إلى ولادة طفل مشوه. [الرقعي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٢]

فيه هذا الجنين - هناك بعض من هذه الطبقات قد تميز إلى الأعضاء المختلفة، في حين ما يزال البعض لم يصل إلى هذه المرحلة من التشكل والتميز بعد.^(١)

المعنى الرابع: أن الجنين في طور المضغة هو مخلوق وغير مخلوق بمعنى أن تخلقه قد بدأ ولكن لم يكتمل بعد، ذلك أن بعض أعضاء الجنين كالعينين والأذنين والقلب والجهاز العصبي وغيرها يبدأ تكونها في طور المضغة، إلا أن تخلقها لا يكتمل إلا لاحقاً في مرحلة التسوية.^(٢)

المعنى الخامس: "أن بعض الأجزاء في أثناء مدة تطور الجنين، تبدو غير متناسبة مع ما سيكون عليه الفرد في المستقبل، على حين تظل أجزاء أخرى متناسبة. ذلك هو معنى كلمة (مخلوق)."^(٣)

أهم ما تتميز به مرحلة المضغة:

أولاً: اكتمال ظهور الكتل البدنية (Somites)

مع نهاية الأسبوع الثالث يزداد سمك الطبقة المضغية الوسطى، وتنقسم إلى أجزاء صغيرة تعرف بالأزواج الفلقية، حيث يظهر الزوج الأول منها في نهاية الأسبوع الثالث.^(٤) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نهاية الأسبوع الثالث تعتبر من ضمن مرحلة العلقة، لأن مرحلة المضغة تبدأ في اليوم ٢٦-٢٧، مما يعني أن ظهور الكتل البدنية يكون في نهاية مرحلة العلقة لا في أول مرحلة المضغة. ففي آخر يومين من مرحلة العلقة، تبدأ العلقة في اتخاذ بعض خصائص المضغة، التي من ضمنها ظهور الكتل البدنية. في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين

(١) الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٢.

(٢) الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، ص: ٥٥.

(٣) بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ص: ٢٣٢.

(٤) الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٠.

تنمو طبقة تسمى الكتلة بجانب المحور (Paraxial Mesoderm) بسرعة على جانبي محور الجنين وتلامس الميزاب العصبي (Neural Groove).

وتبدأ هذه الكتلة في الظهور من جهة الرأس بعد الصفيحة سائلة القلب (Prochordal Plate). وتظهر كتلة على كل جانب ثم يتوالى ظهورها تباعاً من الرأس^(١) فتظهر من المنطقة القفوية^(٢) ثم العنق وهكذا في اتجاه مؤخر الجسم حتى تنتهي عند المنطقة العصبية. وتظهر بهذه الكتلة جملة شقوق تقسمها إلى قطاعات تسمى الكتل البدنية على كل جانب من محور الجنين. تظهر هذه الكتل البدنية في المنطقة القفوية في تتابع زمني منظم بمعدل ثلاث بدينات يومياً ليبلغ عددها عند اكتمالها ٤٢ إلى ٤٥ كتلة على كل جانب في نهاية الأسبوع الخامس، مما يجعلها مقياساً دقيقاً لعمر الجنين في هذه المرحلة. تتوزع هذه الكتل البدنية على جانبي الحبل الظهري على النحو التالي:

المنطقة القفوية: ٤ كتل بدنية تسمى Occipital Somites

المنطقة العنقية: ٨ كتل بدنية تسمى Cervical Somites

المنطقة الصدرية: ١٢ كتل بدنية تسمى Thoracic Somites

المنطقة القطنية: ٥ كتل بدنية تسمى Lumbar Somites

المنطقة العجزية: ٥ كتل بدنية تسمى Sacral Somites

المنطقة العصبية: ٨-١٠ كتل بدنية تسمى Coccygeal Somites

(١) الملاحظ أن رأس الجنين كبير بالمقارنة مع بقية الجسم، وهذا سببه أن عملية النمو تبدأ من الرأس ونزولاً. ولك لا يمضي وقت طويل حتى يتناسب باقي الجسم مع الرأس. ورغم ذلك فإن رأس الطفل الوليد يظل يشكل نحو ربع طول الجسم، فيما هو يوازي ثمن هذا الطول لدى البالغ. [طيفور، ماجد، روعة الخلق، ص: ٨٨ بتصرف قليل].

(٢) التققا: وراء العنق. [الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(قفو)، ص: ١١٩٣].

وتتميز كل هذه الكتل البدنية (باستثناء الكتلة البدنية القفوية الأولى والكتل البدنية الخامسة والسادسة والسابعة العصبية الأخيرة التي تضرر) إلى العمود الفقري وما يكسوه من عضلات وأدمة الجلد.

ثانياً: اكتمال ظهور الأقواس البلعومية الخمسة (Pharyngeal Arches)

تبدأ هذه الأقواس البلعومية في الظهور مع ظهور الكتل البدنية في بداية الأسبوع الرابع، ثم يتوالى ظهورها حتى تبلغ خمسة أزواج من الأقواس البلعومية. وتظهر هذه الأقواس نتيجة تكون شقوق أو ميازيب (Grooves) في الطبقة الخارجية (الأكثودرم) وتتواءم في الطبقة المتوسطة (الميزودرم).

ويساهم ظهور هذه الأقواس في إعطاء الحميل في هذه المرحلة وصف المضغ. ومن القوس البلعومي الأول (Mandibular Arch) يخلق الله الفك العلوي والسفلي وبذلك يبدأ تكوين الوجه. ويسمى القوس البلعومي الثاني بالقوس اللامي (Hyoid Arch). أما بقية الأقواس فتعرف بأرقامها (أي الثالث والرابع والخامس).

يقول الدكتور حمد الرقعي: "يعتبر مصطلح المضغ أكثر ملاءمة للمعنى من تلك التسميات التي يطلقها علماء الأجنة على هذه المرحلة والتي ما تزال سائدة حتى وقتنا الحاضر، إذ تعرف هذه المرحلة باسم مرحلة الأزواج الفلقية (Somite Period of Embryo). فهذه التسمية لا تشير إلا إلى تلك الفتحات التي يتكون منها الجهاز العصبي والعظام والجهاز الهضمي والعضلات، في حين تتجاهل هذه التسمية أزواجاً أخرى من الفتحات تعرف عند علماء الأجنة بقوس الأزواج الخمسة والتي تظهر كقوس يتكون من خمسة أزواج تظهر في الأسبوع الرابع ويتكون منها الوجه والأذن والرقبة، وهذه الفتحات لا يشار إليها في التسمية السائدة الآن،

رغم أنها تمثل علامة هامة في هذه المرحلة من مراحل تطور الجنين، في حين تأتي كلمة مضغة التي وردت في القرآن الكريم مناسبة جداً للإشارة إلى هذه المرحلة^(١)

وبناء على ذلك أرى- والله تعالى أعلم - أن كلمة (مضغة) أعم من أن تشير فقط إلى (حجم) الجنين،^(٢) كما أنها أعم من أن تشير فقط إلى (شكله).^(٣) إن هذه اللفظة الواحدة تصف لنا الجنين بإيجاز معجز ساهر بالنسبة إلى:

- ١- شكله (تكون الكتل البدنية) .
- ٢- حجمه (مقدار ما يمضغ).
- ٣- قوامه (يبدأ بالإنحناء كاللقمة الممضوغة).^(٤)

(١) الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص: ٧٠-٧١.

(٢) كما كان المفسرون القدامى يعتقدون حيث اعتبروا أن المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم. انظر: الشوكاني، فتح القدير، (٣ / ٤٣٦)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣ / ٢٠٦)، والأوسمي، روح المعاني، (١٧٣/١٧)، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٥ / ٤٠٦) والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦/١٢)، والقاسمي، محمد جمال الدين، (ت. ١٣٣٢)، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٧)، (٥ / ١٣٣) والزمخشري، الكشاف، (٣ / ١٤٥) والطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، (٩ / ١٨).

(٣) هذا ما ذهب إليه الأستاذ عبد المجيد الزنداني في كتابه: Quran and Modern Science, pg. ٣٦ وقد كان الزنداني- كما يقول الدكتور محمد البار- هو أول من أشار إلى أن المضغة هي شكل ما يمضغ وليس مقدار ما يمضغ. واستحسن البار هذا القول وذهب إليه الدكتور محمد البار في الطبعة الثانية من كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن حيث يقول: " كان المفسرون القدامى يصفون المضغة بأنها مقدار ما يمضغ من اللحم، وقد ذهبت إلى ذلك في الطبعة الأولى، ولكنني بعد إعادة النظر والمناقشة أرى الآن أن وصف المضغة ينطبق تمام الانطباق على مرحلة الكتل البدنية، إذ يبدو الجنين فيها وكأن أسناناً انفرزت فيه ولاكته ثم قففته." [الرقعي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٥٢].

(٤) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٩١ ، بتصرف قليل.

المطلب الثالث: مرحلة العظام

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(١). من الملاحظ أن سورة الحج عندما تحدثت عن أطوار خلق الإنسان لم تذكر طور العظام. وبناء على ما تقدم فإن الحديث عن الطور العظمي يكون من خلال آية سورة (المؤمنون) حيث يقول سبحانه: ﴿ فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ﴾.

قال الشوكاني: أي جعلها الله متصلبة لتكون عموداً للبدن على أشكال مخصوصة.^(٢) وقال ابن كثير: يعني شكلناه ذات رأس ويدين ورجلين بعظامه وعصبتها وعروقها، وفي الصحيح: " كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب "^(٣) قال ابن عباس: وهو عظم الصلب.

ففي هذه المرحلة من أطوار خلق الجنين تتحول المضغة إلى العظام، ولكن السؤال الذي يخطر في البال هو: هل تتحول المضغة كلها إلى العظام، أم جزء منها فقط؟ ذكر الأولوسي قولين للمفسرين:

الأول: أن التحويل يكون في المضغة كلها.

الثاني: أن التحويل يكون ببعضها، وبعضها الآخر تتكون منه الأجزاء الداخلية.^(٤)

(١) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، (٤٧٧/٣).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص: ١٦٤ - ١٦٥.

(٤) الأولوسي، روح المعاني، (٢١/١٨)، بتصرف.

والذي يبدو الآن متفقاً مع ما كشفه علم الأجنة، أن التحول يكون لبعض المضغعة، فإن جزءاً منها هو الذي يتحول إلى عظام. فمصدر الجهاز العظمي والعضلي والجلدي واحد في الورقة الجنينية وهو الورقة الوسطى (الميزودرم)،^(١) وهذه الطبقة هي جزء من الورقة الجنينية وليس كلها. ونجد دقة التعبير القرآني في استعمال كلمة (فخلقنا) لوصف عملية التحول من مرحلة المضغعة إلى العظام.

يقول الرازي معللاً التعبير بخلقنا: " وسمي التحويل خلقاً لأنه تعالى يفني بعض أعراضها ويخلق أعراضاً غيرها فسمي خلق الأعراض خلقاً، وكأنه سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة. " (٢)

ونلاحظ أيضاً أن القرآن الكريم اعتبر مرحلة العظام مرحلة مستقلة تلي مرحلة المضغعة. كما أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد جمع (العظام) دون غيرها مما في الأطوار لأنها متغايرة هيئة وصلابة بخلاف غيرها، ألا ترى عظم الساق، وعظم الأصابع، وأطراف الأضلاع،^(٣) فكلها مختلفة، فسبحان الخالق العظيم!

النتائج المترتبة على تكون العظام:

أولاً: التسوية

يقول تعالى: ﴿ ثم كان علقةً فخلق فسوى ﴾.^(٤)

(١) توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٢١، بتصرف.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (٤٧٧/١١).

(٣) الألوسي، روح المعاني، (٢٢/١٨)، بتصرف.

(٤) سورة القيامة، آية ٣٨.

وضحت هذه الآية الكريمة ما يحدث في مرحلتين من مراحل التخليق. فوصفت دور المضغة بكلمة (خلق) وهي دلالة كاملة وموجزة على هذا الدور إذ أن في هذا الطور تتكون جميع بدايات أجهزة الجسم كلها. ووصفت الآية دور العظام بالفعل (سوى) التي تعني المعنيين التاليين:

١. الاعتدال لقوله تعالى: ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾^(١).

٢. إختفاء التجاعيد، وهذا ما عناه الحديث الشريف الذي يأمر به الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه فيقول له: "لا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قيراً مشرفاً إلا سويته"^(٢) فكلمة (سوى) في الآية أعلاه من سورة القيامة تحتل المعنيين في دور العظام:

أما الإعتدال: ففي هذا الدور (دور العظام) يتعدل الجنين من وضعيته المعقوفة تدريجياً، وهذا ما أكدته الآية من سورة الانفطار: ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾^(٣) وأما اختفاء التجاعيد: فبعد نشوء الهيكل العضروفي لجسم الجنين تسوى التجاعيد والانتفاخات الجسمية التي كانت في دور المضغة.^(٤)

ثانياً: التصوير الآدمي

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مر بالنطفة ثنتان و اربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها."^(٥)

(١) سورة الملك، آية ٢٢.

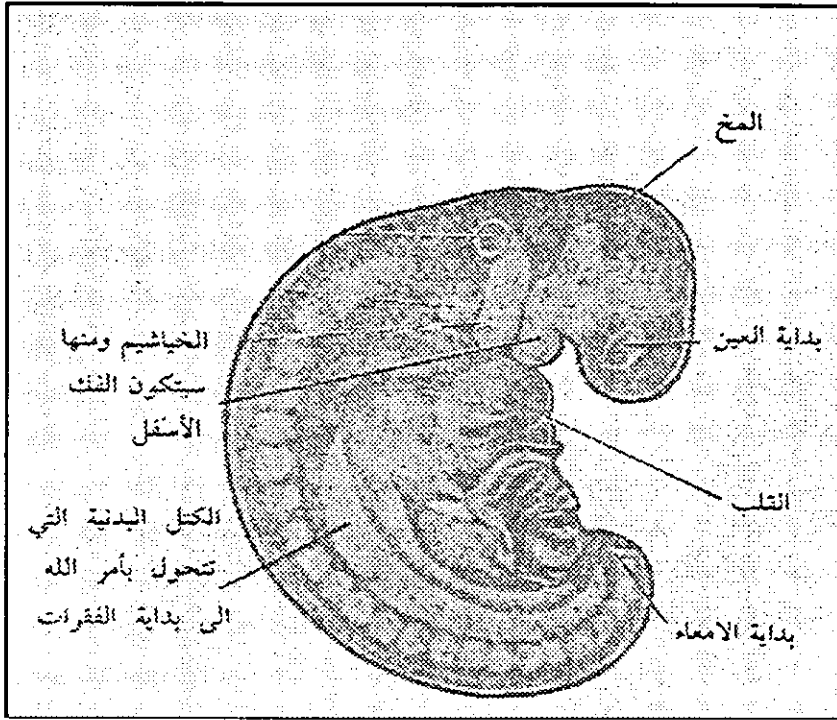
(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم ٩٦٩، (٦٦٧/٢).

(٣) سورة الانفطار، آية ٧.

(٤) النعمي، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، ص: ٥٠-٥١، بتصرف.

(٥) رواه الإمام مسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه ولجله، وعمله وشقاوته وسعانه، برقم: ٢٦٤٥، (٢٠٣٧/٤).

فالملاحظ أنّ الجنين أثناء السبع أسابيع الأولى لا يختلف مظهره أو شكله الخارجي عن شكل الحيوان [انظر الشكل ٢٢] إذ نجد له ذيل وخياشيم وزعانف وتختفي جميعها في الأسبوع الثامن، وتظهر الأذن الخارجية والعينان والأنف ويختفي الذيل، ويصبح مظهره آدمياً. (١)



الشكل ٢٢ : (٢) جنين في الأسبوع الخامس وبداية ظهور الفقرات الغضروفية

(١) أ.إ.أ. محمد السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة منبولى، القاهرة، ص: ٣٢٠، بتصرف قليل.

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٧١.

ملخص ما يحدث في مرحلة العظام:

قلنا سابقاً إن الكتل البدنية تنقسم إلى قسمين:

١. قسم خلفي يتكون منها العضلات والأدمة، وسنبحث هذا القسم بإذنه تعالى عند الكلام عن طور اللحم.

٢. وقسم أمامي تتكثف خلاياه مكونة القطاع الهيكلية. وهذا القسم هو الذي يهمننا في طور العظام.

فمن حكمته سبحانه أن جعل لخلايا هذا القطاع القدرة على التشكيل، فيحولها من خلايا رخوة هي خلايا الكتلة البدنية إلى خلايا كثيفة هي: خلايا الغضاريف (Chondroblasts) التي تكون الغضاريف، وخلايا العظام (Osteoblasts) التي تكون العظام.

وقد أثبت العلم الحديث أن العظام لا تتطور معاً في آن واحد في الجسم، وإنما هناك برنامج زمني لتكونها. فأول عظام يكتمل تكوينها -على سبيل المثال - هي عظيمات الأذن الداخلية (خلال المرحلة الجنينية)، بينما لا تكتمل مراكز النمو للعظام الطويلة للأرجل إلا بعد سن العشرين من الولادة أو أكثر. ومع ذلك فمن الممكن تحديد مرحلة مميزة للعظام، وذلك عندما يدخل الجنين مرحلة انتشار الهيكل العظمي.^(١) والعظام التي تكون الهيكل العظمي تنقسم إلى نوعين:

١. وعظام غشائية (Membranous Bones): وهي العظام التي تنمو مباشرة على رقائق غشائية، دون أن يسبقها مرحلة نشوء الغضاريف (Cartilage)، وأهم ما يمثلها عظام الجمجمة ما عدا قاع الجمجمة.

(١) فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص: ٩٨.

٢. عظام غضروفية (Cartilaginous Bones): وهي العظام التي تكون من الغضاريف أولاً ثم تمتلئ بالعظام تدريجياً. وقاع الجمجمة وبقية عظام الجسم مكونة من عظام غضروفية.

أولاً: تكوين الجمجمة (Skull)

الجمجمة تتكون من جزئين أساسيين هما:

(١) الصندوق العظمي الذي بقي الدماغ (Neurocranium) وهذا القسم يتكون من:

أ- قبة الجمجمة أو القحف (Vault of Skull)، وهذه تشكل الجزء الغشائي من الجمجمة، حيث يتكون العظم مباشرة فوق الغشاء ودون أن يتحول إلى غضاريف أولاً، وتعرف هذه بالعظام الغشائية والسبب في كون عظام القحف غشائية دون بقية عظام الجسم هو أنه عندما يكسو الجمجمة غشاء رقيق دون أن يسبق ذلك تكون الغضاريف، فإنه يبقى فراغات بين العظام. هذه الفراغات التي تسمى اليوافيخ (جمع يافوخ) تسمح بنمو الدماغ والجمجمة بعد الولادة، كما أنها تمكن الرأس من التشكل أثناء الولادة حينما يخرج من ذلك المخرج الضيق. وتبقى هذه اليوافيخ بعد الولادة لمدة عام ونصف قبل أن تقل نهائياً.

ب- قاع الجمجمة (Occiput)، والتي تتكوّن من التحام الكتل البدنية الأربعة الأولى. وهذه مكونة من عظام غضروفية، أي أنها تتحول إلى غضاريف أولاً ثم تنتشر فيها مراكز التمتعّم وتتحول بعد ذلك إلى عظم. (١) [انظر الشكل ٢٣]

يقول ابن القيم: " ولما كان الرأس أشرف الأعضاء الإنسانية وأجمعها للقوى والمنافع والآلات والخزائن، اقتضت العناية الإلهية بأن صين بأنواع من الصيانات، وذلك أن الدماغ يحيطه غشاء رقيق، وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق، ثم فوق ذلك الغشاء طبقة

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٧٣، ٢٨٣، بتصرف.

لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد ثم فوق الجلد الشعر، فخلق سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلق فوق الأرض سبع سماوات طباقاً. والمقصود من تخليقها الاحتياط في صون الدماغ من الآفات.^(١)

(٢) الجزء الوجهي (Vilcero Cranium) الذي يتكون من الوجه: وتتكون عظام الوجه أساساً من القوسين البلعوميين الأول والثاني. يتكون من القوس البلعومي الأول الفك السفلي، كما يتكون من بروز منه الفك العلوي والعظم الوجني (Zygomatic Bone)، وجزء من العظم الصدغي (Temporal Bone). ويتكون من نهاية القوس البلعومي من النتوء الفكي عظيماً الأذن الوسطى، المطرقة والسندان والركاب التي تتمتع في الشهر الرابع. وتتكون عظام الوجه بواسطة التغضرف، وهي لذلك عظام غضروفية، وليست عسائية كعظام القحف. ومن الملاحظ أيضاً أن الوجه يكون صغيراً في أول الأمر بالنسبة للقحف، وسبب ذلك هو أن الجيوب الأنفية لم تتكون بعد، فإذا ما تكونت هذه الجيوب فإن الوجه يأخذ شكله الإنساني.^(٢)



الشكل ٢٣ (٢)

(١) ابن القيم، التبيين في أقسام القرآن، ص: ٢٥٥.

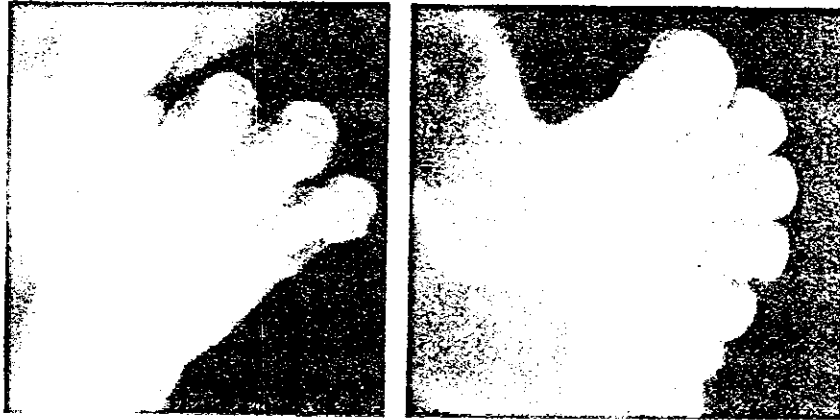
(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٨٤، بتصرف.

(٣) المصدر السابق، ص: ٢٧٣.

ثانياً: تكوين الأطراف

يبدأ نمو الأطراف مبكراً جداً، ففي بداية الأسبوع الخامس تظهر براعم من كل جانب من جوانب الحميل - اثنان علويان واثنان سفليان. ويبدأ في هذا البرعم نمو العظام الغضروفية وتتبعها الأعصاب والدماء. وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح وإن كان الطرف العلوي يسبق السفلي ببضعة أيام. وفي هذا الأسبوع أيضاً يظهر اختناقان في الطرف العلوي، واحد يحدد مكان الكوع والآخر يعين موضع الرسغ. وفي الأسبوع السابع تظهر فيه علامة توضح مكان الركبة وأخرى تعلم على موضع القدم. وتتعين بذلك مواضع العضد والساعد واليد بالطرف العلوي في نهاية الأسبوع السادس، والفخذ والساق والقدم بالطرف السفلي في الأسبوع السابع. (١) [انظر الشكل

[٢٤



اليد

القدم

الشكل ٢٤ (٢)

(١) المصدر السابق، ٢٧٣-٢٧٤، ٢٨١.

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٧٤.

ثالثاً: تكوين العمود الفقري والأضلاع

كل فقرة من فقرات العمود الفقري تمر في ثلاث مراحل:

(١) المرحلة الغشائية: حيث تحيط خلايا الميزودرم بالمقطع الهيكلي.

(٢) المرحلة الغضروفية: حيث تظهر في المقاطع الهيكلية ثلاثة أزواج من المراكز الغضروفية

في كل فقرة (ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسار) وذلك في الأسبوع السادس وهي كالتالي:

أ- مركز غضروفي للقوس الفقري (Vertebral Arch) (من كل جهة).

ب- مركز للنتوء المستعرض (Transverse Process)، ومن هذه النتوءات تتكون الأضلاع.

وتظهر الأضلاع في المنطقة الصدرية، وتشمل بذلك اثنتي عشرة فقرة صدرية يظهر منها اثنا عشر ضلعاً على كل جانب.

ت- مركز لكل نصف من جسم الفقرة (Body of Vertebra)

ويمتد هذان المركزان مكونين مركزاً واحداً.

(٣) المرحلة العظمية: في الأسبوع السابع يظهر مركزان للتمعظم (Center of Ossification)

في جسم الفقرة سرعان ما يتحدان ليكونا مركزاً واحداً للتمعظم. وفي الأسبوع الثامن يظهر

مركز للتمعظم على ناحية من القوس الفقري. [انظر الشكل ٢٥]

وتشمل عملية التمعظم ما يلي:

١. تفتت الغضروف وضموره ثم إزالته.

٢. تكلس الباحات بين الخلايا بترسيب أملاح الكالسيوم.

٣. تكوين خلايا بانية للعظام (Osteoblasts) وخلايا آكلة للغضاريف (Chondroclasts)،

ويعتبر هذا المركز مركزاً تمعظماً أولياً. (١)



الشكل ٢٥: (٢) بداية تكوين النخاع الشوكي والعمود الفقري

(١) المصدر السابق ، ص: ٢٨٠-٢٨٣.

(٢) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٧٢.

المطلب الرابع: مرحلة اللحم

لم يخض المفسرون القدامى في تفصيلات إنبات اللحم على العظم وكيف يكون ذلك، ولعل السبب في ذلك عدم توفر المعرفة العلمية الدقيقة لديهم في ذلك الوقت، وكل ما قالوه إن إنبات اللحم يكون بعد تشكل العظام من أجل كسوتها، وهنا أورد بعض أقوالهم:

قال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى ﴿فكسونا العظام لحماً﴾: أي: "أنبت الله على كل عظم لحماً على المقدار الذي يليق به ويناسبه." (١)

وقال الرازي: "وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها." (٢)

وقد بيّنت آية سورة (المؤمنون) أنّ العلقة من النطفة، وأنّ المضغة من العلقة، وأنّ العظام من المضغة، لكن قالت بعد ذلك "فكسونا العظام لحماً"، تشير بذلك إلى أن العضلات ليس أصلها من العظام وإنما أصلها من المضغة. ولفظ "كسونا" يصوّر بدقة، فعل العضلات بالعظام، فهي تكسوها دون أن تكون قد تكوّنت منها، كما يكسو اللباس جسم الإنسان، دون أن يكون قد تكوّن منه.

والعظام قوام الجسم وعليها تشتغل العضلات، والعضلات لحم لا يقوم وحده، لذا تظهر العظام أولاً لتعطي للجنين قوامه، فتستند إليها العضلات بعد ذلك وتغلّفها بطريقة رائعة، تماماً كاللباس الذي لا يقوم وحدة لطراوته وانتشائه، فإذا لبسه صاحبه ظهر فيه منسجماً متعادلاً، فالعضلات تشبه هذه الألبسة التي تفصل على قد أصحابها من طرف أمهر الخاططين، مع نفوتها في التناسق والانسجام.

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٤٧٧/٣).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (٨٥/١٢).

وعندما يموت الإنسان يتمزق هذا اللباس، وتبقى العظام عارية عنه مدة طويلة قبل أن

تتلاشى هي الأخرى. (١)

قال سيد قطب عند هذه الآية: "وهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، وتماثل الهيكل العظمي، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني." (٢)

ملخص ما يحدث في مرحلة اللحم:

الكتب الطبية لا تميز مرحلة المضغعة والعظام واللحم، نظراً لتداخل ظهور الكتل اللحمية مع بداية العظام مع اكتسائها بالعضلات، وحصول كل ذلك في وقت وجيز يستوعبه الأسبوع الرابع. فلماذا اعتبر القرآن الكريم مرحلة العظام مرحلة مستقلة تلي مرحلة المضغعة؟ والجواب- والله تعالى أعلم- أن القرآن الكريم سمى كل مرحلة بأهم ما يحصل فيها، فالغالب على هذه المرحلة هو البدء في تكوّن العظام وتميّزها داخل المضغعة، كما أن الغالب على المرحلة التي قبلها ظهور الكتل البدنية الصغيرة، وعلى التي بعدها، اكتساء العظام بالعضلات. (٣) وفي جعل القرآن الكريم مرحلة اللحم مرحلة مستقلة دليل على أن وصف

(١) توفيق، دليل الألفس، ص: ٣٥٧.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (١٦/١).

(٣) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٢١، بتصرف.

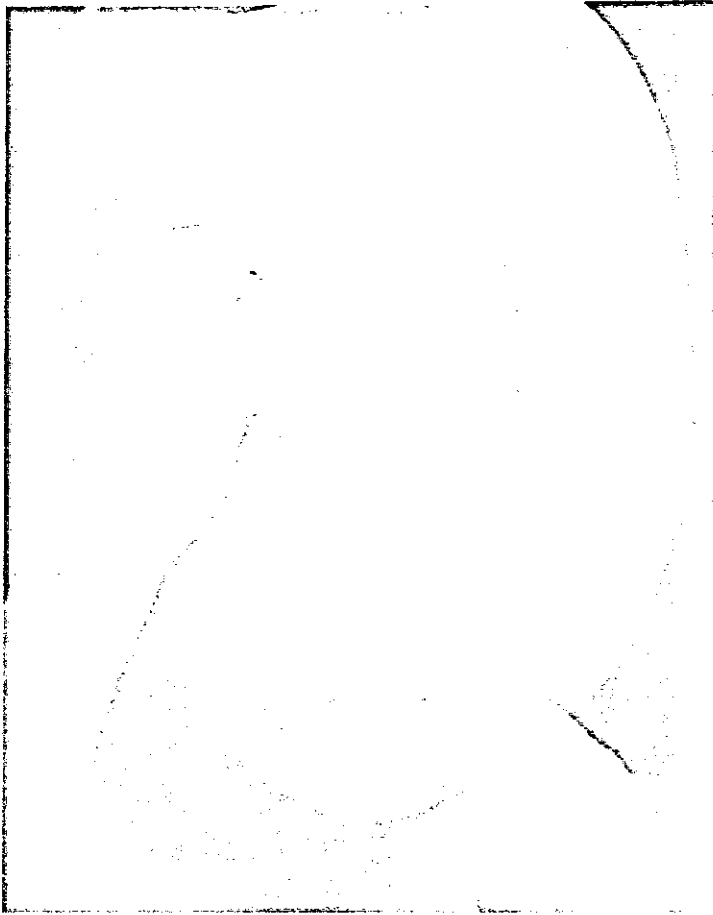
المفسرين القدامى للمضعة بأنها قطعة من اللحم غير صحيح، إذ أنّ مرحلة اللحم مرحلة متأخرة،

فسبحان الله العظيم!

وفي مرحلة اللحم ينقسم الجزء الخلفي من الكتل البدنية إلى قسمين:

الأول: آدمي، وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة. [انظر الشكل ٢٦]

والثاني: عضلي، وهو يشكل معظم عضلات الجسم. (١)



الشكل ٢٦ : (٧) طبقة دهنية كثيفة تغطي جلد الجنين من

أجل حماية جلده من عبثه بأصابعه وأظافره التي ابتدأت تتكون منذ الشهر الثالث.

(١) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٣٦٥، بتصرف قليل.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

المبحث الرابع: طور النشأة (أو الخلق الآخر)

يقول جل جلاله: ﴿ فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(١) ومعنى الإنشاء في اللغة إيجاد الشيء وتربيته.^(٢)

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾

١. قال بعضهم إنشأوه إياه خلقاً آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ إنساناً وكان قبل ذلك صورة. روي هذا القول عن ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية.^(٣)

قال الإمام الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر إنساناً وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة - التي خلق منها - إنساناً وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه."^(٤)

وقال ابن كثير: "أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب"^(٥) وقال ابن عاشور: "فإذا نفخ فيه الروح فقد تهيأ للحياة والنماء وذلك

(١) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٩٤.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٩/١٨)، والبيهقي، معالم التنزيل، (٣/٣٠٤).

(٤) المصدر السابق، (١١/١٨).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٢٤٠-٢٤١).

هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ لأن الخلق المذكور قبله كان دون حياة ثم نشأ فيه خلق الحياة، وهي حالة أخرى طرأت عليه عبّر عنها بالإنشاء.^(١)

٢. وقال آخرون: إنشأوه خلقاً آخر تصريحه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة والاعتناء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا.^(٢) روي عن الضحاك في معنى قوله تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾، قال: الأسنان والشعر. قيل أليس قد يولد وعلى رأسه الشعر؟ قال: فأين العانة والإبط؟^(٣) وروي عن ابن عباس: أن ذلك تصريح أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع إلى القعود إلى القيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ اللحم وينقلب في البلاد إلى ما بعدها.^(٤)

٣. وقال آخرون: بل عنى بإنشائه خلقاً آخر كمال شبابه. روي هذا عن مجاهد.^(٥)

٤. وروي عن الحسن قال: ذكراً أو أنثى.^(٦)

٥. وقيل إن المقصود: خروجه إلى الدنيا. روي هذا عن ابن عباس^(٧)

٦. وهناك من يرى أن الآية جاءت عامة غير مخصصة، وأنه لا تتأخر بين كل ما قيل حيث يمكن الجمع بين الأقوال.

قال الشوكاني بعد أن ذكر الأقوال في المسألة: " ولا مانع من إرادة الجميع."^(٨)

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٤/١٨).

(٢) الطبري، جمع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٠/١٨)

(٣) السيوطي، الدر المنثور، (٩٢/٦)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧٤ /١٢)

(٤) البغوي، معالم التنزيل، (٣٠٤/٣).

(٥) الطبري، جمع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٠/١٨)، والسيوطي، الدر المنثور، (٩٢/٦)، والبغوي، معالم التنزيل،

(٣٠٤/٣)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧٤ /١٢)

(٦) البغوي، معالم التنزيل، (٣٠٤/٣).

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧٤ /١٢)، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٤٩/٣)، والشوكاني، فتح القدير،

(٤٧٧/٣).

(٨) الشوكاني، فتح القدير، (٤٧٧/٣).

وقال القرطبي: والصحيح أنه عام في هذا وفي غيره من النطق والإدراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات إلى أن يموت.^(١)

ونفهم من قول الزمخشري أنه يميل إلى الجمع أيضاً حيث قال: "أي خلقاً مبيناً للخلق الأول مبينة ما أبعدها، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره - بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه - عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح."^(٢)

مناقشة الأدلة والترجيح:

بعد النظر في أقوال المفسرين أرجح - والله تعالى أعلم - أن قوله تعالى ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يشير إلى الفترة الزمنية الممتدة من نفخ الروح إلى الموت^(٣)، وهذا لا يعني أن نفخ الروح يكون بعد مرحلة اللحم مباشرة، إذ أن الآية الكريمة قالت: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ وحرف العطف (ثم) يفيد التراخي. فالآية الكريمة لم تحدد بالضبط متى ينفخ الروح في الجنين وإنما بينت أنها مرحلة متأخرة عنها. ويمكن أن أدمع هذا الرأي بالأدلة التالية:

أولاً: لو نظرنا إلى آية سورة (المؤمنون) لوجدنا ما يلي:

١. أن الله تعالى قد ربط بين مرحلة العلقة والمضغة، والمضغة والعظام، والعظام واللحم بحرف الفاء. وحرف الفاء بالإضافة إلى كونها تفيد الترتيب مع التعقيب، فإنها أيضاً تفيد السببية. فالعلقة والمضغة والعظام واللحم هي كلها مراحل يبنى بعضها على بعض، ويكون بعضها بسبب من بعض.^(٤) أما بالنسبة لحرف (ثم) فإنها لا تفيد السببية، وبالتالي فإن قوله

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٢ / ٧٤).

(٢) الزمخشري، الكشاف، (٣ / ١٨١-١٨٢).

(٣) توفيق، دليل الألفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٤، بتصرف.

(٤) رحمانى، د. أحمد، نظريات الإعجاز القرآني، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٨)، ص: ١٥١، بتصرف. و (سأشير إليه فيما بعد بـ رحمانى، نظريات الإعجاز القرآني).

تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ لم تكن نتيجة للمراحل السابقة ولم تتسبب عنها، ونفخ الروح كذلك لا يمكن أن نربطه بتطورات الجنين إنما هو سر من أسرار الله تعالى.

٢. بالإضافة إلى مراعاة النص القرآني الدقة في اختيار الحروف الرابطة التي هي (ثم) و(الفاء)، فإنها روعيت بالمستوى نفسه اختيار الأفعال الدالة التي هي (خلق + جعل + خلق مكرر ثلاث مرات + كسا + أنشأ). وقد عبر الله تعالى عن هذه المرحلة بالفعل (أنشأناه) الذي يعني إحداث الشيء وتربيته.^(١)

٣. وصفت الآية الكريمة هذه المرحلة بأنها (خلق آخر) وهذا يعني أن الجنين يختلف تماماً عما كان عليه في الأطوار السابقة. والعطف بـ (ثم) هنا ليس للتراخي الحسي فقط، بل هو لبيان الإستبعاد عقلاً، أو رتبة، لكامل التفاوت بين مرحلة ما قبل نفخ الروح، ومرحلة ما بعد نفخ الروح، فجعل الإستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي.^(٢) فلا بد أن يكون الخلق الآخر تلك الخصائص المعينة الناشئة من تلك النفخة التي ينشأ بها الجنين الإنساني.^(٣) فالجنين سيكتسب بعض هذه الخصائص في الفترة المتبقية له في الرحم ثم يكتسب بقيتها بعد الولادة.^(٤)

٤. ومما يؤكد أن الإشارة في الآية تضم أيضاً ما يتلو نفخ الروح من تميزات جسمية وعقلية، تزيد من تفرد المولود عن غيره، أن هذه الآية هي آخر طور تذكره سورة (المؤمنون). وجاء بعده: ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾^(٥)، وهذا يعني أن الآية ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ تغطي الفترة الممتدة بين نفخ الروح والموت، وقد جاء في سورة غافر تفصيل مراحل هذه

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٩٤ .

(٢) الألويسي، روح المعاني، (٢٣/١٠)، بتصرف.

(٣) رحمانى، نظريات الإعجاز القرآني، ص: ١٤٨، بتصرف.

(٤) توفيق، محمد، دليل الأئسف بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٤٠، بتصرف.

(٥) سورة المؤمنون، آية ١٥ .

الفترة^(١)، حيث قال سبحانه: ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾^(٢) .

ثانياً: تتاجى رجلان في مجلس عمر بن الخطاب وعلي حاضر فقال لهما عمر: ما هذه المناجاة؟ فقال أحدهما: إن اليهود يزعمون أن العزل هي الموءودة الصغرى. فقال علي: لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ ... الآية، فقال عمر لعلي: صدقت أطل الله بقاءك.^(٣) فلولا أن الصحابة قد فهموا أن معنى قوله تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ نفخ الروح لما قالوا: " لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات^(٤) السبع ".
ثالثاً: قولنا هذا لا يتعارض مع ما جاء في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ. بل إن حديث ابن مسعود جاء متفقاً مع ما أشار إليه القرآن الكريم، والله تعالى أعلم.

(١) توفيق، دليل الأئفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص: ١٤٠ .

(٢) سورة غافر، آية ٦٧ .

(٣) الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، (ت. ٨١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني، (٣/٢٩٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط، ١٤١١)، ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، (ت. ٧٥٠هـ)، جامع العلوم والحكم، (١/٤٩)، دار المعرفة، بيروت، (ط، ١٤٠٨) .

(٤) التارة: المرة، ترك همزها لكثرة الاستعمال. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، فصل التاء، مادة (تأر).)

الفصل الثاني: الاستنساخ

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الاستنساخ

المبحث الثاني: أنواع الاستنساخ

المبحث الثالث: دوافع الاستنساخ

المبحث الرابع: حكم الاستنساخ البشري في الشريعة الإسلامية

تمهيد

من المعلوم أن تكوّن الإنسان ينتج من التقاء الرجل بالمرأة، وحصول عملية الإخصاب والحمل ثم الولادة. وهذه العملية تعني من الناحية العلمية إجراء عملية التلقيح بين ببيضة المرأة والحيوان المنوي من الرجل.

ومعلوم أيضاً أن الببيضة خلية تناسلية أنثوية تحتوي من حيث المبدأ على ما تحويه الخلية الحية من مكونات، وكذلك الأمر في الحيوان المنوي. وفي نواة الخلية يكمن سر الوراثة، حيث تحتوي النواة على الشريط الحامل للصفات الوراثية لصاحب الخلية. وفي نواة كل خلية جسدية يوجد ستة وأربعون زوجاً من الكروموسومات، ولكن في الخلية التناسلية (الببيضة والحيوان المنوي) تحتوي النواة في كل واحدة منهما على ثلاثة وعشرين صبغياً فقط. فإذا ما تمت عملية الإخصاب بدخول الحيوان المنوي إلى الببيضة، تتحد نواة الببيضة مع نواة الحيوان المنوي في خلية واحدة، تحتوي نواتها على ستة وأربعين صبغياً، وبهذا يتكوّن الجنين في مرحلته الأولى، والتي تسمى (النفطة الأمشاج).^(١)

وعملية التنسيل أو الاستساخ ترتبط بموضوع بحثي (مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم) إرتباطاً وثيقاً، وبالتحديد بمرحلة النفطة. فالاستساخ يقوم على أساس إيجاد خلية ملقحة (أي جنين في مرحلة النفطة الأمشاج)، ولكن بدون إجراء عملية التلقيح بين ببيضة المرأة والحيوان المنوي للرجل.

^(١) أبو البصل، د. عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، (ط١، ١٤٢١-٢٠٠١)، (٦٥٣/٢-٦٥٤)، بتصرف قليل. (وسأشير إليه فيما بعد بـ أبو البصل، د. عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة).

وفي هذا الفصل سألقي الضوء على مفهوم الاستنساخ والدوافع الكامنة وراء إجراء عمليات الاستنساخ، وكذلك سأتكلم عن أنواع الإستنساخ البشري، وحكمه في الشريعة الإسلامية. نسأل الله تعالى الهداية لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المبحث الأول: تعريف الاستنساخ

الاستنساخ في اللغة مصدر معناه كتب كتاب من كتاب، والأصل نسخة، والمكتوب عنه نسخة أيضاً لأنه قام مقامه.^(١) وفي التنزيل: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٢) "أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم، وقيل: إن الله يأمر الحفظة أن تتسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم، فتأتي أفعال العباد على ذلك، فتكتبها الملائكة، فذلك هو الانتساخ."^(٣) وقد كان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول: "وهل يكون الانتساخ إلا من أصل؟"^(٤)

أما في الاصطلاح العلمي، فالاستنساخ - كما عرفه الدكتور هاني رزق، أستاذ علم الجنين في كلية الطب بجامعة دمشق - هو تشكيل كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والبيولوجية والشكلية لكائن حي آخر كفرادي توأم البيضة الواحدة^(٥) مثلاً.^(٦)

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسخ)، (١٢١/١٤)، بتصرف.

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٩.

(٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٤٠/٤).

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١٥٦/٢٥).

(٥) وإن كان هناك فرقاً شاسعاً بين أفراد توأم البيضة الواحدة وبين الأفراد المستنسخة، إذ أن التوائم تكون نتيجة إخصاب طبيعي أو صناعي، وللأفراد أب وأم معينين. أمّا في الاستنساخ، فالأم مستأجرة، والأب لا وجود له. [رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، دار الفكر، دمشق،

(ط١، ١٤٢١-٢٠٠٠)، ص: ٨٣، بتصرف قليل.

(٦) المصدر السابق، ص: ٢٠، بتصرف قليل.

"ونظراً للمطابقة بين مصدر تكوّن الجنين والجنين نفسه، من حيث الصفات الوراثية تماماً، كما في نقل الكتاب ونسخه، سميت تلك العملية بـ (الاستساخ) ^(١) وسمي الجنين أو المولود (نسخة)". ^(٢)

والاستساخ توالد لاجنسي، أي: لا يحدث فيه إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر. ^(٣)

وبيان ذلك: أن تكاثر جميع الكائنات الحية التي خلقها الله تعالى يحصل بطريقتين:

الطريقة الأولى: التكاثر الجنسي

ففي النبات تتكون البذور من تلقيح عضو التأنث في الزهور، بلقاح مذكر من الشجرة نفسها أو من شجرة أخرى من الفصيلة نفسها. وفي الحيوان والإنسان تتحد نواة ببيضة الأنثى بحيوان منوي تفرزه غدة ذكرية. فتتكون بذلك الخلية الأولى التي تنقسم إلى اثنتين، فأربع، ثم ثمان وهكذا. وتتخصص الخلايا لتكوين أعضاء متميزة في جسد الحيوان الجديد من قلب ورأس وكبد وعين ويد ورجل وغير ذلك. وهذا النوع هو الأصل والأكثر في الخلق، في الإنسان والحيوان والنبات. ^(٤) وقد قال الله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ^(٥)

^(١) طرحت كلمة الاستساخ من خلال وسائل الإعلام كترجمة لكلمة (Cloning) بالإنجليزية، مع أن المعنى الحرفي والعلمي للكلمة هو (الاستسال أو التنسيل)، والكائن الناتج عن العملية هو (نسيلة) وليس (نسخة)، إلا أن الكتب العلمية تستخدم مصطلح (الاستساخ) لسببين: - الأول: شيوعه وانتشاره في مختلف الأوساط العلمية والاجتماعية والثقافية. والثاني: تحميلة الدلالات العلمية للفظ الأصلي. [علواني، عبد الواحد، بحث بعنوان: الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق على مشارف القرن الحادي والعشرين، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٥٧، بتصرف قليل].

^(٢) أبو البصل، د. عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، (٦٥٢/٢).

^(٣) رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستساخ، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٢٠، بتصرف.

^(٤) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١)، ص: ٨، (بتصرف قليل) (وسأشير إليه فيما يأتي بـ الأشقر، محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي).

^(٥) سورة الذاريات، آية ٤٩.

وقال سبحانه: ﴿ فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾. ^(١) قال الزجاج في معنى (يذروكم فيه): " يكثركم الله بجمعه منكم ومن الأنعام أزواجاً. " ^(٢)

والطريقة الثانية: التكاثر أو التوالد اللاجنسي

هذا، ولا بد من الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن التوالد والجنس ظاهرتان منفصلتان في الأساس، ويمكن لكل منهما أن تحدث بمعزل عن الأخرى. فالتوالد هو زيادة عدد الأفراد لكائن حي ما بتكوين أفراد جديدة بدءاً من هذا الكائن الحي. أما الجنس، فيتضمن تضامياً جينات فردين اثنين، لتتشكل منظومة جديدة من الجينات، تختلف قليلاً أو كثيراً عما كانت عليه في كل من الفردين. فمثلاً نجد التوالد بغياب الجنس عند الكائنات الحية الحيوانية التي تتكاثر بالإنشطار (Fission) حيث لا يحدث أثناء ذلك فرز للجينات، كما يتم عندما ينشط الأميبة (حيوان وحيد الخلية) إلى نصفين، أو عندما تتبرعم الهيدرا لتشكل المستعمرة. أما الجنس بغياب التوالد، فنجد في الجراثيم حيث يكون بعض الجراثيم مغطى بأشعار جنسية، وبوسعه نقل بعض الجينات إلى جراثيم آخر (تعوزه الأشعار الجنسية) بوساطة جسيمات فيروسية تترايط نوعياً بأحد بروتينات الشعرة. ^(٣)

والاستساخ الذي نحن بصدد، كطريقة لزيادة عدد الأفراد، هو توالد لا جنسي من

ناحيتين:

^(١) سورة الشورى، آية ١١.

^(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٤/٣٩٥).

^(٣) رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستساخ، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٣٠-٣١، بتصرف.

الأول: أنه ألغى فيه دور الذكر في تكوين الفرد.^(١)

والثاني: أنه يتساوى النمط الجيني للفرد الذي زوّد النواة (التي تحتوي على الجينات) للفرد

المستنسخ.^(٢)

والاستساخ شائع في النباتات بطرق عرفها الناس منذ عهود قديمة، منها على سبيل

المثال:

أولاً: أن يؤخذ غصن من التين أو العنب أو الرمان مثلاً، ثم يدفن في تربة زراعية رطبة ويترك طرفه الأعلى بارزاً، ويتابع بالسقي. فإن كان ذلك في جو مناسب، فإنه يبدأ بالنمو حتى يكون شجراً كأصله تماماً.

ثانياً: طريقة التركيب: وهي أن تؤخذ من لحاء^(٣) حي من شجرة رقعة قدر الظفر فيها برعم، ثم تلتصق على عصية غصن من شجرة أخرى من الفصيلة نفسها، بعد نزع اللحاء على العصية، وتربط ربطاً محكماً. فبعد أيام قليلة يبدأ هذا البرعم في النمو بإذن الله تعالى، حتى يكون شجرة من نوع الشجرة المأخوذ منها البرعم نفسه. ثم تقطع الشجرة الأولى من فوق البرعم. وبهذه الطريقة يمكن قلب شجرة اللوز مثلاً إلى مشمش أو دراق أو برقوق أو غيرها من فصيلة اللوزيات. أما في نطاق المملكة الحيوانية فإن التكاثر بالنسخ موجود في بعض الحيوانات الدنيا، منها نجم البحر.^(٤)

(١) ولكن مما ينبغي الإشارة إليه أن إلغاء دور الذكر في تكوين الفرد لا يكون كلياً، إذ أن الشخص الذي تم أخذ خلية من جسمه لا بد وأن يكون له أب، لأن خليته تحتوي على ٤٦ كروموسوم، نصفها من الأم ونصفها من الأب.

(٢) رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستساخ، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٣٠، بتصرف.

(٣) اللحاء: " ما على العصا من قشرها " [ابن منظور، لسان العرب، مادة (لحا)، (٢٥٨/١٢)].

(٤) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث لجهادية في الفقه الطبي، ص: ٩-١٠ بتصرف.

والاستساح يحدث كذلك في عالم الإنسان، إذ أن البيضة الملقحة- ولأسباب لا يعرفها العلماء حتى الآن- تنقسم تلقائياً لتعطي توأمين متشابهين متمائلين (Monozygote)، ولا يمكن أن نفرق بينهما إلا بصعوبة نادرة، وهما عادة إما ذكران أو أنثيان، ولا يمكن أن يكونا ذكراً أو أنثى كما في التوأم الذي هو من بويضتين مختلفتين ومن خليتين ذكريتين مختلفتين. ولذلك فالتوأمين لهما التركيب الجيني نفسه، فهما متساويان ومتماثلان.^(١) إذن نلاحظ أن فكرة الاستساح ليست جديدة إذ أنه موجود في الطبيعة، وإن كان وجوده منضبطاً ضمن معايير وضعها الله تعالى.

(١) دكاش، د. بيار، مقال بعنوان: *الاستساح بين العلم والدين*، كتاب *الاستساح بين الإسلام والمسيحية*، دار الفكر اللبناني، (ط١، ١٩٩٩)، ص: ١١١-١١٢ بتصرف. (وسأشير إليه فيما يأتي بـ دكاش، د. بيار، مقال بعنوان: *الاستساح بين العلم والدين*، كتاب *الاستساح بين الإسلام والمسيحية*).

المبحث الثاني: أنواع الاستنساخ

في الحيوانات الثديية الاستنساخ نوعان:

١. الاستنساخ الجنيني (Embryo Cloning): ويسمى أيضاً (الاستنساخ بالتشطير)، لأنه يتم

بتشطير ببيضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء.

٢. الاستنساخ اللاجنسي: وهذا النمط من الاستنساخ يعرف أيضاً باسم الاستنساخ عند البالغين

(Adult Cloning) أو (النقل النووي)^(١)

النوع الأول: الاستنساخ الجنيني

"وهو الاستنساخ الذي يتم من خلية جنينية بحيث يتم شطر الجنين في مرحلة الخليتين

أو الأربع أو الثمان لتكون كل خلية منها كائناً حياً مستقلاً بذاته. ولو قيض لكل منها بيئة مناسبة

لنموه، بأن يزرع في رحم أنثى من الجنس نفسه، سواء كان رحم الأم أم غيرها، فإنه ينمو نمواً

عادياً. فإذا ولدت هذه الأجنة التي أصلها خلية واحدة كانت مما يسمى (التوائم المتطابقة)، أي

أنها متطابقة تماماً في جميع الصفات الوراثية. وقد أمكن تجميد هذه الأجنة، وأمكن بهذا حفظها

حية جاهزة للعمل لمدد قد تطول^(٢). فإذا أريد أن تنمو تعاد في الأرحام لتواصل نموها إلى أن

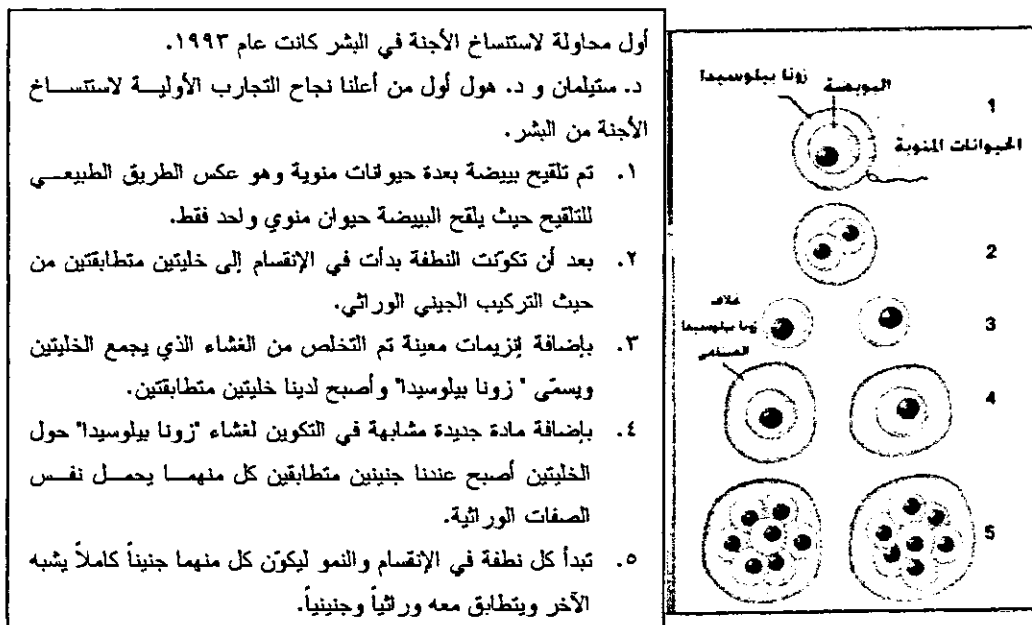
تولد ولادة معتادة."^(٣) [انظر الشكل ٢٧] "وأسهل طريقة تتم فيها هذه العملية إجراء الإخصاب

(١) نكاش، بيار، مقال بعنوان: الاستنساخ بين العلم والدين، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ١١٢ بتصرف، وقرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الاستنساخ البشري، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٣١٨ بتصرف.

(٢) يتم الاحتفاظ بالنسخ الباقية في ثلاجات تحتوي على نيتروجين سائل عند درجة ٨٠ تحت الصفر، لتكون تحت الطلب عند احتياج الأم إليها بعد عدة سنوات. [مصباح، د. عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، الدار المصرية اللبنانية، (ط٢، ١٤١٩-١٩٩٧)، ص: ٤٥-٤٦]. (وسأشير إليه فيما يأتي بـ مصباح، د. عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين)

(٣) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، ص: ١٠.

عن طريق طفل الأنبوب^(١) خارج الرحم، حيث يسهل التعامل مع الخلية الملقحة ونزح خلايا منقسمة عنها، دون التأثير عليها.^(٢) ومن هنا نلاحظ أن الفرق بين أطفال الأنابيب والاستنساخ هو أن في أطفال الأنابيب تكون التوائم نفس العمر، بينما في الاستنساخ الجنيني - نظراً لعملية تجميد الأجنة وحفظها - يمكن أن تلد المرأة توائم عدة ولكن بأعمار متفاوتة.



الشكل رقم ٢٧^(٣): خطوات الاستنساخ الجنيني

^(١) طفل الأنبوب: هو من أنواع التلقيح الصناعي حيث يتم الحصول على البويضات من المرأة جراحياً، بفتح نافذة في الخاصرة بغية الوصول إلى المبيض، حيث تستنشق البويضات، بواسطة ممص من الجريبات، والتي يبلغ عددها ما بين سبعة إلى ثمانية جريبات. توضع هذه البويضات في وسط مغذٍ، يحوي عوامل النمو وبروتينات أخرى، وكذلك البروجسترون. يضاف عندئذ السائل المنوي للأب، ويراقب الإخصاب، ومن ثم تشطر البيضة المخصبة، وعندما يصل الجنين مرحلة الخلايا الثماني يغترس في رحم الأم. ويغترس عادة أكثر من جنين للوصول إلى ولادة طفل واحد. [رزق، هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب الاستنساخ-جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٥١-٥٢، بتصرف.] من أراد التوسع في موضوع أطفال الأنابيب فليرجع إلى كتاب: أطفال الأنابيب بين العلم والشرعية، لزيد أحمد سلامة، الدار العربية للعلوم، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٦).

^(٢) أبو البصل، عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستنساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، (٢/٦٥٦).

^(٣) مصباح، د. عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، آخر الكتاب، صورة (٢-١).

النوع الثاني: الاستنساخ اللاجنسي

وهذا النوع من الاستنساخ يقوم "على أخذ الحقيبة الوراثية الكاملة على شكل نواة من خلية من الخلايا الجسدية، وإداعها في خلية ببيضية منزوعة النواة، فتتألف بذلك لقيفة تشتمل على حقيبة وراثية كاملة، وهي في الوقت نفسه تمتلك طاقة التكاثر. فإذا غرست في رحم الأم تاملت وتكاملت وولدت مخلوقاً مكتملاً بإذن الله. وهذا النمط من الاستنساخ هو الذي يفهم من كلمة (الاستنساخ) إذا أطلقت،^(١) وبهذه الطريقة تم استنساخ النعجة دوللي.^(٢)

خطوات استنساخ النعجة دوللي:

يمكن إجمال خطوات استنساخ النعجة دوللي فيما يلي:

١. أخذ خلية عادية غير جنسية من ثدي نعجة أولى.
٢. إزالة غشاءها الخارجي حتى حصلوا على نواتها الداخلية منفردة.
٣. الإتيان بببيضة غير مخصبة من نعجة أخرى، وتفرغها من نواتها الداخلية (مما يعني أنه لا يوجد كروموسومات في الببيضة).
٤. زراعة نواة الخلية المأخوذة من ثدي النعجة الأولى داخل بببيضة النعجة الثانية التي تم تفرغها من نواتها.
٥. أطلقت شحنة كهربائية لدمج النواة مع الببيضة المفرغة.
٦. أطلقت شحنة كهربائية ثانية لتحفيز الطاقة المسببة للإخصاب الطبيعي، ليبدأ بعد ذلك الانقسام التضاعفي للخلايا على النحو المألوف الذي يتم لأية بببيضة مخصبة.

(١) قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الاستنساخ البشري، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٣١٨.

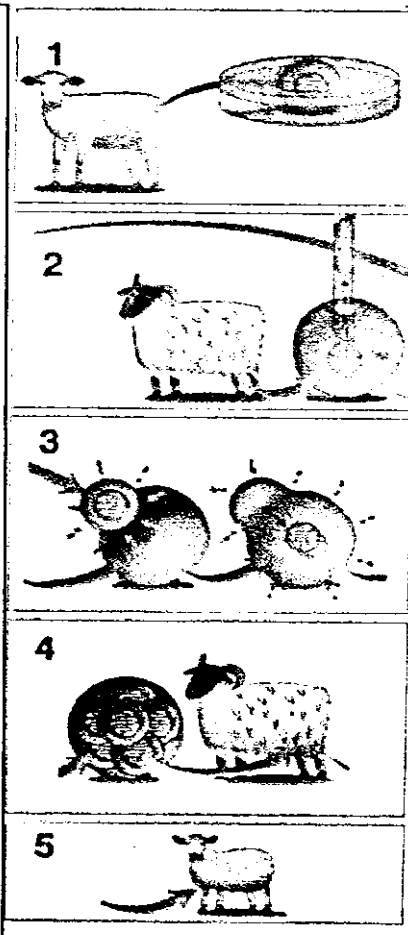
(٢) هي نعجة سكوثلندية مستنسخة أطلق عليها الفريق العلمي هذا الاسم نيماً بالنجمة الأمريكية الداعمة الصيت دوللي بارتون Dolly Parton عملاقة الغناء الريفي. [رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب: الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٥، بتصرف].

٧. نقل هذه الخلية الجديدة إلى رحم نعجة ثالثة.

٨. بعد فترة الحمل العادية للنعجة أنجبت "دوللي"، والتي جاءت شبيهة للنعجة التي أخذت منها

نواة الخلية، والتي احتوت على كامل الكروموسومات. وقد نجحت عملية استنساخ دوللي

بعد إجراء نحو ٢٧٧ تجربة. (١) [انظر الشكل ٢٨]

<p>طريقة الاستنساخ اللاجنسي:</p> <p>١. تم أخذ خلية جسدية من ندي نعجة ذات وجه أبيض وتم وضعها في مزرعة تفقر إلى المواد الغذائية اللازمة لنموها فتتكمش، ويكمن الحامض النووي بدخلها، وتحول إلى خلية جنينية مرة أخرى.</p> <p>٢. تم أخذ بيضة من نعجة أخرى ذات وجه أسود، وتم انتزاع النواة، بما تحمله من الحامض النووي بالصفات الوراثية والجينات الموجودة عليه بواسطة ماصة يبلغ سمكها سمك شعرة الرأس.</p> <p>٣. بواسطة نبضات كهربائية تم إدخال نواة الخلية الجسدية بما تحمل من كروموسومات كاملة إلى البيضة التي تعد بمثابة الوعاء الخالي من الصفات والجينات الوراثية.</p> <p>٤. بعد ستة أيام من حدوث الإقسام في الجنين المتكون تم وضعه في رحم نعجة ثالثة ذات وجه أسود.</p> <p>٥. بعد ١٥٠ يوماً، هي فترة الحمل، تم ولادة "دوللي" ذات الوجه الأبيض، والمطابقة تماماً من حيث التركيب والصفات الوراثية والجنينية للنعجة ذات الوجه الأبيض، التي تم أخذ الخلية الجسدية منها.</p>	
---	---

الشكل رقم ٢٨ (١): طريقة الاستنساخ اللاجنسي

(١) البهادلي، علي الشيخ، مقال بعنوان: حقيقة الاستنساخ، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٣٠-٣١، والقدمي، معين، الاستنساخ والإسلام، (١٩٩٨)، ص: ٤٥، بتصرف، والجميل، د. السيد، نقل الأعضاء وزراعتها - دراسة طبية دينية، دار الأمين - مصر، (ط١، ١٤١٩ - ١٩٩٨)، ص: ١٢٧-١٢٨، بتصرف.

(٢) مصباح، د. عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، آخر الكتاب، صورة (١١).

المبحث الثالث: دوافع الاستنساخ

"يمكن التحدث فيما يتعلق بالدوافع الكامنة وراء إجراء بحوث الاستنساخ عن نوعين

من الدوافع:

الأول: علمي في أساسه أكاديمي نظري بحت

والثاني: تطبيقي اقتصادي"⁽¹⁾

أولاً: الدوافع العلمية

أكتفي هنا بالإشارة إلى أهم وأبرز هذه الدوافع العلمية وهي: دراسة الخلية وتفكيك رموزها. فنحن نعرف أن جسم الإنسان البالغ يتألف من عشرة آلاف بليون خلية تقريباً. كل خلية تحوي ٤٦ صبغياً (كروموسوما) نصفها من الأب ونصفها من الأم. هذه الخلايا كلها اشتقت من خلية واحدة هي الببيضة المخصبة، وتوزعت خلال تسعة أشهر (مدة الحمل) في مجموعات خلوية متباينة، هي النسيج، لكل منها وظيفة محددة (النسيج العضلي، العصبي، الدموي، وهكذا). والنسيج تنتظم في أعضاء والأعضاء في أجهزة. وكل خلية في جسم الإنسان تحوي العدد نفسه من الكروموسومات والعدد نفسه من الجينات.

ومن خلال عملية الاستنساخ، أراد علماء الهندسة الجينية أن يجيبوا عن سؤال علمي دقيق هو: هل بالإمكان إعادة جينات الخلية المتميزة (أي الخلايا التي تمايزت إلى خلايا عصبية وعضلية ودموية وهكذا) إلى حالة غير متميزة (أي كجينات الببيضة المخصبة)، بحيث إذا ما

(1) رزق، د. هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٦٨.

وضعت في وسط مناسب استطاعت أن تعيد رواية سيرة حياتها مرة ثانية وتكوّن فرداً جديداً
كنسخة مطابقة للفرد الذي أتت منه هذه الجينات؟^(١)

ثانياً: الدوافع الاقتصادية

يمكنني إجمال الدوافع الاقتصادية وراء بحوث الاستساخ على النحو التالي:

أولاً: الحصول على نخبة من الحيوانات التي تمتلك خصائص وراثية متميزة. ومثال ذلك الأغنام والأبقار التي تنتج كميات غير عادية من الحليب، أو اللحم الأحمر، أو الصوف، أو استساخ قطع من خيول السباق.

ثانياً: "إنتاج خراف تعطي حليباً يحمل بروتينات شبيهة ببروتينات الرضاعة".^(٢) فقد كان الهدف المعلن للدكتور إيان ويلموت (Ian Wilmut)، رئيس الفريق السكوتلندي الذي استساخ النعجة (دوللي)، وجماعته من تجاربهم في الاستساخ، هدفاً اقتصادياً، بأن تتخلق عندهم بالهندسة الوراثية نعجة قادرة على إنتاج حليب بشري، ثم يستسخوا منها قطعاناً من الأغنام بالطريقة التي أنتجت بها (دوللي) ليتمكن تجفيف حليب هذا القطعان وتعليبه بشكل مسحوق، وتسويقه تجارياً، ليتمكن تغذية الأطفال به، وخاصة الأطفال الخدج.

ثالثاً: جعل الأحمال جميعاً كلها إناثاً أو ذكوراً بحسب الحاجة.

رابعاً: محاولة الاستغناء في عملية التكاثر في الحيوانات الداجنة عن الذكور، بأخذ النواة من خلية أنثوية. وفي ذلك اقتصاد في النفقات ينعكس على أثمان اللحوم والحليب بالرخص.^(٣)

(١) المصدر السابق، ص: ٢٣- ٢٤ بتصرف.

(٢) مروة، د. عدنان، بحث بعنوان: ما يطبق على الحيوان سيطبق على الإنسان، كتاب الاستساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٢٩٤.

(٣) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، ص: ١٤، بتصرف.

المبحث الرابع: حكم الشريعة الإسلامية في الاستنساخ البشري

في مواجهة هذا الحدث الخطير وقف الناس مواقف متميزة - كما هي الحالة في

مواجهة المستجدات - ومن أهم هذه المواقف نذكر هنا ثلاثة:

أولاً: موقف الرفض والمقاومة

وهم الذين يقاومون الاستنساخ ويرفضونه في جميع أشكاله وصوره، وفي مبادئه

وأهدافه، في النبات والحيوان والانسان، باعتباره أمراً عجيبياً مشبوهاً وغير مألوف.

ثانياً: موقف الانبهار

وهو انبهار وصل إلى تأليه العلم واعتباره شيئاً لا يخطئ فيه. فكانت وظيفة هؤلاء

التصفيق لكل مستجد وكل اكتشاف يقوم به العلماء ليذكروا الناس بعصمة العلم، وتأليه البحث

والباحثين.

ثالثاً: موقف السواء

وتقوم على التوقف والتأني والالتزام بالتبصر والتمييز، فلا رفض للعلم ولا تأليه

للعلماء. إن هذا الموقف هو ما يبدو أنه الراشد والقادر على الإدراك، وهو الموقف الذي نختاره

بخصوص موضوع الاستنساخ بالإضافة إلى كل المستجدات العلمية.⁽¹⁾ وعلى هذا يمكن الحكم

على الاستنساخ من خلال المبادئ التالية:

(1) سبيعي، عدنان، بحث بعنوان: الاستنساخ المستجد - مناهج ومواقف إنسانية، كتاب: الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٨٧-١٨٨، بتصرف.

المبدأ الأول: تقدير العلم والعلماء، وعدم مواجهة إنجازات المختبرات والتجارب العلمية، ذلك بشرط توجيه العلم نحو خير الإنسان ومصالحته وتحقيق التنمية والتقدم والتطور، والرفاه والسلام، والأمان للعالم كله.^(١) وهذا المبدأ يتضمن أمرين هما:

أولاً: عدم إنكار معطيات الاستنساخ لأن ذلك ممكن في النبات والحيوان والإنسان كما تدل التجارب العلمية التي جوبت بمعارضة شديدة منذ السبعينات في هذا القرن من قبل الأوساط الاجتماعية والفكرية والدينية.^(٢)

ثانياً: عدم الخروج بالاستنساخ من إطار المنطق البيولوجي إلى الميثولوجيا والأسطورة. فقد تكون أسطورة الاستنساخ مقبولة في إطار أدبي أو فلسفي، ولكنها مرفوضة تماماً من وجهة نظر علمية. فالمنهج العلمي لا يتقبل بأي شكل هذه الإفاضة غير المستندة إلى العلم. فلا يجوز طرح الموضوع على بساط البحث دون تدقيق في بنيته العلمية. ولا بد من عرض الصورة الصحيحة للاستنساخ وعدم تجاوز حدود المعقول علمياً.^(٣) وفي موضوع الاستنساخ يمكن أن نعتبر من ضمن هذه التجاوزات ما يلي:

أولاً: اعتبار أن الإنسان المستنسخ سيكون نسخة طبق الأصل عن الإنسان الناسخ في الشخصية والأفكار والمشاعر والأحاسيس والسلوك والروح. وهذا غير صحيح، ودليل ذلك:

١. لو نظرنا إلى التوائم الحقيقية التي تربت في البيئة نفسها، إننا نجد اختلافاً واضحاً في نمط الشخصية التي يتحلى بها كل منها، مع التأكيد على وجود العديد من القواسم المشتركة فيما بينها بحكم التشابه الوراثي أولاً، وبحكم حياتها ومعيشتها في ظروف متقاربة ثانياً. (لا يمكن

(١) الزحيلي، د. وهبة، بحث بعنوان: الاستنساخ - الجوانب الإنسانية والأخلاقية والدينية، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٢٠-١٢١، بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٢١، بتصرف.

(٣) علواني، عبد الواحد، بحث بعنوان: الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق على مشارف القرن الحادي والعشرين، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٦٥-١٦٧، بتصرف.

أن نقول ظروف متماثلة لأنه من المستحيل أن نتصور كائنين اثنين قد تناولا الغذاء نفسه،
وتعرضا للمثيرات نفسها، وتولدت لديهما الاستجابات نفسها).

٢. الإنسان أكبر بكثير من مجرد مجموعة جينات، إنه كيان متكامل تدخل الوراثة والبيئة على
السواء في بناء شخصيته. صحيح أن الجينات تحدد الإمكانيات، إلا أن البيئة والخبرة
المكتسبة هما اللتان تحددان في النهاية النمط الذي سيكون عليه الإنسان في حياته كلها. ولو
رجعنا إلى أكثر الاحصائيات تعاطفاً مع الوراثة لوجدنا أنها لا تعطي الجانب الوراثي أكثر
من ٢٠٪ من المساحة اللازمة لصياغة شخصية الانسان، وتبقى النسبة الأكبر (أي ٨٠٪
تقريباً) فسيحة أمام البيئة والخبرة المكتسبة منذ الصغر كي تنقش آثارها.^(١)

يقول عبد الواحد علواني، الكاتب والباحث التربوي: "الاستنساخ قد يقدم نماذج بشرية
بيولوجية متشابهة (مع استحالة تحقيق هذا الأمر حالياً)، ولكن لن تكون هذه النماذج متشابهة إلا
في الجسد وصفاته... أما من حيث السلوك والفكر والتربية فإن كلاً منها سيتأثر بطبيعة التربية
التي يخضع لها، لذلك نقول إن الاستنساخ لن ينتج نماذج لهتلر أو سواه".^(٢)

ثانياً: الاعتقاد بأن الشحنات الكهربائية التي تطلق في عملية الاستنساخ مصدر للحياة.

فلا بد من الإشارة هنا إلى أن الحقل الكهربائي لم يبث الحياة في البيضة التي
استعيض عن نواتها بجينات خلية، إنما حرّض على عملية الانقسام لتتحول البيضة إلى جنين،

(١) حموش، د. عبد اللطيف، قصة الإنسان - أصله، بنيته، دوره، ص: ٧٧-٧٨، بتصرف. وانظر: الجندي، د. أحمد
رجائي، مقال بعنوان: الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام، كتاب الامتساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٥٢.

والعواء، د. عادل، بحث بعنوان: الاستنساخ والأخلاق، كتاب الامتساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٣٩.
(٢) علواني، عبد الواحد، بحث بعنوان: الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق على مشارف القرن الحادي والعشرين،
كتاب الامتساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٧١.

والمنطق البيولوجي يرفض رفضاً قاطعاً ظهور الحياة من المادة الجامدة بتأثير الشرارات الكهربائية.^(١)

المبدأ الثاني: دراسة النصوص الشرعية التي يظن انطباقها على الاستنساخ البشري. فهناك مجموعة من الآيات والأحاديث التي استدل بها بعض العلماء على حرمة الاستنساخ^(٢). فلا بد من دراسة هذه النصوص الشرعية لمعرفة مدى انطباقها على الاستنساخ البشري. ومن ضمن هذه النصوص الشرعية ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾^(٣)، وقوله سبحانه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾^(٤)، وقوله: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾^(٥). فهناك من يقول إن الاستنساخ معارض لهذه الآيات وغيرها التي ذكرت التناسل من ذكر وأنثى، بوصفه طريقة التكاثر البشري، ويمكن أن يجاب على ذلك بما يلي:

١. "هذه الآيات لا حصر فيها لطرق التكاثر، فهي ذكرت الطريقة المعهودة ولم تمنع طرقاً أخرى نادرة." ^(٦)

(١) المصدر السابق، ص: ١٦٨، بتصرف.

(٢) ذكر هذه النصوص الشرعية ووجه الاستدلال بها الدكتور محمد سليمان الأشقر في كتابه أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٤-٢٦.

(٣) سورة النحل، آية ٧٢.

(٤) سورة النساء، آية ١.

(٥) سورة الإنسان، آية ٢.

(٦) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٥.

٢. إننا إذا تأملنا بدقة عملية الاستنساخ وجدنا أن الخلية المأخوذة من الأصل المستسخ منه ناشئة في الأصل من تزاوج نكر وأنثى. وهذه الخلية المأخوذة هي خلية كاملة تحتوي على

٤٦ كروموسوماً نصفها من الأب ونصفها من الأم.^(١)

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾^(٢). فهناك من يقول إن عملية الاستنساخ تبديل لسنة الله تعالى في خلق الإنسان، ويمكن أن نجيب على هذا القول بما يلي:

١. هذه الآية لا علاقة لها بالاستنساخ أو غيره مما يمكن الله تعالى به البشر من التصرف في المواد الأرضية بما ينفعهم من الصناعات التحويلية، كجعل التراب اسمنتاً والحجارة بيوتاً وغير ذلك. فلو كانت هذه التغييرات والتبديلات، ومنها الاستنساخ، من تبديل سنن الله المنفية بالآية، لكان المزارع إذا قلب شجرة اللوز بالتطعيم إلى شجرة مشمش داخلاً في ذلك، إذ أنه ليس في سنة الله - على الوجه الذي طبع عليه الطبيعة - أن تنقلب شجرة اللوز إلى شجرة مشمش تلقائياً.

٢. ثم إن الآية تدل على أنه ليس بإمكان البشر تغيير سنة الله تعالى. فلما أمكن التغيير في الأمور الصناعية والتكنولوجية كالتطعيم والاستنساخ، دل ذلك على أنه ليس مراداً بالآية.^(٣)

٣. لو نظرنا في سياق هذه الآية والآيتين المشابهتين لها^(٤) لعلمنا "أنها كلها واردة في سنة الله في نصر رسله على أعدائه الذين يشاقون الله ورسوله."^(٥) قال القرطبي في تفسير قوله

(١) المصدر السابق، ص: ٢٥، بتصريف، وفضل الله، السيد عبد الكريم، مقابلة بعنوان: المستسخ يكون أخاً شقيقاً لمن أخذت منه الخلية، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٢٧٣، بتصريف.

(٢) سورة فاطر، آية ٤٣.

(٣) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٥-٢٦، بتصريف.

(٤) وهما قوله تعالى: ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾. [سورة الأحزاب، آية ٦٢]، وقوله

تعالى: ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾. [سورة الفتح، آية ٢٣].

(٥) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٦.

تعالى: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^(١): "يعني طريقة الله

وعاداته السالفة في نصر أوليائه على أعدائه."^(٢)

ثالثاً: جاء في الحديث القدسي: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا

ذرة، أو ليخلقوا شعيرة."^(٣) قال بعض العلماء إن في الاستنساخ محاولة من البشر أن يخلقوا مثل

خلق الله، ويجاب على ذلك بما يلي:

١. يقول الدكتور محمد سليمان الأشقر: "الاستنساخ ليس من جنس الخلق الذي تفرّد الله تعالى

به، بل هو نوع من الزراعة أي: وضع البذرة التي خلقها الله، وجعل فيها سر الحياة في

بيئة مناسبة لنموها، فتتمو فتكون مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى. وهذا تماماً كما أن الزارع

لبذرة شجرة إذا دفنها في الأرض وسقاها حتى نبتت وعظمت وآتت الثمار اللبنة، لا يصح

القول إنه قد خلق تلك الشجرة."^(٤) ولهذا قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون * ءأنتم

تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.^(٥) "أه

٢. "والحق الذي لا مرأى فيه أن (إيان ويلموت) الذي استنسخ النعجة دولي لم يدع أنه خلق

الخلية، وإنما يقول إنه استمدها من زرع نعجة حيّة وما ينبغي له ادعاء الخلق."^(٦) فعلمية

الاستنساخ "لم تخلق قانوناً جديداً ولم تصنع سنة جديدة لتكون عملية خلق جديد يتحدى

قدرة الله في الخلق، ولكنها اكتشفت بعض أسرار الجسد الإنساني، وتعرّقت على حركية

(١) سورة الفتح، آية ٢٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٦/١٨٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتثلة بالفرض ونحوه وأن الملائكة لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب، برقم ٢١١١، (٣/١٦٧١).

(٤) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث لجهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٤.

(٥) سورة الواقعة، آية ٦٣-٦٤.

(٦) سبيعي، عدنان، بحث بعنوان: الاستنساخ المستجد - مناهج ومواقف إنسانية، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين

والأخلاق، ص: ١٨٨.

هذه الأسرار وإمكانية تحريكها في اتجاه الاستفادة منها بنسخة ثانية عن إنسان أو حيوان، أو بمحاولة زرع بعض الأعضاء لاستخدامها في استبدال بعض الأعضاء التالفة".^(١) فالنتيجة إذن أن الاستساخ لا يعتبر تخليقاً. "إنما هو عملية دمج بنواة خلية موجودة، وحية أصلاً، أي إن الخصائص والصفات موجودة في الخلية، ويراد تكوين موجودات متشابهة أو متماثلة".^(٢)

رابعاً: قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾^(٣) * لعنه الله وقال لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * ولَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ^(٤) ولَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَلْبِئِنَّكَ^(٥) آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ^(٦)، وقوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٧). استدلت بعض العلماء بهذه الآيات على حرمة الاستساخ، باعتبار أنه تغيير لخلق الله. ويمكن أن نجيب على ذلك بما يلي:

١. "الآية ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ تعني عند أكثر المفسرين أن الدين الحق، وتوحيد الله بالعبادة، وإقامة الوجه له، والبعث عن الشرك، وتجنب جميع

(١) فضل الله، حسين، بحث بعنوان: الاستساخ والدين، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٠١-١٠٠.

(٢) الزحيلي، وهبة، بحث بعنوان: الاستساخ - الجوانب الإنسانية والأخلاقية والدينية، كتاب الاستساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١١٩.

(٣) * المارد والمريد من شياطين الجن والإنس المتعري من الخيرات من قولهم شجر أمرد، إذا تعرى من السورق. (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٦٨).

(٤) ولأمنينهم: "أي أزين لهم ترك التوبة، وأعدم الأمان، وأمرهم بالتسوية والتأخير، وأغرمهم من أنفسهم". [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٥٥٦)].

(٥) فليبتكن: البتكن يقارب البت، لكن البتكن يستعمل في قطع الأعضاء والشعر. ومنه سيف باتك: أي قاطع للأعضاء. (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (بتك)، ص: ٤٦.]

(٦) سورة النساء، آية ١١٧-١١٩.

(٧) سورة الروم، آية ٣٠.

مظاهره، هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن بدل عن ذلك فقد بدل الفطرة، وليس له تبديلها. " (١) قال ابن كثير: ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾، أي لدين الله. " (٢)

٢. أما قوله تعالى: ﴿ ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾، قال ابن عباس في رواية عنه، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم، إن المقصود: دين الله عز وجل. (٣)

٣. ولنفرض أن هاتين الآيتين حجة، نلاحظ أنه " لا ينطبق تغيير خلق الله على الاستساح، إلا إن أدى إلى نحو وجود دجاجة بستة أرجل، أو رأسين، أو بقرة بثلاثة أعين. أما إن وجدت بالاستساح حيوانات بالصورة التي خلقها الله تعالى عليها، فلا ينطبق عليها أنها تغيير خلق الله. " (٤)

المبدأ الثالث: "إن الإبداع الإلهي يتميز بمراعاة الحكمة والمصلحة والخير للإنسان، وإيجاد التقديرات والنسب المتوازنة، كما قال تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾. (٥) فإذا اختلفت معايير الخلق الإلهي، ولم تراعى المقدرات الإلهية، كانت العملية شراً محضاً على الإنسان. " (٦) والحقبة أن الاستساح يقضي على كثير من المعايير والنسب منها:

أولاً: سنة التفاوت

(١) " لقد تجلت قدرة الله في خلق الإنسان منفرداً متميزاً، لكل إنسان شكله، وبصمته وعلاماته الفارقة، وطبائعه، وميوله، وقدراته، ومواهبه. ولم يكن هذا التنوع في الخلق الإلهي خاصاً

(١) الأشنقر، محمد سليمان، أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٣٢/٣).

(٣) المصدر السابق، (٥٥٦/١).

(٤) الأشنقر، محمد سليمان، أبحاث إجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٢٤.

(٥) سورة القمر، آية ٤٩.

(٦) الزحيلي، وهبة، بحث بعنوان: الاستساح - الجوانب الإنسانية والأخلاقية والدينية، كتاب الاستساح - جدل العلم والدين والإخلاق، ص: ١٢٢.

بالإنسان، بل كان عاماً في كل المخلوقات، وسمة من سمات هذا الخلق. قال تعالى: ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾^(١)، ثم إن هذا التنوع والاختلاف كان هدفاً من أهداف الخلق: ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾^(٢) وكان نعمة امتن الله بها على عباده ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾^(٣) بل إنه جعل التنوع والاختلاف قانوناً للنماء والازدهار يترتب على الإخلال به فساد الأرض^(٤). قال تعالى: ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾^(٥).

(٢) تشير البيولوجيا إلى الاستنساخ على أنه مقارب لما يسمّى بالتوالد الذاتي، الذي هو أكثر أشكال التناسل انحطاطاً في الطبيعة، وهو لا يوجد إلا عند الكائنات الدنيا وبعض الجراثيم^(٦). ولكن مما ينبغي الإشارة إليه "أن هذه الكائنات الحية تمتلك الخصائص الوراثية والفيزيولوجية، والشكلية نفسها، فتستجيب كلها بسبب (غياب التنوع) استجابة واحدة لمؤثر ما (تغيرات البيئة مثلاً) قد يؤدي أحياناً إلى انقراضها كلها. وقد يفسر هذا إخفاق هذا النمط من التوالد في الطبيعة."^(٧)

(١) سورة الرعد، آية ٤.

(٢) سورة هود، آية ١١٨-١١٩.

(٣) سورة الروم، آية ٢٢.

(٤) سالم، محمد عدنان، بحث بعنوان: الاستنساخ والإنسان، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٢٢٣.

(٥) سورة الحج، آية ٤٠.

(٦) علواني، عبد الواحد، بحث بعنوان: الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق على مشارف القرن الحادي والعشرين،

كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٦٨، بتصرف.

(٧) رزق، هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ٣١.

ثانياً: سنة الزواج والأسرة

من المخاوف المستقبلية للاستنساخ إحداث خلل جسيم في العلاقات الانسانية، وفي مجال الأسرة، إذ أنها تؤدي إلى تفكيك الأسرة والتكوين العائلي، والقضاء على مفهوم الأمومة والأبوة، نتيجة القضاء على الزواج.^(١)

ثالثاً: نسبة الذكور والإناث

فقد يحدث خلل في نسبة الذكور، إذا ما قورنت بنسبة الإناث أو العكس، وذلك لأن استنساخ الذكور لا يكون إلا من الذكور، وكذلك استنساخ الإناث لا يكون إلا من الإناث.^(٢)

المبدأ الرابع: أن العلم في ذاته أمر مجرد ولا يتدخل في المنافع والأضرار. إنما توظيف العلم واستخدامه في الخير يجعله أداة خيرة، كما يكون استخدامه في الشر أداة شريرة. "فعلينا أن نراقب هذا التطور العلمي بفكر متفتح ومتحمص، فنشجع الجانب الخير منه، ونحارب الجانب الشرير. وعلينا أن نتذكر دائماً بأن الحدث العلمي - كأي أمر آخر - لا يمكن أن تكون جوانبه كلها إما خيراً وإما شراً".^(٣)

وبناء على ذلك، إذا تعارضت المفسدة مع المنفعة، فإننا ننظر إلى الآثار والنتائج الإيجابية والسلبية. فإن كانت الإيجابيات أكثر، فهنا يمكننا الاستفادة من هذا الأمر. وإن كانت

(١) عارف، علي عارف، بحث بعنوان: قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، (٢٠٢٢/٢)، بتصرف.

(٢) أبو البصل، د. عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستنساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص: ٦٧٤.

(٣) رزق، هاني، بحث بعنوان: بيولوجيا الاستنساخ، كتاب الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، ص: ١٧.

السلبيات أكثر، فهو يحرم ويمنع^(١) على قاعدة الآية الكريمة: ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾^(٢).

ولكن الذي نلاحظه هنا أن المنافع التي ذكرت بالنسبة للاستنساخ البشري تقتزن بمفاسد كثيرة، إذ أنهم يريدون تحقيق مصالح محدودة بوسائل غير مشروعة. وفيما يلي بعض الأمثلة نستدل بها على ما نقول:

١. قالوا بالاستنساخ يمكن أن ينتج أعضاء بديلة عن الأعضاء التالفة. أي أنه يمكن الاستفادة من الاستنساخ لإنتاج قطع غيار للإنسان، كالكلية والقلب والقرينة.^(٣) والسؤال الذي يطرح هنا هو: كيف نحصل على هذه القطعة؟ والجواب: أن الإنسان يجعل منه أكثر من نسخة، واحدة يعيش بها وأخرى تحفظ. فإذا أراد منها قطعة ينتظر سنوات ليولد الجنين وتتمو أعضاؤه، ثم نحكم على هذا البشر الذي له روح وله حق الحياة بالموت، من أجل أخذ المطلوب.^(٤) فأي جريمة أعظم من هذه؟! أنقتل إنساناً من أجل إحياء إنسان آخر؟

يقول الدكتور عبد الهادي مصباح: " ولعل من أغرب التفسيرات أو المبررات لعملية نسخ الأجنة، هو هذا الزعم بأنه يمكن أن يوجد هذا الكائن المستنسخ أو التوأم، لكي يمد الطفل

(١) المقداد، محمد توفيق، بحث بعنوان: الاستنساخ البشري بين العلم والأخلاق، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ١٩٥، بتصرف.

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٩.

(٣) ينبغي أن نفرق هنا بين استنساخ إنسان كامل من أجل الاستفادة من أعضائه، وبين الاستنساخ العضوي أو الخلوي الذي يقصد به استنساخ بعض الأعضاء التي يحتاجها الإنسان عن طريق عمل نسخة من خلية العضو الأصلي وتكاثرها حتى تعطي العضو المطلوب استنساخه، بدون استنساخ إنسان كامل. والذي نعيه هنا هو النوع الأول. ولقد نجحت حتى الآن زراعة الجذد البشري، ويوجد بنوك لهذا الجذد في معظم دول العالم، ومن المعروف أن الجذد يعتبر أحد الأعضاء الهامة والتي يتوقف عليها إنقاذ إنسان تعرض جسده بنسبة كبيرة للحروق. [المقداد، محمد توفيق، بحث بعنوان: الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام، كتاب الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، ص: ٥٤، بتصرف، ومصباح، عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، ص: ٧٢-٧٣، بتصرف.]

(٤) أبو البصل، عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التتسيل (الاستنساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص: ٦٨٢، بتصرف.

الأصلي بالأعضاء التي يحتاجها إذا مرض، وكأننا نقسم بني آدم إلى بني آدم أصلي، وآخر احتياطي، تماماً مثل إطار السيارات. ونكون بذلك قد امتهنا كرامة الإنسان الذي كرمه الله. " (١)

٢. قالوا نستطيع منح طفل لزوجين عقيمين.

ففي هذه الحالة عندما نأخذ ببيضة المرأة بعد نزع نواتها، من أين سنأتي بنواة الخلية الجسدية؟ لهذه النازلة المفترضة أربع صور:

١. أن نأتي بها من رجل أجنبي، وهذا بلا شك يعتبر سفاهاً.
 ٢. أن نأتي بها من امرأة أجنبية، وهذا يعتبر حمل بين امرأة وامرأة، وهو حرام.
 ٣. أن نأتي بها منها (أي صاحبة البيضة)، وهذا لا يجوز لأنه لا يحل لامرأة أن تحمل من غير زوجها.
 ٤. أن نأتي بها من زوجها. وهنا قد يقول قائل: " إن هذه الصورة تختلف عن مثيلاتها، فهي تتم بين زوجين، يرتبطان بعقد شرعي، فالبيضة من الزوجة والنواة من الزوج. " (٢)
- يقول الدكتور عبد الهادي مصباح: " قد يبدو هذا الوضع أقرب إلى الصواب في نظر الكثير، من حيث الشكل، حيث إنه يبدو في ظاهره أنه بعيد عن مسألة اختلاط الأنساب، إلا أننا عندما ننظر إليه بعمق، نجد أنه يؤدي بالتأكيد إلى اختلاط الأنساب. فالأم التي أنجبت طفلاً من خلية جسدية من الأب، تلد طفلاً ليس لها علاقة به من الناحية الوراثية، وينتمي تماماً - وراثياً - إلى الأب، ويقتصر دورها على إعطاء المحتوى، أو البيضة الخالية من النواة التي

(١) مصباح، عبد الهادي، الاستمساخ بين العلم والدين، ص: ٤٧.

(٢) أبو البصل، عبد الناصر، بحث بعنوان: عمليات التنسيل (الاستمساخ) وأحكامها الشرعية، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص: ٦٦٩-٦٧٠، بتصرف.

تحتوي على المادة الوراثية، ثم حمل هذا الجنين لمدة تسعة أشهر في بطنها، أي أن دورها أصبح عبارة عن وعاء لإنجاب جنين لا ينتمي إليها على الإطلاق من الناحية الوراثية.^(١)

ومن ناحية أخرى، فإن تحقيق المصلحة الخاصة بالزوج العقيم بالانتفاع من عملية الاستساخ مشروط بعدم الإضرار بمصلحة الأمة، وعدم فتح باب المفسدة لها، فإن كان فيه مضرة ومفسدة وخراب للمجتمع في الحال أو المآل، فيحرم آنذاك لضرره العام، وذلك استناداً إلى القاعدة الشرعية سد الذرائع^(٢).^(٣)

يقول العز بن عبد السلام^(٤): " إذا اجتمعت مصالح ومفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك، وإن تعذر الدرء والتحصيل، فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة، درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة."^(٥) فبالإضافة إلى اختلاط الأنساب نجد أن هناك أضراراً أخرى منها:

(١) مصباح، عبد الهادي، الامتساح بين العلم والدين، ص: ٤٢-٤٣، بتصرف.

(٢) الذريعة في اللغة: الوسيلة، [ابن منظور، لسان العرب، مادة (زرع)، (٣٧/٥). ومعناه عند الأصوليين: كل ما يتوصل به إلى الشيء الممنوع المشتمل على مفسدة أو مضرة.] الزحيلي، وهبة، الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر، ودار الفكر المعاصر، دمشق- لبنان، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٧).]

(٣) عارف، علي عارف، بحث بعنوان: قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي، كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ص: (٢/٧٧٨).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي ولد سنة (٥٧٧ هـ)، ونشأ في دمشق، بلغ رتبة الاجتهاد. كان من أمثال مصر: " ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام." من كتبه: (التفسير الكبير)، و(الإمام في أدلة الأحكام)، و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنعام). توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠ هـ). [الزركلي، الأعلام، (٢١/٤)، بتصرف].

(٥) العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن أبي القاسم، (ت. ٦٦٠ هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، مكتبة الكليات الأزهرية، (١/٩٨).

أولاً: أضرار اجتماعية

يؤدي هذا الأمر إلى جعل الأسرة عبارة عن أحزاب، وتفكك عرى الأخوة بين الأبناء، ذلك لأن الإنسان بشكل عام يعشق ذاته ويحب نفسه. فالأم أيضاً ستلهف شوقاً لولادة بنت من خلية جسدية لها تحمل كل صفاتها الوراثية، وهنا لن يكون للأب أي دور في عملية الحمل والإنجاب على الإطلاق، وسوف تلد الأم بنتاً، هي في الحقيقة نسخة منها، وأخت لأخيها الذي هو أيضاً نسخة من الأب، ولكن ما الذي يربط وراثياً بين الأخ والأخت؟ وأين روابط الدم التي نتحدث عنها؟ وكيف سيصبح هذا الأخ محرماً لأخته التي لا تمت له بصلة؟^(١)

ثانياً: أضرار طبية

(١) التكاثر التزاوجي فيه ارتقاء بجنس البشر، لأنه يقوم على سنة انتخاب النسل الأقوى والأوفر حظاً من الصحة والجمال والقدرات العقلية. يبدأ بانتخاب كل من الزوجين شريكه الآخر من بين المئات والألوف من البشر. ثم تجري عند الإخصاب عملية السباق بين ملايين الخلايا الذكرية لتلقيح الخلية الأنثوية. وهذا الارتقاء والانتخاب مفقود في الاستساخ،^(٢) إذ أنه تكرر للنمط الواحد من التركيب نفسه، مما يجعل أي تركيب ذا نمط مكرر عاجزاً، يفقده القدرة على التجدد والحيوية، ويدفع به صوب التقهقر والإنقراض.

(٢) ثم هل عمر خلايا الطفل مقدار عمر المستسخ عنه، أم عمرها جديد كعمر الجنين حين يولد من حمل جنسي؟ فإن كان الأمر الثاني هو الذي يتحقق، فسيسقط هذا الطفل المستسخ ضحية لأعراض شيخوخة مبكرة.

(١) المصدر السابق، ص: ٤٢، بتصرف.

(٢) الأشقر، محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، ص: ٣١، بتصرف.

(٣) وكذلك هل سيصبح هذا الطفل المستنسخ قادراً على التناسل كغيره أم أنه سيكون عقيماً؟^(١)

من هنا نلاحظ أنّ الاستنساخ قد يكون مفيداً في النباتات والحيوانات، إلا أنه في الإنسان لا يعدو أن يكون إلا مسخاً، وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع كفيلاً بأن يكون دليلاً على ما نقول. ولا بد - بعد هذا العرض المتواضع لموضوع الاستنساخ - أن نخلص إلى أنه ليس كل ما هو ممكن علمياً جائز شرعاً، إذ يبقى الشرع مهيمناً على جميع المستجدات العلمية، بما فيها موضوع الاستنساخ.

(١) المصدر السابق، ص: ١٤، بتصرف.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فقد أنهيت - بحمد الله - الكتابة في مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

(١) أن الوقوف على مراحل خلق الإنسان في القرآن يكشف لنا جانباً من جوانب الإعجاز العلمي والبياني في كتاب الله.

(٢) أن التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم يساعد على فهم وتدبر القرآن كما أراد الله، إذ لا يعقل أن نمر عن الآيات التي تتكلم عن مراحل الخلق مثلاً، دون الاستفادة من معطيات العصر في تفسيرها.

(٣) أن التفسير العلمي للقرآن يجب أن يكون وفق شروط وضوابط وضعها العلماء، مما يجعل تفسيرنا صحيحاً لا يتناقض مع العلم.

(٤) نظرة القرآن الكريم للإنسان تمتاز بالشمول والواقعية والتوازن والإيجابية، كما أن القرآن الكريم يحترم العقل البشري ويحثه على التدبر في نفسه والكون الذي يعيش فيه.

(٥) سنة التزاوج هي إحدى السنن التي وضعها الله تعالى ليسيّر على أساسها هذا الكون، ولكننا نجد خروجاً عن هذه القاعدة في مسألة خلق آدم، وحواء، وعيسى بن مريم، عليهما السلام، وهذا يشير إلى عظمة الله وقدرته.

(٦) أن خلق آدم عليه السلام قد مرّ في ثلاث مراحل رئيسية هي: مرحلة التخليق، ومرحلة التصوير، ومرحلة نفخ الروح.

(٧) أن المادة التي خلقت منها حواء هي مسألة خلافية ناجمة عن اختلاف العلماء في فهم

الآيات القرآنية التي تشير إلى خلق الناس من نفس واحدة، وأن الله خلق منها زوجها،

وكذلك الأحاديث التي أشارت إلى خلق المرأة من ضلع.

(٨) خلق عيسى بن مريم عليهما السلام بكلمة الله وبروح منه، وهو ليس جزءاً من الله، فكلمة

(منه) في الآية ليست للتبعيض بل للابتداء.

(٩) هناك تشابه بين آدم وعيسى عليهما السلام من حيث:

أولاً: أن كليهما خلقا بكلمة "كن".

ثانياً: أن الله تعالى نفخ فيهما الروح.

فلماذا إذن لا يعاملهما النصارى بنفس الطريق من حيث البشرية؟!؟

(١٠) أن الآيات القرآنية التي تتكلم عن مراحل خلق الإنسان تأخذ حيزاً لا بأس به في كتاب الله

عز وجل.

(١١) المصطلحات التي تتحدث عن مراحل خلق الإنسان تمتاز بالدقة الفائقة، حيث تعبر عن

التطورات التي تحدث في مراحل الخلق المختلفة، الظاهرة للعيان والخفية، وهذه

المصطلحات القرآنية أدق من المصطلحات العلمية التي تدرّس في كليات الطب اليوم،

مما لفت أنظار علماء الأجنة وأثار دهشتهم.

(١٢) أن أدوات العطف التي وردت في الآيات الترانئية وربطت بين مراحل الخلق المختلفة،

جاءت دقيقة ومعبرة عن التسلسل الزمني الذي يستغرقه كل حدث، كما أن الأفعال التي

وردت (خلق، جعل، كسا، أنشأ) تصف الانتقال من مرحلة إلى أخرى بدقة متناهية.

(١٣) باستقراء آيات القرآن الكريم التي تتكلم عن مراحل الخلق، نخلص إلى أن مراحل خلق الإنسان يمكن إجمالها في أربع مراحل رئيسية: مرحلة الطين، مرحلة النطفة، مرحلة التخليق، ومرحلة النشأة أو الخلق الآخر.

(١٤) مرحلة النطفة هي الفترة التي تمتد من الإخصاب إلى الغرس، وهي تشتمل على أربع مراحل رئيسية هي: الماء الدافق، والسلالة، والنطفة الأمشاج، والحرث.

(١٥) أن المصطلحات القرآنية: الماء الدافق، والماء المهين، والسلالة، تنطبق جميعها على ماء المرأة وماء الرجل على حد سواء، ولا دليل لمن خصص هذه الألفاظ بماء الرجل، كما أن الصلب والترائب للمرأة والرجل على حد سواء.

(١٦) أن مراحل التخليق هي: العلقة، والمضغة، والعظام، واللحم، وهذه المراحل الأربع كلها تكون في الأيام الأربعين الأولى.

(١٧) أن بداية حياة الجنين تكون من اللحظة التي تلتنق فيها البيضة بالحيوان المنوي، ويكتب لها الاستقرار والتعلق بجدار الرحم، أي بعد أسبوع واحد من التلقيح.

(١٨) أن مرحلة تكون النطفة الأمشاج ينتج عنها الخلق، والتقدير، وتحديد الجنس.

(١٩) أن المصطلح القرآني (العلق) يتوافق مع المعاني اللغوية لهذا اللفظ، من كونها تشبه دودة العلق، والتشبث بجدار الرحم، وكذلك كونها تشبه قطعة الدم الجامد الغليظ، بسبب كون الدماء محبوسة في الأوعية الدموية المقفولة، لا أن الإنسان يمر بمرحلة جلطة الدم كما كان يعتقد المفسرون القدامى.

(٢٠) أن المصطلح القرآني (مضغة) تصف لنا الجنين بإيجاز معجز من ناحية:

أولاً: الشكل - حيث تتكون الكتل البدنية، وهذا يوافق المعنى اللغوي الأول

للمضغة وهو شيء لاكته الأسنان.

ثانياً: الحجم - حيث إنه مقدار ما يمضغ، وهذا يوافق المعنى اللغوي الثاني وهو الشيء الصغير من المادة.

ثالثاً: قوامه - حيث يبدأ بالانحناء كاللقمة الممضوغة.

(٢١) أنه لا صحة لما قاله المفسرون من أن المضغعة هي قطعة لحم لسببين:

الأول: لأنه لا يوجد نص في القرآن أو السنة الصحيحة يفسر المضغعة بذلك.

الثاني: لأن مرحلة اللحم مرحلة متأخرة.

فالمضغعة وإن كانت تشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ، إلا أنها ليست لحماً، وإنما

هي خلايا متلاصقة وظيفتها تكوين اللحم والعظم والجلد وغيرها.

(٢٢) لم يوفق كثير من المفسرين قديماً في الاهتداء إلى معنى مخلّعة وغير مخلّعة، فمنهم من

جعلها صفة للنطفة، ومنهم من جعلها صفة للمضغعة، وبعضهم قال إنها صفة السقط، وقال

فريق إنها صفة للولد بعينه، أما التفسيرات العلمية الحديثة فكلها أثبتت كونها صفات

للمضغعة.

(٢٣) الراجح في تعريف النشأة (الخلق الآخر) أنها الفترة الممتدة من نفخ الروح إلى الموت.

(٢٤) أن علماء الهندسة الوراثية، في عملية الاستساح ما تحركوا إلا داخل نطاق فرضه

الخالق سبحانه، إذ أن ما يجري في مسألة الاستساح هو تصرف في الخلق وليس خلقاً.

(٢٥) الاستساح ينقل الصفات الوراثية فقط، ولا ينقل السلوك، ولا ما يكتسبه الإنسان بالخبرة

أو البيئة المحيطة.

(٢٦) أنّ مصطلح "التسلي" أدق من مصطلح "الاستساح" لأن مصطلح الاستساح فيه تشبيه

الإنسان بالآلة، والجماد، والكتاب، والإنسان مكرم منذ أن خلق. كما أن مصطلح

الاستساخ يقتضي أن يكون المستسخ مطابقاً للمستسخ عنه تماماً، وهذا الأمر إن كان ينطبق على الصفات الخلقية، إلا أنه لا ينطبق على الصفات الخلقية.

(٢٧) الاستساخ البشري نوعان هما:

أولاً: الاستساخ الجنيني: ويكون بأخذ خلية من النطفة الملقحة بعد انقسامها وزرع الخلية المأخوذة في الرحم نفسه، أو غيره لنحصل على نسل متشابه مع بعضه.

ثانياً: الاستساخ اللاجنسي: ويكون بأخذ ببيضة منزوعة النواة، وزرع نواة لخلية جسدية فيها، ليخرج الجنين مطابقاً لصاحب الخلية الجسدية في الصفات الوراثية.

(٢٨) الاستساخ يرتكز على حيوية الخلية ولذا فإن فكرة استساخ إنسان من خلية ميتة تستحيل بيولوجياً.

(٢٩) الاستساخ حرام بنوعيه الجنيني واللاجنسي لما يترتب عليه من أضرار على الفرد والمجتمع.

وختاماً: فإنني لا أدعي أنني قد أعطيت هذا الموضوع حقه، أو وفيت له ما يستحقه، فأني لمتلي ذلك، ولكن حسبي أنني بذلت جهدي وأفرغت وسعي مع قلة بضاعتي، فإن أصبت فله الحمد والمنة، وإن أخطأت فأسأله تعالى العفو والمغفرة، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١.	﴿أَوْ كَصِيبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾	١٩	البقرة	٥٨
٢.	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	البقرة	٢٣
٣.	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾	٦٣	البقرة	٢١
٤.	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾	٧٢	البقرة	٢١
٥.	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	البقرة	٨
٦.	﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٢٧	البقرة	س
٧.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِمَّنْ نَّفَعَهُمَا﴾	٢١٩	البقرة	٢٢٥
٨.	﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنسَى شَنْتُمْ﴾	٢٢٣	البقرة	١٤٠
٩.	﴿هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾	٦	آل عمران	١٢٧

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٠.	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾	٧	آل عمران	٨
١١.	﴿قَالَ رَبُّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾	٤٠	آل عمران	٣٢
١٢.	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾	٤٥	آل عمران	٣٣
١٣.	﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمَنْ الصَّالِحِينَ﴾	٤٦	آل عمران	٣٣
١٤.	﴿قَالَتْ رَبُّ أُنَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ﴾	٤٧	آل عمران	٣٢
١٥.	﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ﴾	٥٩	آل عمران	١٦، ٣٤
١٦.	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾	١٦٤	آل عمران	٢٨
١٧.	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾	١٩٠	آل عمران	٣
١٨.	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا﴾	١٩١	آل عمران	٣

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١٩	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾	١	النساء	٢١٨، ٢٨، ٢٥
.٢٠	﴿وحلال أبنائكم الذين من أصلابكم﴾	٢٣	النساء	٨٠، ٧٤، ٧٠
.٢١	﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾	٢٨	النساء	١٣
.٢٢	﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾	١١٧	النساء	٢٢١
.٢٣	﴿لئن دعا الله فإني لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾	١١٨	النساء	٢٢١
.٢٤	﴿ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾	١١٩	النساء	٢٢١
.٢٥	﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته﴾	١٧١	النساء	٣٥، ٣٣
.٢٦	﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾	٩٨	الأنعام	١٥٠
.٢٧	﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾	١١	الأعراف	٢٠
.٢٨	﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾	١٢	الأعراف	١٨
.٢٩	﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾	٧٣	الأعراف	٢٣
.٣٠	﴿وإذ أنجبناكم من آل فرعون﴾	١٤١	الأعراف	٢١

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٣١	﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾	١٨٥	الأعراف	٣
.٣٢	﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾	١٨٩	الأعراف	٢٥
.٣٣	﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾	٢	الأنفال	٥٨
.٣٤	﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾	١١٨	التوبة	١٣
.٣٥	﴿فذا لكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾	٣٢	يونس	٧
.٣٦	﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾	١١٨	هود	٢٢٣
.٣٧	﴿إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾	١١٩	هود	٢٢٣
.٣٨	﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾	٢	يوسف	٩
.٣٩	﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها﴾	١٠٥	يوسف	٣
.٤٠	﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب﴾	٤	الزمر	٢٢٣

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٤١	﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام﴾	٨	الرعد	١٣٠، ١٤١، ١٥٢
.٤٢	﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾	٣٧	إبراهيم	٢٣
.٤٣	﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً﴾	٢٨	الحجر	١٩، ٢٢
.٤٤	﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾	٢٩	الحجر	٢٢
.٤٥	﴿خلق الإنسان من نطفة﴾	٤	النحل	٥٥
.٤٦	﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾	٤٤	النحل	٩
.٤٧	﴿نسفيكم مما في بطونه من بين فرث ودم﴾	٦٦	النحل	٧٥، ٨٠، ٧٢
.٤٨	﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾	٧٢	النحل	١٣٣، ٢١٨
.٤٩	﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾	٧٨	النحل	٤
.٥٠	﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾	٩٩	النحل	١٣
.٥١	﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾	٧٠	الإسراء	١٢

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٥٢	﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب﴾	٨٦	الكهف	١٩
.٥٣	﴿واذكر في الكتاب مريم﴾	١٦	مريم	٣١
.٥٤	﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً﴾	١٧	مريم	٣١
.٥٥	﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾	١٨	مريم	٣١
.٥٦	﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾	١٩	مريم	٣٢
.٥٧	﴿قالت أنى يكون لي غلام﴾	٢٠	مريم	٣٢
.٥٨	﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين ونجعله آية للناس﴾	٢١	مريم	٣٩، ٣٢
.٥٩	﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾	٤٩	طه	١٤٤
.٦٠	﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾	٥٠	طه	١٤٤
.٦١	﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾	٣٠	الأنبياء	١٨
.٦٢	﴿خلق الإنسان من عجل﴾	٣٧	الأنبياء	١٣

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٦٣	﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾	٩١	الأنبياء	٣٧، ٣٦
.٦٤	﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾	٥	الحج	١٤٩، ١٢١، ٤٥ ١٧٢، ١٧٠، ١٥٥
.٦٥	﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾	٦	الحج	٤٦
.٦٦	﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾	٧	الحج	٤٦
.٦٧	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾	٤٠	الحج	٢٢٣
.٦٨	﴿قد أفلح المؤمنون﴾	١	المؤمنون	٤٥
.٦٩	﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾	٢	المؤمنون	٤٥
.٧٠	﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾	١٢	المؤمنون	٥٢، ٤٢، ١٢، ٦ ١٥٥، ٥٦
.٧١	﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾	١٣	المؤمنون	٥٦، ٤٢، ٦ ١٥٥، ١٥٠، ١٤٢

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٧٢	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مِضْغَةً﴾	١٤	المؤمنون	١٥٤، ٤٢، ٦، ١٥٥، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٦
.٧٣	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾	١٥	المؤمنون	١٩٩
.٧٤	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾	١٦	المؤمنون	١٥٥
.٧٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾	٤٥	النور	١٨
.٧٦	﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾	٦٣	النور	٩٧
.٧٧	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾	٤٨	القصص	٤٠
.٧٨	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾	٧٧	القصص	١٣
.٧٩	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٢١	الروم	١٣٣، ٢٨
.٨٠	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٢	الروم	٢٢٣، ١٢٨
.٨١	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	٣٠	الروم	٢٢١
.٨٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾	٥٤	الروم	١٠٣
.٨٣	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	٣٤	لقمان	١٣٠
.٨٤	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	٧	السجدة	٥٣، ٥٢
.٨٥	﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾	٨	السجدة	١٠٢، ٩٧، ٨٨

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٨٦	﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾	٦٢	الأحزاب	٢٢٠
.٨٧	﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾	١١	فاطر	١٣٣، ١٥
.٨٨	﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً﴾	٤٣	فاطر	٢١٩
.٨٩	﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض﴾	٣٦	يس	١٣٣، ١١
.٩٠	﴿وكل في فلك يسبحون﴾	٤٠	يس	١٠٦
.٩١	﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾	٧٧	يس	٩٢
.٩٢	﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾	١١	الصافات	١٨
.٩٣	﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾	٧١	ص	٣٧، ٢٣، ١٨
.٩٤	﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾	٧٢	ص	٣٧، ٢٣
.٩٥	﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾	٦	الزمر	١٤٦، ٢٥
.٩٦	﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً﴾	٦٧	غافر	١٥٥، ٥٦، ٤٤ ٢٠٠، ١٥٩
.٩٧	﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾	٥٣	فصلت	١٣٠

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٩٨	﴿فاطر السماوات والأرض﴾	١١	الشورى	٢٠٦
.٩٩	﴿الله ملك السماوات والأرض﴾	٤٩	الشورى	١٣٦
.١٠٠	﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً﴾	٥٠	الشورى	١٣٦
.١٠١	﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾	٥٢	الشورى	٣٦
.١٠٢	﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾	٥٢	الزخرف	١٠٢، ٩٧
.١٠٣	﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾	١٣	الجنات	٣٧
.١٠٤	﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾	٢٩	الجنات	٢٠٤
.١٠٥	﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾	٢٤	محمد ﷺ	ذ
.١٠٦	﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾	٢٣	الفتح	٢٢٠
.١٠٧	﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾	١٣	الحجرات	١٢٠
.١٠٨	﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾	٦	ق	٣٨
.١٠٩	﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾	٢١	الذاريات	٣

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١١٠	﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾	٤٩	الذاريات	٢٠٥، ١٠
.١١١	﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾	٢٨	النجم	٨
.١١٢	﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾	٤٥	النجم	٥٥، ٥٩، ٩٩، ١٣١
.١١٣	﴿من نطفة إذا تمنى﴾	٤٦	النجم	٥٥، ٥٩، ٩٩، ١٣١
.١١٤	﴿فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾	١٢	القمر	١٠١
.١١٥	﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾	٤٩	القمر	١١٠، ٢٢٢
.١١٦	﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾	١٤	الرحمن	١٩
.١١٧	﴿مرج البحرين يلتقيان﴾	١٩	الرحمن	٦
.١١٨	﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾	٢٠	الرحمن	٦
.١١٩	﴿أفرأيتم ما تمنون﴾	٥٨	الواقعة	٩٣، ١٣٤
.١٢٠	﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾	٥٩	الواقعة	٩٣، ١٣٤
.١٢١	﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾	٦٣	الواقعة	٢٢٠
.١٢٢	﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾	٦٤	الواقعة	٢٢٠

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٢٣	﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾	٢٢	المجادلة	٣٦
١٢٤	﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾	٣	الطلاق	١٢٥
١٢٥	﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾	١٢	التحریم	٣٨
١٢٦	﴿أمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾	٢٢	المالك	١٨٥
١٢٧	﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾	١٠	القلم	١٠٣
١٢٨	﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾	١٣	نوح	د
١٢٩	﴿وقد خلقكم أطواراً﴾	١٤	نوح	د
١٣٠	﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾	٢٦	الجن	١٣٠
١٣١	﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾	٢٧	الجن	١٣٠
١٣٢	﴿أيحسب الإنسان أن نجمع عظامه﴾	٣	القيامة	١٧٨ ، ١٠
١٣٣	﴿بلى قادرين على أن نسوي بناته﴾	٤	القيامة	١٧٨ ، ١٠
١٣٤	﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾	٣٦	القيامة	١٥٥ ، ١٣١
١٣٥	﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾	٣٧	القيامة	٤٢ ، ٥٩ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٥٥

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١٣٦	﴿ثم كان علقه فخلق فسوى﴾	٣٨	القيامة	١٣١، ١٥٥، ١٤٢، ١٨٤، ١٦٠
.١٣٧	﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾	٣٩	القيامة	١٣١، ١٢٩، ١٤٢
.١٣٨	﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾	٢	الإنسان	٢١٨، ١٢٠، ١١١
.١٣٩	﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾	٢٠	المرسلات	١٠٢، ١٠١، ١٥٠، ١٤٢
.١٤٠	﴿فجعلناه في قرار مكين﴾	٢١	المرسلات	١٥٠، ١٤٢
.١٤١	﴿إلى قدر معلوم﴾	٢٢	المرسلات	١٤٢
.١٤٢	﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾	٢٣	المرسلات	١٤٢
.١٤٣	﴿والجبال أوتادا﴾	٧	النبأ	٦
.١٤٤	﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾	١٧	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥
.١٤٥	﴿من أي شيء خلقه﴾	١٨	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥
.١٤٦	﴿من نطفة خلقه فقدره﴾	١٩	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥، ١٢٥
.١٤٧	﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾	٧	الانفطار	١٨٥، ٤٢
.١٤٨	﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾	٨	الانفطار	١٢٧، ٨١، ٤٢
.١٤٩	﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾	٥	الطارق	٩٣، ٦٨، ٦٢، ٥٧
.١٥٠	﴿خلق من ماء دافق﴾	٦	الطارق	٦٨، ٦٢، ٥٧

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١٣٦	﴿ثم كان علقه فخلق فسوى﴾	٣٨	القيامة	١٥٥، ١٣١، ٤٢ ١٨٤، ١٦٠
.١٣٧	﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾	٣٩	القيامة	١٣١، ١٢٩، ٤٢
.١٣٨	﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾	٢	الإنسان	٢١٨، ١٢٠، ١١١
.١٣٩	﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾	٢٠	المرسلات	١٠٢، ١٠١ ١٥٠، ١٤٢
.١٤٠	﴿فجعلناه في قرار مكين﴾	٢١	المرسلات	١٥٠، ١٤٢
.١٤١	﴿إلى قدر معلوم﴾	٢٢	المرسلات	١٤٢
.١٤٢	﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾	٢٣	المرسلات	١٤٢
.١٤٣	﴿والجبال أوتادا﴾	٧	النبا	٦
.١٤٤	﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾	١٧	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥
.١٤٥	﴿من أي شيء خلقه﴾	١٨	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥
.١٤٦	﴿من نطفة خلقه فقدره﴾	١٩	عبس	١٢٣، ٩٢، ٥٥ ١٢٥
.١٤٧	﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾	٧	الانفطار	١٨٥، ٤٢
.١٤٨	﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾	٨	الانفطار	١٢٧، ٨١، ٤٢
.١٤٩	﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾	٥	الطارق	٩٣، ٦٨، ٦٢، ٥٧
.١٥٠	﴿خلق من ماء دافق﴾	٦	الطارق	٦٨، ٦٢، ٥٧

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٥١.	﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	٧	الطارق	٧٢، ٦٨، ٦٢
١٥٢.	﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾	٨	الطارق	٨١، ٦٨
١٥٣.	﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾	٩	الطارق	٨١
١٥٤.	﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾	١٠	الطارق	٦٨
١٥٥.	﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	العلق	١٦٠، ١٥٥
١٥٦.	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	٢	العلق	١٥٥
١٥٧.	﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾	١٩	العلق	١٦١
١٥٨.	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ﴾	٢	العصر	١٥٤

فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١.	"إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة..."	١٨٥، ٤٨
٢.	"استوصوا بالنساء خيراً ، فإنّ المرأة خلقت من ضلع..."	٢٧، ٢٦ ٢٩
٣.	"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثمّ يكون علقه..."	٤٧
٤.	"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثمّ يكون في ذلك علقه..."	٤٦
٥.	"إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثمّ علقه..."	٤٧
٦.	"إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثمّ يكون علقه..."	٤٧
٧.	"إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلة..."	٤٧
٨.	"أن رجلاً من بني فزارة جاء إلى النبي..."	١٢٨
٩.	"إنّ ماء الرجل غليظ أبيض..."	١١٢
١٠.	"ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون..."	١٦٥
١١.	"كل ابن آدم يأكله التراب..."	١٦٤ ١٨٣
١٢.	"لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته..."	١٨٥
١٣.	"لما صورّ الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه..."	٢٢
١٤.	"لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم..."	٢٥
١٥.	"ما بين النفختين أربعون..."	١٦٤ ١٦٥

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١٦.	" ما من كل الماء يكون الولد... "	١٠٠
١٧.	" ماء الرجل أبيض... "	٦٠ ، ٥٥ ١٣٤ ، ٩٦ ١٣٥
١٨.	" وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة... "	٢٤
١٩.	" وليس من شيء إلا يبلى... "	١٦٤
٢٠.	" ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخالقي ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا شعيرة ... "	٢٢٠
٢١.	" يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق... "	٥٥

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	تاريخ الوفاة	الاسم	الرقم
٥٨	٣٧٠ هـ	الأزهرى، محمد بن أحمد	.١
١٧٤	٢٣١ هـ	ابن الأعرابى، محمد بن زياد	.٢
٧١	٨٠ ق. هـ	امرؤ القيس بن حجر	.٣
٦٣	٣٩٣ هـ	الجوهري، إسماعيل بن حماد	.٤
١٧	٣١١ هـ	الزجاج، إبراهيم بن السري	.٥
١٧٤	٨٧٠ هـ	ابن زيد، أحمد بن محمد	.٦
١١٣-١١٢	٢٤٤ هـ	ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق	.٧
١٧٤	٥٤٣ هـ	ابن العربي، محمد بن عبد الله	.٨
٢٢٧	٦٦٠ هـ	العز بن عبد السلام	.٩
١١٢	٢٠٧ هـ	الفرّاء، يحيى بن زياد	.١٠
٥٢	١٨٨ هـ	قتادة، ابن دعامة	.١١
١١٢	٢٨٥ هـ	الميرد، محمد بن يزيد	.١٢
٢٨	٣٢٢ هـ	أبو مسلم الأصفهاني، محمد بن بحر	.١٣
٦٧	٤٤٠ هـ	المهدوي، أحمد بن عمّار	.١٤

فهرس الأشكال

رقم الشكل	المحتوى	الصفحة
١.	الجهاز التناسلي عند المرأة.	٦٢
٢.	منظر أمامي وجانبي وخلقلي للعمود الفقري عند الإنسان.	٦٦
٣.	الأضلاع الأربعة العليا من الأمام (الترائب).	٦٦
٤.	الجنين بين الصلب والترائب.	٦٩
٥.	رسم تشريحي للوريد والشريان المنوي اللذان يمدان الخصية بالدم.	٧٦
٦.	الكروموسومات الجنسية والجسدية عند الإنسان.	٨٢
٧. (أ)	صورة للمبيض وقناة فالوب.	٨٨
٧. (ب)	صورة للمبيض توضح مختلف مراحل نمو الببيضة.	٨٩
٨.	صور تشريحية للحضية.	٩٠
٩.	الجهاز التناسلي عند الرجل.	٩١
١٠.	صورة تخطيطية للحيوان المنوي.	٩٥
١١.	صورة للببيضة وحولها التاج المشع.	٩٦
١٢.	صورة تبين عملية اللقاح بين الببيضة والحيوان المنوي.	١٠٨
١٣.	النطقة الأمشاج وهي تتحسس طريقها على جدار باطن الرحم .	١١٦
١٤.	رسم هارنيسوكر الذي يوضح فكرته بأن الإنسان يكون مخلوقاً تماماً في الحيوان المنوي في صورة قزم.	١١٩
١٥.	صورة للخلية الحيوانية.	١٢٣

رقم الشكل	المحتوى	الصفحة
١٦.	الفرق بين التوائم المتطابقة والتوائم غير المتطابقة.	١٢٧
١٧.	جنس الجنين.	١٣٢
١٨.	صورة توضح الأغشية الثلاثة التي تحيط بالجنين.	١٤٧
١٩.	صورة توضح تشابه الجنين في مرحلة العلقه مع دودة العلقه.	١٥٨
٢٠.	صورة تبيّن الدم وهو يجري خلال الجنين في مرحلة العلقه عبر أوعية بدائية في المشيمة.	١٦٦
٢١.	جنين عمره ثلاثة أسابيع.	١٦٩
٢٢.	جنين في الأسبوع الخامس وبداية ظهور الفقرات الغضروفية.	١٨٦
٢٣.	تكوين الجمجمة عند الجنين.	١٨٩
٢٤.	تكوين القدم واليد.	١٩٠
٢٥.	بداية تكوّن نخاع الشوكي والعمود الفقري.	١٩٢
٢٦.	طبقة دهنية كثيفة تغطي جلد الجنين من أجل حماية جلده.	١٩٥
٢٧.	خطوات الاستساخ الجنيني.	٢١٠
٢٨.	طريقة الاستساخ اللاجنسي.	٢١٢

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، (ت. ٦٠٦ هـ)،
النهاية في غريب الحديث والأثر، دار إحياء الكتب العربية، (لم يذكر رقم الطبعة ولا
سنة النشر).
٣. أحمد، محمد خلف الله، والصوالحي، عطية، وأنيس، د. إبراهيم، ومنتصر، د. عبد الحليم،
المعجم الوسيط، القاهرة، (ط٢، ١٣٩٢ - ١٩٧٢).
٤. أرناؤوط، محمد السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة. (لم
يذكر رقم الطبعة). ولا سنة النشر).
٥. الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد، (ت. ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، (ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠١).
٦. الأشقر، أ.د. عمر سليمان، والباز، د. عباس أحمد محمد، وأبو البصل، د. عبد الناصر،
وشيير، أ.د. محمد عثمان، وعارف، د. عارف علي، دراسات فقهية في قضايا طبية
معاصرة، دار النفائس، الأردن، (ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠١).
٧. الأشقر، د. محمد سليمان، أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي، مؤسسة الرسالة، لبنان،
(ط١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١).
٨. الألويسي، محمود، (ت. ١٢٧ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع
المثاني، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٤ - ١٩٩٤).

٩. الأنصاري، أبو يحيى زكريا، (ت. ٩٢٦ هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، (ط١، ١٤٠٥-١٩٨٥).
١٠. البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (ط١١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩).
١١. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت. ٢٥٦ هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه " صحيح البخاري"، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، (ط٣، ١٤١٥).
١٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت. ٥١٦ هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، (ط٢، ١٤٠٧-١٩٨٧).
١٣. البقاعي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم بن عمر، (ت. ٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٥).
١٤. بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، لبنان، (ط٤، ١٩٩٧).
١٥. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت. ٧٩١ هـ)، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٦-١٩٩٦).
١٦. توفيق، محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، دار السلام، القاهرة، (ط٢، ١٤١٨-١٩٩٨).

١٧. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت. ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر).
١٨. ابن جزّي، محمد بن أحمد، (ت. ٧٤١هـ)، التسهيل لعلم التنزيل، دار الفكر، (لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر).
١٩. الجميلي، د. السيد، الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال ودار الوسام، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٩٩٦).
٢٠. الجميلي، د. السيد، نقل الأعضاء وزراعتها - دراسة طبية دينية، دار الأمين، مصر، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٨).
٢١. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت. ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط٣، ١٤٠٤).
٢٢. الحاج، د. محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم ودار الشامية، دمشق - بيروت، (ط١، ١٤١٣-١٩٩٢).
٢٣. حامد، حامد أحمد، الآيات العجاب في رحلة الإجاب، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٦).
٢٤. الحبال، محمد جميل عبد الستار، والعمرى، وميض بن رمزي، الموضوعات الطبية في القرآن الكريم - منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية، دار الأرقم، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٥).
٢٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت. ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٠-١٩٨٩).

٢٦. حموش، د. عبد اللطيف، قصة الإنسان - أصله، بنيته، دوره، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٧).
٢٧. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، (ط٢، ١٤٠٩-١٩٨٩).
٢٨. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (ت. ٧٤٥ هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٣-١٩٩٣).
٢٩. الخالدي، د. صلاح، القصص القرآني - عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٨).
٣٠. الخضري، د. محمد الأمين، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ - دراسة تحليلية للأفراد والجمع في القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧).
٣١. الخضري، د. محمد الأمين، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء وثم"، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط١، ١٤١٤-١٩٩٣).
٣٢. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٣٣. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٣٤. الخفاجي، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر، (ت. ١٠٦٩ هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧).
٣٥. الداودي، شمس الدين، محمد بن علي بن أحمد، (ت. ٩٤٥ هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط٢، ١٤١٥-١٩٩٤).

٣٦. الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبياتنه، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق - بيروت، (١٤١٩-١٩٩٩).
٣٧. الذهبي، شمش الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت. ١٣٧٤هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٧، ١٤١٠ - ١٩٩٠).
٣٨. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، (ت. ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، (ط٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩).
٣٩. ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد، (ت. ٧٥٠هـ)، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، (ط١، ١٤٠٨).
٤٠. رحمانى، د.أحمد، نظريات الإعجاز القرآني، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط١، ١٤١٨ - ١٩٩٨).
٤١. رزق، د.هاني، والزحيلي، د.وهبة، وسالم، محمد عدنان، والسبيعي، عدنان، وعلواني، عبد الواحد، والعواء، د.عادل، وفضل الله، حسين، وأبو مخ، فرانسوا، الاستنساخ - جدل العلم والدين والأخلاق، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت، (ط١، ١٤٢١-٢٠٠٠).
٤٢. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٤-١٩٩٣).
٤٣. الرقعي، حمد، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، الدار الجماهيرية، ليبيا، (ط١، ١٤٢٥).
٤٤. الزبيدي، أبو الفيض، محمد مرتضى، (ت. ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة).

٤٥. الزجّاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، (ط٢، ١٤١٨-١٩٩٧).
٤٦. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، (ت. ١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١١).
٤٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط٦، ١٩٨٤).
٤٨. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، (ت. ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧).
٤٩. الزندانى، عبد المجيد، يا أبناء الإسلام دينكم دين الحق وكل آية في القرآن إعجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٥٠. أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٥١. الزوزي، القاضي أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٤، ١٤١٣-١٩٩٣).
٥٢. السعدي، د. داود سلمان، أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب، دار الحرف العربي، بيروت، (ط١، ١٤١٤-١٤١٥).
٥٣. أبو السعود العمادي، محمد بن أحمد، (ت. ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٩).

٥٤. سلامة، زياد أحمد، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، الدار العربية للعلوم ودار
البيارق، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٦).
٥٥. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (ت. ٧٥٦ هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب
المكنون، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧).
٥٦. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت. ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم
القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٥٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد،
(ت. ٩٩٠ هـ)، تفسير الجلالين وبذيله أسباب النزول للسيوطي، دار المعرفة، بيروت.
(لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٥٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، دار
المعرفة، بيروت، (ط٣، ١٤٢١-٢٠٠٠).
٥٩. الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني- الثوابت العلمية في القرآن الكريم، دار العلم
للملايين، (ط٤، ١٩٩٩).
٦٠. الشعراوي، متولي، شرح معجزات الأنبياء والمرسلين، دار مايو الوطنية، القاهرة. (لم
يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٦١. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي، (ت. ١٣٩٣ هـ)، أضواء البيان في
إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٥-١٩٩٥).
٦٢. الشهابي، عبد العزيز كامل، للكون إله، مطبعة مسودي، القدس، (لم يذكر رقم الطبعة
وسنة النشر).

٦٣. الشوكاني، محمد بن علي بن أحمد، (ت. ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، شركة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط٢)، ١٣٨٣-١٩٦٤).
٦٤. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، (ط١، ١٤١٦-١٩٩٦).
٦٥. الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، (لم تذكر دار النشر)، (ط٢، ١٤٠٠-١٩٨٠).
٦٦. صدقي، نعمت، معجزة القرآن، دار الإعتصام، (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٦٧. طيارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، (ط٧، ١٣٧٦-١٩٦٦).
٦٨. طيارة، عفيف عبد الفتاح، روح القرآن- تفسير جزء الأنبياء، دار العلم للملايين، (ط١، ١٩٩٦).
٦٩. الطبري، محمد بن جرير، (ت. ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤٠٥).
٧٠. طيفور، ماجد، روعة الخلق- أسرار كينونة الجنين، الدار العربية للعلوم، بيروت، (ط١، ١٤١٢-١٩٩١).
٧١. ابن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص، عمر بن علي، (ت. ٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٨).
٧٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٧٣. عباس، د. فضل حسن، وفضل، سناء، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٩٩١).

٧٤. عبد الصمد، محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام - السنة النبوية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (ط٤، ١٤١٧-١٩٩٧).
٧٥. ابن عطية الأندلسي، القاضي أبو محمد، عبد الحق بن غالب، (ت. ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٣-١٩٩٣).
٧٦. الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، (ط٣، ١٤١٧-١٩٩٧).
٧٧. امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر، (ت. ٨٠ قبل الهجرة)، ديوان امرئ القيس، تحقيق: حنّ الفاخوري، دار الجبل، بيروت، (ط١، ١٤٠٩-١٩٨٩).
٧٨. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت. ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٧٩. الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت. ٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٥-١٩٩٥).
٨٠. الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد، (ت. ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٨١. فياض، د.محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، دار الشروق، القاهرة، (ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩).
٨٢. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت. ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٥-١٩٩٥).

٨٣. القاسمي، محمد جمال الدين، (ت. ١٣٣٢ هـ)، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١، ١٤١٨-١٩٩٧).
٨٤. ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد، أبو محمد، (ت. ٦٢٠ هـ)، المغني، دار الفكر، بيروت، (ط١، ١٤٠٥).
٨٥. القدومي، د. معين، الاستنساخ والإسلام، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٩٩٨).
٨٦. القرضاوي، د. يوسف، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، دار الشروق، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٩).
٨٧. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، (ت. ٦٧١ هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٥، ١٤١٧-١٩٩٦).
٨٨. القزويني، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٨٩. القضاة، د. شرف، متى تنفخ الروح في الجنين، دار الفرقان، عمان، (ط١، ١٤١٠-١٩٩٠).
٩٠. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط١٧، ١٤١٢-١٩٩٢).
٩١. قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٩٢. القلقيلي، محمد عادل، نظرات جديدة في القرآن المعجز، دار الجيل، بيروت، (ط١، ١٤١٧-١٩٩٧).
٩٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت. ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (١٩٧٣).

٩٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت. ٥٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، المؤسسة السعيدية، الرياض. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
٩٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤٠٨-١٩٨٨).
٩٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤١٢-١٩٩٢).
٩٧. ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر، (ت. ٥٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الدعوة، استانبول، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤٠٨-١٩٨٧).
٩٨. كنجو، خالص جلبي، الطب محراب للإيمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٤٠١-١٩٨١).
٩٩. اللح، د. عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة - فلسطين، (ط١، ١٤١٩-١٩٩٩).
١٠٠. الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب، (ت. ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
١٠١. مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي، أبو الحجاج، تفسير مجاهد، (ت. ١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
١٠٢. مجموعة من أشهر الاختصاصيين وأساتذة الطب، الموسوعة الطبية، الشركة الشرقية للمطبوعات، (لم يذكر رقم الطبعة، ١٩٩٢).
١٠٣. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت. (لم يذكر رقم الطبعة).

١٠٤. مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية - المسيحية، الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، (ط١، ١٩٩٩).
١٠٥. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين، صحيح مسلم، (ت. ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. (لم يذكر رقم الطبعة وسنة النشر).
١٠٦. مصباح، د. عبد الهادي، الاستنساخ بين العلم والدين، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، (ط٢، ١٤١٩-١٩٩٩).
١٠٧. المعلمي، يحيى عبد الله، كلمات قرآنية أو مفردات القرآن، دار المعلمي للنشر، (١٤٠٧-١٩٨٧).
١٠٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت. ٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط٣، ١٤١٩-١٩٩٩).
١٠٩. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، دمشق، (ط٢، ١٤٠٩-١٩٨٩).
١١٠. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، (ط١، ١٤٢٠-٢٠٠٠).
١١١. النحاس، أبو جعفر، محمد بن أحمد بن إسماعيل، (ت. ٣٣٨هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط١، ١٤٠٩).
١١٢. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي، (ت. ٧١٠هـ)، دار القلم، بيروت، (ط١، ١٤٠٨-١٩٨٩).

١١٣. النعيمي، د.ناطق محمد جواد، مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل. (لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر).
١١٤. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، (ت.٥٤٠٠هـ)، كتاب الفروق، جروس برس، طرابلس- لبنان، (ط١، ١٤١٥-١٩٩٤).
١١٥. هندي، صالح ذياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية أعمال المطابع التعاونية، عمان، (ط٨، ١٤٠٨-١٩٨٧).
١١٦. وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، (ط١٨، ١٤١٥-١٩٩٤).
١١٧. ياسين، د. محمد نعيم، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، (ط٢، ١٤١٩-١٩٩٩).

المراجع الأجنبية

1. Ahmed, Mustafa, and Goeringer, Gerald, and Johnson, E. Marshall, and Moore, Keith, and Persaud, T.V.N., and, Simpson, Joe, and Zindani, Abdul Majeed, **Human Development as Described in The Quran and Sunna-Correlation with Modern Biology**, Islamic Academy for Scientific Research, U.S.A. (1994).
2. Ahmed. Mustafa, and Moore, Keith, and Zindani, Abdul Majeed, **Quran and Modern Science-Correlation Studies**, Islamic Academy for Scientific Research, Makkah, Illinois, U.S.A.(1990).
3. Kitzinger, Sheila, **The New Pregnancy and Childbirth**, Penguin Books, (1997).
4. Sadler, T.W., **Langman's Medical Embryology**, Williams and Wilkins, (Seventh Edition, 1995).

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Stages of Human Creation
According to the Verses
of the Holy Quran

Prepared by:
Mona Rifaat Idaas Abdel-Razick

Supervised by:
Dr. Muhsin Sameeh Al-Khalidi

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Arts in Usool Ad-Deen, Faculty of Graduate
Studies, at An-Najah National University.

Nablus/Palestine

1424H.-2003

Abstract

This study, titled " The Stages of Human Creation According to the Verses of the Holy Quran ", is divided into an introduction, preface, two chapters, and a conclusion.

The study is an attempt to bring to view some aspects of the eloquence of the Quran and the scientific facts that the Quran mentions pertaining to the stages of human development.

In addition, the study has examined the conditions that Muslim Scholars have laid down in order for us to interpret the verses that contain scientific facts, emphasizing on the fact that understanding these verses cannot be accomplished unless we make use, also, of modern technology.

The study has discussed the Quran's perspective on mankind in terms of being comprehensive, realistic, positive, respecting human intelligence, and encouraging us to reflect on our own creation as a way to understand both ourselves and the Magnificence of the Creator.

The study, as well, has brought to light some signs of Allah's power and might, by analyzing the creation of Adam, Hawwa (Eve), and Prophet Isa (Jesus), which are considered miracles, as their creation is not based on marriage, the law of Human Reproduction.

The researcher has also analyzed the stages of human development according to the verses of the Holy Quran, along with modern embryology.

In the last chapter of this study, the researcher did a study on Embryonic and Adult Cloning due to its relationship to human creation. Finally, an index has been put down for the study.